الطريق إلى فـرح

الطّريقُ إلى فَرَح

روايــة

عبدالقادر صلال

الطريق إلى فــرح

اسم الكاتب: عبدالقادر صلال
تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية
تصميم الغلاف: نانيس جنيدي
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولى – يناير ٢٠١٩ م
رقم الإيداع: 23733 / 2018

Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017

01030365801

إلى تلك الأنفاسِ الجليدية في شتاء قارس، وإلى صراخ مدير أرعن، كان يؤكد لي في كل لحظة أنني سأنجح، وإلى تلك البارقة التي التصقت بروحي لتدفعني للاستمرار، وإلى علبة سجائري التي كانت عكازة لأتعس لحظات عمري.

إلى من رأيت الحياة بعينيه: محمد، وإلى المقاتل الإسبارطي: زهور،

وإلى: أسامة ومحمد خير؛ أهدي هذا العمل.

الفصل الأول

يتقدم شاهين نحو باب غرفته، يمسك بمقبض الباب وكأنه مفتاح زنزانته الترابية الأخير الذي سيجد في داخلها كل الأجوبة والتساؤلات التي أثقلت كيانه طوال سنوات عمره الخمسة والستين، وكأن وقت السكينة الكبرى بات أقرب إليه و أعمق من شغاف قلبه. دخل وجلس على سريره وبدأت قواه تخور بسرعة عجيبة، شعر وكأنه يختنق وكل مسام جسده مسدودة بنيكوتين سجائره لسنوات طويلة إلا أن ملامح الرضى تعتلي وجهه بالنهاية وبدأت دقات قلبه ونبضه بالخفقان ببطء، ثقل مجهول أجبر رأسه أن يسقط على وسادته وعيناه فقط باتت تنظر بناسوتية مرعبة ومذهلة. تتصلب نظراته وكأنه بدأ بمشاهدة الحجب وهي تتكسر على أطراف معتقده ومبادئه وكل ثانية تمر تتكفل بمشاهدة واضحة أكثر فيما تبدو أغطية سريره كسلاسل متينة تحكم تثبيت جسده على السرير ويشعر بدمه يجري بعروقه وأوردته أكدت له أنه على بعد خطوات من نهاية ماراثون متعرج ومليء بالمفاجآت. تخيم فوق جسده هالة ضخمة، إنها تمتلك قوة تثير الدهشة. يراقبها شاهين وكأن الطيف الرقيق الذي يسكن جسده ينظر لتلك الهالة من خلف منظور عدسات قناص متمرس، اعتاد أن يراقب ضحاياه ويسدد طلقاته من يستحق فرصة ومن الأجدر قتله. ارتسمت ابتسامة ضعيفة على شفتي شاهين وكأنه قد شمَّ رائحة فرح في تلك الهالة. أغمض عينيه، تذكر أولى خطواته وهو يستند على ابتسامات عائلته. تذكر محاولته ليتخلص من تلعثم نطقه، تذكر صوت رصاصتين وجهت لجسده الهزيل وتلك البارقة التي أمرته أن يبتعد خطوتين على الجانب الآخر من الرصيف لينجو من طيش وفوضى الكلاشينكوف، تذكر أول شعرة بيضاء استقرت في لحيته. نهض

الطيف الذي يسكن جسده ليعانق تلك الهالة ويرحلان نحو السماء، خارج سديم الأمكنة.

تربت سمية في بيئة شامية محافظة جدا مع سيل عارم من الخوف من الحياه ومن الاخر كسائر عوائل دمشق المتواضعة، ولطالما رسخت تلك العقليه التي تقوم على اختيار الزوج يكون مبنيا على نقوده وشخصيته القوية، وكلما كانت مفرطة في ذلك كان ذاك أفضل وكأنه الضمان الوحيد لحمايه ابنتهم.

عاد والد سمية من عمله البسيط والمتعب رمى مفتاح البيت قرب راديو مهترئ، وأسند رأسه على الحائط ورائحه المجاري تفوح من ثيابه كان قد أمضى النهاركله في إصلاح مجاري المياه المعطلة، نظر إلى سمية ويدور في عقله التساؤل نفسه الذي يستفيق وينام عليه كل.. إخوتك يا ابنتي، قد تزوجوا ولم يبق غيرك بدأت عينيه بمخاطبه سمية: يا ابنتي أريد أن أطمئن على حياتك بعد وفاتي قد تمكن الجهد مني.

بدأ يتحسس لحيته البيضاء أظن أن موعد موتي سيأتي قريبا هذه العملية الثالثة التي يجريها الأطباء في جسدي، كانت قطب العمليات على جسده تبدو كخارطة لحياته الصعبة، ولا سيما تلك القطبة الملتوية وكأنها تخبره أن الطب قد عجز بعد اليوم عن مساعدتك أيها العجوز.

دخلت سمية وقد انتهت من تحضير الطعام، ولكنها لم تكن على عادتها كانت خجولة جدا في ذاك اليوم وبعد أن أنهى طعامه جلست أم سمية بقربه وكانت عيناها تلمع، وابتسامتها عريضه على غير العادة في ذلك الجو المشحون بخير لا يعلمه إلا والد سمية، سارعت سمية بالخروج من الغرفة التي تأكل أسمنتها من الرطوبة، ومن قرض الجرذان لأبوابها الخشبية القديمة كان مكانا مثاليا لاتحاد العفونة والإنسان في ذلك المكان.

المستقبل كان يبدو عفنا أكثر من عربدة الحاضر، كان وجودهم مظهرا للإيمان لأن كل شيءٍ كان يقبل التسامح إلّا ذلك المكان وفرحة سمية كبيرة؛ لأنها كانت ستقايضُ وجودها وتخرج إلى اللا مكان فقالت أم سمية: اليوم جاءت جارتنا أم توفيق، ابنها يعمل في تصليح السيارات ويكسب دخلا مرتفعا، إننا في كل يوم جمعة نشم رائحةَ اللحم من بيتهم، كان الأب ينظر باستهلال ويستبشر خبرا سيأتي مع أبيه وإخوته لخطبه سمية، بدأ الأب بالضحك ويحمد الله نزلت دمعة من عينيه وقال لها: ما رأيك؟ وكأنه كان هناك مجال للرفض.

قالت أم سمية: توفيق رجل بكل ما تحمله الكلمة من معنى. جال في عقلها اللعنة على هذه الظروف القاسية والصعبة التي تجبرنا أن تتزوجي من ذلك الآحمق.. ربما كان على والدك أن يختار عملا يجني مالا قبل أن يختار عقيدته الدينية ولكن علينا ذلك قد سئمت من التغوط بزاوية حادة للنجو من اضطهاد السقف المخور.

حذاء أسود وشوارب سوداء ما قصة توفيق مع السواد كان يرتدي ربطة عنق، يظن نفسه رجلا، مهما حتى كلبه لم يكن يرقى مظهره توفيق ولكن كان مجبورا أن يوْدي وظيفته ككلب بعد أن يشير له توفيق بذلك بدأ الكلب بالركض والنباح خلف توفيق كان الكلب المسكين، يحاول ترسيخ فكرة في عقل توفيق أنه يلعب معه بدأ توفيق بالركض، أسرع من الكلب والضحك بصوت جحوري وبتصرفه ذاك دفع الكلب للتفكير.. بعد لحظات توقف الكلب عن مطاردته ولا نفع من محاولة كسب ود ذلك الأحمق وهو لم يطعمني منذ الصباح.

كان من النوع المستفز لقتله، ولطالما كان يتصرف بطريقة هستيرية الجميع كانوا يسألون: هل يتعاطى شيئا؟

دخل توفيق وأغلق بإحكام باب الغرفة، سمية تجلس على طرف السرير وبثوبها الأبيض ويداها مخضبة بالحنة، وضفائر شعرها قد غطت أطراف صدرها العلوية عاقدة يديها على بعض ورائحة الصابون تفوح من جسد توفيق.. كان أخوة توفيق قد حرصوا هذه المرة على أن تفوح منه رائحة الصابون وقصوا أضفار يديه المليئه بشحم السيارات.. تطلب الأمر أربعة ليف.

فكرة ارتباط رجل مختل لا يحمل أي تصور عن نفسه وعن العالم، سمية ترضى بحياتها البائسة وتحطم حلم أبيها.. في هذه الأثناء كانت أم سمية تشرح لها أهمية الثقب المقدس لدى الرجل وبعد كل أربع كلمات تنطق بها أم سمية يزداد حرج سمية قائلة: هل هذا ما سأفعله؟ وتعقب أمها: هذا زوجك يا ابنتي عقد قرانكما في السماء قبل كنت في معدتك يا ابنتي.. اقترب توفيق منها ولم يثره شيء بقدر أحمر الشفاه على شفتاها.. اندفع نحوها كثور ضخم رأى راية حمراء ظنت سمية أنه سيقبل رأسها ويشعرها بالأمان بدأ بتمزيق فستان العرس بسرعة جنونية، شعرت سمية وكأنها تتعرض لاغتصاب بموافقة جماعية.. جسده الأخصب الضخم وشعر جسده كقنفذ.... افتض بكارتها بعنف شديد إلى أن ألبسها فستانا أحمر ناريا عوضا عن فستانها الأبيض.. في صبيحة اليوم التالي استيقظت سمية على أصوات ضحكة توفيق وأمه، دخل توفيق الغرفة وسمية تتبسم.

بعد ذلك عاشت مع توفيق بسيل من الضحكات المزيفة.. طالبها بتحضير الطعام قالت وهي تظنه إلى هذا الوقت ملاذها الآمن: إني متعبة قليلا. لطمها وقال لها بصوت عال: انهضي إني جائع. قامت سمية بتغيير ملابسها واستعدت للواجب الزوجي الأول أن تقبل يد أبيه وأمه بخضوع وخنوع بقيل يتيمة بحجم يتم عواطفها. أم توفيق كانت قد سمعت ما قاله

توفيق ورأت نظرة الخوف والارتباك في عيني سمية، وهمست في أذن أبو توفيق: الحمد لله أن المسكينة لم تمت الليله الماضية.. رأيت سريرها وكأنه ذبحت عليها بقرة.. كانت سمية قد بدأت بتحضير الطعام وقال لها بصوته البشع الشبيه بصوت ضابط أرعن يتلو أسماء قتلى الحرب: اجلسوا على مائدة الطعام.

رأس توفيق على مقربة من الصحن ثلاث بوصات، يداه على طول المعلقة بدأ يأكل بطريقةٍ تشعرك بأنه يأكل ويتقيأ بنفس الوقت، عيناه تجول في كل مكان لاحظت أم توفيق قرف واستغراب سمية.. ضحكت ضحكة طويلة أيقظت معنى التأقلم في نفس سمية.

وكأنها تقول لها: ماذا باستطاعتك أن تفعلي؟

في إحدى زوايا السطح المظلمة، يجلس يأمن القرفصاء رأسه مسنود على ركبتيه من ينظر إليه للوهلة الأولى يثير فضوله الآمر الذي جعل شابا بهذه البنيةِ الضخمة يجلس بلا حراك، وكل الضعف الإنساني بادٍ عليه هذه المرة، طوبات الأسمنت قد شعرت بحزنه وتضامنت معه هذه المرة، قامر مأمون بمصيره إنه مرغم على الزواج من عبير ابنة صاحب أبيه المتنفذ في السلطة الحزن والشعور بالعجز بلا جدوى، العالم مسيطر عليه من شدة حزنه وكآبته وشعوره بالضعف أمام سلطة مأمون المتجبرة، لم يعد يفكر في شيء عقله مشغول بالتفكير بحيرة في مكان ما فقط بحيرة.. ملمس يد ناعمة على رأسه قد أعادته إلى سطح منزله ليرى أخته التي طالما كانت ملجأ يأمن إليه للشكوى والتذمر.

قد كبرت يا أخي وبات عليك أن تتخذ قرار.. بدأ بالضحك ظنت بها قال لها: ماذا تنتظرين مني قد بلغت الثلاثين وما زال والدك يحدد شكل تسريحة شعري وملابسي؟ لا أستغرب وليس ببعيد أنه سيفرض علي مواعيد حلاقة

إبطي قالت له أخته: هذا ما تنتظره من رجل لم تسقط مفاهيم الله في قلبه. قال: يا من بصوت هادئ بات يتكلم من قرارة نفسه.. الآن كل ما أريده أن أتوقف عن النظر إلى نفسي أني فاشل بكل المقاييس، وأستطيع إنهاء كل شيء في حياتي بعيدا عن مأمون المتعجرف الشيء الوحيد الذي كنت بارع فيه إنسانيا أن مثير للشفقة، كل من عرفتهم كانوا مميزين وناجحين نظرت إليه.. أخته نظرة من آلف مراس الحياة بمقدار تقديسنا لقراراتنا نسلب هذه السلطة بعبارة أوضح نجبر على خروج قراراتنا من بين أيدينا.. الله هو هو من يختار أحيانا تنتابني رغبه بالبكاء لمشيئة الله فينا مع أننا نعلم أن اختياره في قمة الخير لنا.. كل المسألة: إنه لا نحتمل كوننا فاشلين وعاديين.

انتشر الخبر في كل مكان.. يامن ابن مأمون سيتزوج ابنه رجل نافذ في السلطة وانتشار الخبر بتلك السرعة والطريقة دفع مأمون للإسراع في التجهيز للعرس هنا بدأ النجارون بتجهيز غرفة النوم ليامن وعبير، والمبلغ الضخم الذي قدمه مأمون لصاحب الورشة كانوا مضطرين إلى إيقاف جميع أعمالهم والتركيز على إنجازها بأسرع وقت. هيئة مأمون الأنيقة دفعت العمال إلى استراق السمع لحديث مأمون مع صاحب الورشة ثلاثة أيام فقط، عندها أصيب جميع من يعمل في الورشة بالغضب والحنق؛ لأنّهم يعلمون أنهم سيضطرون إلى للعمل ساعات إضافية وسيعودون إلى منازلهم للنوم فقط وكأن حياتهم توقفت على إنهاء عملهم أكبر العمال سنا. قال الحقير: قد اختار نوعا من الأخشاب يصعب التعامل معه. في طريق مأمون للخروج اجتمع عمال الورشة إلى مأمون وقال بلهجة تنم أنكم من عالم مختلف عن العالم الذي نعيش فيه: نحن التجار وأصحاب النفوذ سوف تعملون على غرفة نوم ولدي البكر يامن، عندها لم يتم جملته حتى سارع

العمال بالتهنئة والدعاء له. فلما ملأ العمال رأس مأمون بالغرور والمنزلة الرفيعة.

أخرج محفظته وأقسم في قرارة نفسه، على إفراغها ولما باتت أموال مأمون في جيوب عمال الورشة، عاد الجميع إلى عمله بهدوء وكأنهم قد تلقوا تعويضا سماويا عن مفاجئة القدر لهم بساعات العمل الطويلة.

كل الشخصيات المهمة في السلطة، قد دعيت لزواج يامن وعبير ثقل تلك الألقاب والأسماء، كان سببا ثانيا ليقدم على الزواج من عبير أربعة حقائب جلدية كبيرة، كافية لفتح محل تجاري قد سبقت عبير إلى منزل مأمون ورائحة تلك القطع الفارهة تفوح، وبقي المنزل مجهزا أن أحدا مهما قادم وهذا ما أراد والد عبير إيصاله لعائلة مأمون.

انقسم عرس يامن قسمين: قسم للشخصيات النافذة في بيت عائلة عبير وقسم آخر يشمل كل كميات هائلة من الطعام لتمتلئ بطون الجميع حتى من لا يعرف يامن ومأمون..

ومن المثير للضحك وسخرية القدر أن سمية قد أصيبت بالتخمة من الحلويات في العرس.. أدهشت سمية الترتيبات الدقيقة والفخمة في العرس قالت في نفسها فلتهنئي بكهذا الزواج تقدمت من عبير باتجاهها وقالت: كيف حالك؟ فكرت سمية: هل من المعقول أني تكلمتُ بصوت عالٍ الحزن في عين سمية، قد استرعى إنتباه عبير أكثر ما استرعى عرسها، تحدثوا لساعات الجميع في حيرة من لطف عبير ولم تتركها حتى قطعت لها وعدا بزيارتها يوما ما.

دخلت عبير بيت مأمون، قامتها الممشوقة الطويلة جعلتها تنظر إلى الجميع بدونية وكأنها آلهة يونانية توهب الحياة والموت، آثار إعجابها يامن في

البداية بصدره المتسع وأكتافه العريضة، وقبضته الضخمة لو نظرت إلى عينيه فقط لرأت الملائكة الطهر والبراءة التي كانت تحيط بمريم المجدلية.

رائحة عطر يامن ملئت البيت كله حتى مقبض الباب، قد حصل على نصيبه من الرائحة دخل يامن إلى الغرفة ليرى نسخة أنثوية عن مأمون، ولكنها جميلة بخلاف قباحة مأمون الذي استحق أن يغرق ببترول خام ليتخلص العالم من قباحته وتسلطه، اقترب نحوها بابتسامة عريضة جعلتها تتساءل: هل هذا ابن مأمون؟ أرادت أن تستكشف تلك المعجونة بالبراءة ستة بوصات، يفصل بينهما وكأنه راهب من التيبت قبل جبينها؛ فانتفض قلبه مثل جناح حمامة ضمها إلى صدره حنانا أنه سيشعرها بالأمان، فشعر هو بالأمان، أمضى الليل والساعات الأولى منه يتحدث لها عن النجوم ومواقف مضحكة من طفولته الميمونة، عبير تهز رأسها لتدرك أنها أنجبت طفلا صغيرا قبل أن تتزوج، ووجدت نفسها مسؤلة عنه وتحطم حلمها بشخصية زوج أسطورية تفوق شخصية والدها الحازمة والغامرة، شعرت بضربات القدر التي أشبه ما تكون بخبرة جنرال في أيام تقاعده الأخيرة وفي محاولة يائسة لتوقظ ذكورة يامن.. خلعت ملابسها بالكامل.. عيناه منتفخة للأمام وكأنه رأى أكثر من اللازم، كان يريد أن يمضي يومه الأول يتحدث عن النجوم وعبير أرادت أن تشعر بضعفها.

ولما تيقنت أنها ليست الليلة التي حلمت بها؛ ، تمدد يامن على السرير على جانبه الأيمن فأضطرت أن تستلم زمام الأمور، جرحت نفسها وملأت أغطية السرير البيضاء الفارهة.. كان ثمن الأغطية بقدر أجر أحد عمال مأمون قالت عبير له: غدا هو يوم جديد، هذه المرة ستنجو من نظرات مأمون تجاهك كطفل مدلل ولكن بقي أن تتخلص من إحراجك أمام نفسك. لم يكن يامن عاجزا ولكنه أراد التحدث عن النجوم.

وفي اليوم التالي اصطنعت عبير خجلا مزيفا أمام عائلة يامن، ليشعر الجميع أن الأمور على ما يرام ما عدا الخادمة التي لم يكن لديها متسع من الوقت، حتى لتسريح شعرها.. استيقضت قبل الجميع في السادسة صباحا لتشد على رأسها قطعتين قماشيتين لئلا تسقط شعرة واحدة من رأسها، فتخسر عملها نظرا لطبيعة القوانين الحازمة التي كانت تسير في بيت مأمون، أربعة قدور نحاسية ضخمة تغلي في آن واحد وكميات ضخمة من الخضروات تقطع بسرعة تفوق قرارات مأمون المتسرعة، التي لا تميل إلى العقلانية ولكن الأكثر تعقيدا من ذلك كله وجبة مأمون اليومية قطع اللحمة النيئة مطهوة لتتحمر من الخارج فقط.. كان له عادة غريبة لا يفكر بالله حتى تمتلئ معدته بالطعام.

جلسوا جميعا على مائدة تجمع ألوان الطيف حتى الغير مرئية عبير تمسك قطعة خبز صغيرة تقضم بها وتلعب بها بآن واحد.. نظر مأمون إلى يامن على أنه قد رفع اسم عائلته عاليا.. أخذ قطعة من وجبته النيئة ووضعها في صحن عبير ليضعها أمام أول اختبار طاعة وخضوع لأنه يعلم جيدا قماءة وجبته للآخرين، كان يواضب على أكلها باستمرار فقط ليزيد جديته وقساوته كي لا يضطر أولاده إلى أكلها نيئة يوما ما، كان متسلطا قادرا على إدارة الأمور بحرفية عالية تناولت عبير جزءا من تلك القطعة فسارعت ببصقها بسرعة تفوق سرعة خروج الرحمة من قلب المتطرفين، تبا من هذه الطعمة هل استئصلت تلك القطعة من كلب؟ ولأن العصافير في بيت مأمون يعلمون أن مأمون سيملأ البيت صراخا وتحطما لكبرياء الآخرين؛ طارت من أقفاصها عاليا تعود مأمون أن يترك أقفاص العصافير في بيته مفتوحة الأقفال وكأنه يقول لجميع من في بيته: من يريد الخروج فليخرج ولكن يامن لم يفهم قصد مأمون من ذلك وجه كلامه ليامن صارخا وعروقه تضخ

بالدماء، وأصبعه السبابة يشير إلى حقل نفط بضرورة أغلقه قبل أن تعلم الحكومة بأمره فتضع يديها البيضاء عليه.

عليك أن تبدأ بتربية زوجتك الحيوانة.. لتقول بلهجة واثقة: هل أخبرك يامن ماذا فعلت الحيوانة لتحمي كبرياءك وكرامة طفلك المدلل؟ انتفض يامن ولأول مرة وضرب شيء بيده كان وجه عبير قد رسمت أصابع يامن عليه.. عبير تصرخ ومأمون يصرخ والخادمة تصرخ على طفلها الرضيع لتسكته، ويامن جالس على الكرسي مليئا بتفاهات الوجود قائلا كنت أريد التحدث عن النجوم فقط.

مرت أربعة أشهر وحياتهما ازدادت تعقيدا وبؤسا لم يمر يوم لم يندم الجميع على القرار الذي اتخذ أخبار بيت مأمون وبيت عائلة عبير هشة، مثل رماد السجائر بدأ والد عبير بمحاصرة مأمون فخسر ثلث أملاكه بصفقات حبوب فاسدة وضرائب.

والد عبير كان يستطيع إنهاء بؤس ابنته من اليوم الأول، ولكنه كان مصرا على تحطيم مأمون أولا.

عبير تجلس وحيدة على أرجوحة البيت دق الباب بطريقة تنذر أنها امرأة من مكان بعيد، فتحت الخادمة لترى سمية تتساءل هل هذا بيت مأمون تاجر الحبوب؟ قالت الخادمة: نعم قالت سمية بفرح ينم أنها أخيرا قد وصلت: عبير زوجة يامن موجودة؟ أجابتها الخادمة: خمس دقايق وأعود. تأكدت من تعليق القفل بحيث يمنعها من الدخول ولا تشعر سمية أنها طردت.. قالت عبير للخادمة: أعطيها أي شيء من المطبخ. أجابتها الخادمة: لا الأمر ليس كما يبدو إنها تعرفك شخصيا. تبادلت سمية وعبير خمس عشرة قبلة كل هذا الجنون الانفعالي والعاطفي لتعلم سمية أنها مرحب بها هنا ولعادة غريبة

تجمع كل نساء العالم. الأحاديث الزوجية الحساسة، صارت مشاعا بسيل زاخم من الضحكات المتقطعة، بعد انتهاء زيارة سمية ومغادرتها لبيت عبير؛ بدأت عبير بالتفكير بسمية وما تلاقيه واستمرت طويلا بالضحك للمفارقة الزوجية.

سمية الخط الفاصل بين جنة يامن ونار توفيق.. كان مستعدا للسجود ولها ولكنه كان مختلا عقليا على حد وصفها عندما يبدأ بضربها يتجلى المعنى الحقيقي للإيذاء، للحرب على الشر كان ينهال عليها بالشتائم وكانها ساحرة من القرون الوسطى.. من طريقة تحدثها لعبير كانت عبير تستمع لصوت ارتطام رأسها بالجدار الذي كان يكتفي بالمشاهدة ولم يحاول أن يخفف عن سمية، أو أن يقول الحقيقة يوما ما إنه جدار أصم ماذا تنتظر منه ولكنه شاهدها ولم يفعل شيئا.

دخل يامن إلى ذلك المكان الذي تملؤه الرهبة والراحة والسكينة. طفل صغير سأل أمه هذا مقام الرجل الصوفي الصالح أبي سليمان الدراني، أسند يامن رأسه على تلك القطع الخشبية المغطاة بالقماش الآخضر، ورائحة العطور تنبعث منه جدران المقام مزينة بزخارف نباتية، كل من في المقام ينظر إلى أكتاف يامن العريضة، وقبضته الضخمة ويظنون أنه يتوسل إلى الله ويطلب الشفاعة والعفو إكراما لصاحب الضريح لما سبق منه من صدق ويقين ثابت يامن مستغرق بالشكوى والبكاء، إلى حد لم يلاحظ نظرات زوار المقام على الجهة الأخرى من الضريح، سمية تبكي بنفس الطريقة يفصل بينهما قماش أبيض طويل، كلاهما يبكي بشدة ويشكي همومه لرجل ألف مراس الحياة وكانت لديه القدرة على الاستمرارية الصورة المعكوسة لمأمون وتوفيق.

باب أهل توفيق يطرق بقوة صراخ رجل ينهال بكاء، إنه صوت صديق توفيق في ورشة السيارات، خرج أبو توفيق مسرعا نحو

الباب ليصعق بخبر وفاة توفيق.. شاحنة ضخمة كان يعمل عليها

فغيرت حتى معالم وجهه وعند سماع سمية للخبر، ابتسمت لا إراديا.. سرعان ما أجهدت نفسها بدمعة مزيفة مراعاة لأم توفيق الطيبة.

عبير قد أنهت تدخين سيجارة على أرجوحتها المعتادة لتدخل غرفة يامن ولتنهي عاما كاملا من القرف قائلة: لم يعد هناك متسع لك في أشفاري لتختبئ به بعد اليوم ولأن يامن كان يعلم أن هكذا يوم قادم؛ لم ينبس بكلمة اقتصر الأمر على كتابة اسمه وكنيته بمهارة فائقة الجودة!

وبعد سنة عجفاء تحرر كل من سمية ويامن من زوج مختل وزوجة متسلطة فاقدة للإحساس.

طيور القفص كانوا قد استمعوا للحديث بالكامل، ليتحدث أصغر العصافير سنا كنا بالغنى عن رؤية مشادات كلامية.. توتر الأعصاب طوال هذا العام لو قررت هذه الخرقاء قبل عام من الآن هكذا قرار.

الفصل الثاني

يجلس يامن على تلك الأرجوحة التي كانت تجلس عليها عبير يتذكر كل شيء يتمنى لو صار زواجهما بطريقة أخرى، لا نفع من الشكوى ما زال يفكر ويتصرف بنفس الطريقة ولم يتعلم شيئا يجعله أقوى ويبقى محافظا على عادات أخلاقية مقرفة، لا تجعله يفكر بخطوة للأمام للمجهول، آه لو دخن إحدى سجائر عبير على تلك الأرجوحة سيتخذ قرارا ما.. لم يتحدث إلى مأمون من يوم طلاقه من عبير وأراد مأمون لأول مرة أن يتركه وحيدا، لعل الوقت قد حان خسارة مأمون التجارية أرغمته على التفكير إنه من يوم ما لن يستيقظ ولطالما فكر كيف يستطيع يامن تدبر دفنه والعزاء، بل تجارته وحياته فأراد أن يترك ليامن وقتا يشعر بوحدته ويجبر على اتخاذ قرار ما ولكنه امتلك براعة فذة في صناعة مسخ خضوع وخنوع قال في نفسه: سأدع الأمر للقدر ليعلمه بعضا من الحيل وسأساعده على أن يقتنع بذلك.

يدق الباب ولكن المرة بثقة أكبر، وتحرر أكبر دون الاكتراث للمسافة البعيدة التي قطعت، ولكن الخادمة كانت مشغولة في المطبخ وصوت صراخ طفلهما لم يتوقف.. يبدو أن حفاظته تحمل الكثير؛ فلم تسمع صوت الباب وهو يدق لم يتكبد يامن عناء الصراخ على الخادمة، لتفتح الباب فتح الباب ولم يكن يتوقع أنها بداية جديدة، سمية تقف عند الباب شعر وكأنه ولد من جديد.. أراد احتضانها والحديث معها للأيام.. رأى شيئا جميلا سلب عقله، تنبهت الخادمة أخيرا أن الأرجوحة فارغة ما تزال تتأرجح.. ركضت نحو الباب خوفا أن يكون مأمون على الباب فيفتح له غيرها الباب فيظن أنها تمضي اليوم بملاعبة طفلها الصغير والاعتناء به، تدخل الخادمة، أجبر يامن إلى الرجوع إلى أرجحوته سألتها سمية: أين عبير؟ انتكصت حواجب الخادمة

وبدأت تتلعثم ولا تعلم ماذا. تقول في رأسها كان هناك عشرة قصص وعليهما أن تختار واحدة مناسبة للموقف. ضحكت سمية لأنها عرفت مخططهما هي وعبير قد نجح.. كانت عبير قد اتفقت مع سمية على إيجاد حل يحول حياة كل منهم إلى ما ترغب اتفقتا على أن تحقق سمية حلمهما بالزواج من رجل يقدرها، ولا يتعامل معهما على أنها بقرة وعبير تسعى لرجل أسطورة وكان على عبير أن تطمئن على يامن مع امرأة تناسب انكساراته وتكون قادرة على تفهم الطفل بجسد رجل ضخم لأن عبير اعتبرته منذ اليوم الأول طفلها الذي عليها أن تسعى لسعادته واختيار الأفضل له.. طلبت الطلاق منه بتلك الطريقه كي لا يبقى متعلقا بها ورغبة عبير أن تمحو الحزن في عين سمية. دفعهما لهكذا قرار كان اتفاقهما أن تجهض سمية كل مولود من توفيق حتى يسأم منها ويطلقها ولكن للقدر خطته التي انتهت بموت توفيق بتلك الطريقة.

دعتها الخادمة للدخول لتشرح لها جيدا، دخلت سمية لبيت يامن وأقسم أنه لن يدعها تخرج، جلست سمية والخادمة بنفس الغرفة التي كانت تجلس بها مع عبير، أسرع يامن لمناداة أخته الكبرى كأنه يركض بيديه وقدميه ككلب عطش دخلت أخته الكبرى وهي مصرة هذه المرة أن يكون قرار يامن بسلطة.

بقرار مزيف من مأمون قالت أخته الكبرى للخادمة: طفلك الرضيع يبكي اذهبي لتهدئته قبل أن يوقظ يامن من نومه إنه متعب من سفره. ابتسمت سمية في داخلها لمحاولة أخت يامن صناعة رجل بعين سمية جلست أخته الكبرى وهي تتودد من سمية وتحاول خلق صداقة أقوى ليكون لهم مقعد على مائدته.

كان خبر موت توفيق بتلك الطريقة قد انتشر بكل مكان، أرادت أخت يامن في البداية أن تعلم هل لديها أطفال من توفيق.

أجابتها سمية بيقين كبير بالقضاء والقدر: لا لقد كان رجلا عقيما وكأنها تقول لها أني امرأة قادرة على إنجاب حفيد لعائلتكم، وبدأت أخته بنسج كائن أسطوري لسمية في شخص يامن وأصرت أن يوصلهما للبيت.

أخرج يامن أفخر قمصانه قميص أبيض اللون إلى الرسغين بأزرار تلمع كقطع ذهبية صغيرة في منجم، ولبس أحد خواتم مأمون الفضية مزينة بحجر أخضر، وحذاء بني يفوق لونه خشب شجرة عملاقة في غابة وسمية تتخيل ملمس قبضته الضخمة على أكتافها طوال الطريق وأخته تضحك بجنون في داخلها، لتصرفات يامن التي يقلد فيها مأمون وقد وصلوا إلى بيت عائلة سمية ووالد سمية يقف عند الباب ينتظر عودة سمية فهي لم تتأخر يوما إلى هذا الحد من الوقت دخلوا جميعا، إلى منزل سمية وازداد إصرار يامن عندما رأى منزلها وقال في نفسه: لن تعيش ملكتي بعد اليوم هنا. ووجدت أخته أفضلية عائلتهم فلا أب غاضبا سيحاصر مأمون بما تبقى من تجارته، ولا زوجة فاقدة للإحساس ومتكبرة ستنازع السيد مأمون في سلطته.. أمضى يامن طريق العودة وهو يفكر بسمية.. عاد هو وأخته إلى البيت وطريقة تفكيره لمحاولة إقناع مأمون ولكن هذه المرة لن يستغرق التفكير سوى يومين، بجدية وتصرفات مثل مأمون ليوافق على زواجه من سمية بقي يامن ساعتين أو أكثر يرقص ويغني ويستشعر تلك الأحاسيس الصغيرة في قلبه وروحه تحدد شكل رقصته، لقد رقص حتى كادت كليته أن تسقط وغنى كأنه آخر من ستقبض روحه في الأرض سقط من التعب وسط الغرفة التي أطفأ ضوءها لكي لا يرى نفسه ويدع المجال لتلك الأفكار المجنونة في داخله بالضمور وضحك ضحكات طويلة لا يقطعها شيء تذكر كلمات أخته عندما قالت له ذات يوم:

اهدأ لأن يوم الفرح لا بد أن يأتي.

دخلت سمية غرفة النوم.. أغمضت عينيها لبرهة وأخذت نفسا عميقا حتى باتت رئتاها منفوخة كرأس يامن وقد استحضرت أسوأ ما مر عليها من حياة الفقر والبؤس في بيت أهلها، وتذكرت بأنها لم تشبع يوما من طعام جيد، وجنون وعته توفيق.

أطلقت زفيرا كصوت تصفير، وكأن حياتها قد بدأت من هذه اللحظة، تلمست خشب غرفة النوم المرآة وسريرها من النعومة أنه إذا نظرت إليه فقط يكفي لتشعر بالنعاس، وبعد دقائق معدودة دخل يامن وأفضل ما حصل لهما بعد طلاقه فقدانها لزوجها الأبله أنهما تعلم كل منهما من تجربته السابقة، فلم تنتظر سمية أحاديث مطولة عن الحب وأهمية التقارب العاطفي الذي يليه الجنس، ويامن كان مصرا هو الآخر على عدم التحدث عن النجوم ويقول في نفسه: نجمتي أمامي هذه المرة لست بحاجة للتحدث عن نجم بعيد يامن يرتدي طقما رسميا أزرق اللون لم يكن يستطيع أن يغلق فمه، وكأن أسنانه صفا من الأقزام يرقصون رقصة موحدة فيرفضون أن يتوقفوا شعر يامن أن جفون سمية هي من ستغطيه لئلا يبرد يوما ظهر سمية له، وسمية تفرك أصابعها ببعضها البعض وتضحك ضحكة من وجد شيئا فقده لسنوات، ووجده فجأة ويمسك به، وهو ليس مصدق ما يحدث معه، شعر كلاهما أن الحياة عادلة في هذا اليوم.

اتضح لهما معنى الحب أي الرغبة بالبقاء مع الآخر ومشاركته كل تفاصيل الحياة، شيء صغير له رائحة مميزة وهم أنفسهم عاجزون عن وصفه أو الكتابة عنه كل ما في وسعهما أن يستمتعا بالشعور به فقط..

بدأ يامن بأستكشاف جسد سمية كرجل كهف لم يبق جزء من جسدها إلا ولمسه وشم رائحته، قبل إصبع قدمها الأصغر وصولا إلى منبت شعر رأسها كان الأمر شبيها بمسح لوح زجاجي بطول واحد كيلو متر بقطعة قماشية بحجم

كف اليد، وشعرت سمية أنها زوجة أحد فراعنة مصر وأحد رعاياها يتلمس جسدها الملكي.

مع ذلك الكم الهائل من العطوروالروائح المنعشة، كانت كفيلة بإشعال شرارة في أطنان من خشب أشجار الأمازون ليشعّ ظهر سمية حرارة لتدفئة روح يامن المتعبة، وسمية ترتعش بشدة وسرعة كسرعة ذبابة في تحريك أجنحتها وملمس أشفار سمية ويامن يتم دورة يوم كامل على أشفارها كإسفنجة مبتلة، في غاية النعومة تقرض أصبع قدم أحدهما وسرعة قصيب يامن باتت كالمطر المنهمر ذاب ذكره كقطعة سكر ما بين أشفار سمية لتدخل القطعة الآخيرة من الأحجية لتكتمل فتحل شخصيتهما الناقصة والمعقدة وسمية تحرك رأسها شرقا وغربا وخصل شعرها الأسود غطّت وجه الوسادة بالكامل وهي تشعر بكل مسام جسدها تتنفس، وكأنها باتت قطعة من جسد يامن واستغرق يامن في لعب ذلك الدور لأنه أحس لأول مرة أنه يسيطر على شيء ما، ليقذف يامن ماء الحياة الثلجي ليطفئ الحمم البركانية لجسد سمية الملتهب الذي بات كفرن لحرق السكر وغطت قمم ذلك البركان الثلوج البيضاء، لتدفن فيها خمسين جوهرة ثمينة وبإصرار مرة بعد أخرى!

وبعد انسحابه من أول مواجهة حقيقية في حياته، كان كفيلا بأن يطلق نجما من لحمه ودمه لتستكشف أحشاء سمية، انطلق الجزء الأولي للفرح ليتعدى كل طبقات السماء الطويلة والمتعرجة.

تهادت ببطء لتلتصق بمعدة سمية بدأ ذلك الكيس الرقيق بالتشكل، ليحيمها من كل شيء وكأن تنفسها قد صنع ذاك الكيس الرقيق، إنها تزداد حجما ويكبر ملاذها الآمن معها.

الجميع متوتر وتتعالى أصوات النقاش فيما بينهم كل واحد منهم الحفاظ على عمله، باتوا يشعرون بالتهديد لما حصل رغبة للقتال والدفاع مسيطرة على الجميع، وللدفاع أسلوب في حياتهم الكل مدرك لخطورة الوضع وضرورة التكتم على الأمر للوقت الذي يجدون فيه حلا، صرخ أحد الأعضاء بوجهه: هل تتعاطى أدويتك أيها المغفل؟ آخر ما ينقصنا انهيار أحد أعضاء المجلس للتغيرات الطارئة الجميع لم تصله حصته المعتادة اليوم وما نزال نحافظ على رباطة جأشنا، لأنهم يرون بعيونهم ما يحصل وإشارات واضحة باتت معروفة لديهم على تغير حياتهم في الآيام القادمة، وتطلب التكتم على الاختراق وكأننا قادرين على ذلك.. سكوت مخيم على الجميع.

كل من في الاجتماع ينتظرون كلمة أكبر الأعضاء مركزا وحساسية، وتقصد أن يتركهم يقولون ما يشاؤون لأنه أراد أن يتكلم الجميع لئلا تظهر الشائعات والانقلابات فيما بعد.

قال أنبل الأعضاء ورئيس المجلس: فليخرج الجميع ما عدا الأعضاء المركزيين وسنخبر البقية بقراراتنا، بعد انتهاء الاجتماع فليتكلم أول الأعضاء معرفة بما حصل كيف بدأ الأمر، وقف الراصد ليقول لهم يا سادتي مع احترامي للجميع لم أرَ أحدا، أسرع من السيد النبيل رئيس المجلس ولكن سرعة دخول هذا الكائن واختياره الوقت المفاجئ في الدخول أدهشني وآثار عجبي لم يستطع جنودي التصدي له، بل سجد جميع جنودي أثناء مروره لأنهم رأوا كائنا أرضيا وقويا، يدخل بتلك الطريقة ليتكلم العضو الثاني الذي بات الكائن الغريب وسط بيته يقول: سرعة تكونه وتطوره وسرعة بناء السواتر المسؤولة عن حمايته الشخصية محصنة، وتنظيمه لتأمين مصدر غذاء وحمايته في الأيام الأولى يدل على أنه قائد بارع ومتميز. وقف العضو الثالث: لقد استطاع قرصنة نظامي الأمني في العمل واستغلال مواهبي لبناء

قواعد لعمله. ليتكلم العضو الرابع: منذ دخوله وأنا أقوم بعمل إضافي لقد أصابني الإرهاق، عليكم أن تجدوا حلا سريعا وفعالا. يقف العضو الخامس وعلامات الغضب بادية عليه: اللعين أجهدني بطلبي للعمل بوقت مفاجئ، معذرة أيها السادة ولكني أمضي يومي بالكامل على خمسة عشرة دقيقة لأتفقد نظام الإخراج وفي أوقات فراغي كنت أحلل الصودا إلى عواملها الأصلية بينما الآن عمل إضافي دون أن أفهم إلى متى، ليقف رئيس المجلس ويقول: اليوم نستظيف أحد الأصدقاء لم تلتقوا به من قبل ولديه إفادة عن مايجري ليتكلم العضو الزائر الوضع يتطور ويستلزم مني أن أحمل أثقالا إضافية، لم أجبر يوما على التعامل مع هكذا وزن الوضع تحت السيطرة، وأن أقوم بعملي جيدا ولكنني لا أستطيع البقاء للأبد هكذا أدى تحية للأعضاء المركزيين وخرج من الاجتماع قال رئيس المجلس: هل هناك أحد يجب أن يضيف شيئا وآخر، وبعد دقائق معدودة أمضاها الجميع بالسكون وقف رئيس المجلس وخلع قبعته وأرخى حمالات بنطاله: أيها السادة طوال مدة عملي وخدمة طويلة حتى في أيام العطل والأعياد لم أتوقف لحظة واحدة عن العمل، منذ توليت هذا المنصب، ولكن لم يسبق لي أن عملت بتلك السرعة والقوة وإحساس السرور يتملكني أثناء دخول كائن، طريقة دخوله بحب وهذا لم أشهد قبل ذلك وهذا يعني أن حكومتنا وافقت على دخوله ولقد وصلني خطاب رسمي من الحاكم بضرورة التصرف، بما يوافق مصلحة الكائن الجديد ومساعدته لإنجاز مهمته وختم الخطاب أن مهمة الكائن لوقت معين وسوف يخرج.

تجلس سمية على الأرجوحة مغمضة عينيها وصوت حركة القضبان الحديدية، وهي تتم نصف دورة قد سيطر على عقلها وسائد ناعمة على أرضية الأرجوحة وقماش أبيض مطرز بأشكال هندسية متداخلة فيما بينها

على طول القماش الذي يغطي الوسائد، قدمها اليمنى فوق قدمها اليسرى وتضع إصبيعها السبابة الوسطى على جبينها ورائحة الصابون المعطر تفوح من يديها، وخياط حمالة صدرها يظهر بعبثية جلوسها بتلك الطريقة آثار ريبة يامن وخصوصا بعد صراخهما العالي على الخادمة.

صوت القدور وكل تلك الروائح الممتزجة مع بعضها آثار قرف سمية بينما كانت تبحث عن لحظة هدوء واحدة للتخلص من آلام رأسها ومعدتها التي تشعر بها، وكأنها دوامات مائية مليئة بالطماطم الفاسدة ولحوم قطط مع كميات ضخمة من الزيوت المهدرجة، تضرب بأمواجها العاتية والمتكررة لحلق سمية اقترب يامن من أرجوحة سمية وجلس إلى جانبها لتشيح بوجهها عنه وتقول له: يامن عزيزي هل استحممت؟ كلمات قاسية وخزت في نفس يامن لم يعتد على سماع تلك الكلمات منها قال لها: حلوتي ألا تشمين رائحة عطري؟ قالت سمية له: ابتعد عني. سمية قد شعرت بالروائح كنصال حادة ورغبة التقيأ صارت تلازمها كتنفسها وجهها مصفر كبول مريض مصاب بأنفلونزا حادة وضعف جسدي عجيب، حتى يامن كان عاجزا عن فهمه أشارت للخادمة لتجلب لها كأس ماء؛ أتت الخادمة بكأس زجاجي عليه نقوش وزخارف وثلاثة قطع ثلجية في الكأس، مدت سمية يدها لترتشف منه لاحظ يامن اهتزاز يديها أمسك بالكأس لترتشف منه ومع اقتراب الكأس ازداد دوار سمية ليتهدى رأس سمية على صدر يامن صرخ يامن باسمها.

وبعد عدة رشفات من الماء على وجه سمية فتحت عينها نصف فتحة لتقول له: إني مرهقة. ظن يامن أن سمية مصابة بمرض لم تطلعه عليه تقدمت أخته الكبرى بابتسامة لتقول ليامن: هذه أعراض حمل. توقف عقله عن العمل حملها إلى غرفة نومها لتغط سمية بنوم عميق أغلق باب الغرفة بهدوء ليقف مدهوشا، على باب الغرفة ممسكا بمقبض الباب كان عاجزا

عن إدراك وتقبل، أنه سيصبح أبا استيقظت سمية من النوم بعد أربع ساعات، كانت كفيلة بعودة جسدها إلى حالة متوازنة بحثت عن يامن لتعتذر له، لعل كلماتها قد آثارت حنقة يامن دخلت مكتب مأمون لتجد يامن مع المئات من قصاصات الأوراق الملونة والمزينة بصور وأشكال تبعث في النفس راحة، ضحكت بجنون لكنها لم تخبره أن الأجدر به أن يكون واقعيا أكثر الآن، ويفكر في إنهاء ترتيبه لنفسه بسرعة ليربي المولود القادم، ولكن سمية لم يكن لديها مشكلة في رعاية طفلين بأن واحد ومع انتفاخ بطن سمية وتهدل وتضخم صدرها الذي بات بالإمكان نصب عريشة من العنب عليه.

فرحة مأمون تزداد بحفيده الجديد مأمون كان يجلس لساعات طويله، والجميع يسمع صوت ضحكته وحيدا ويتخيل كيف سيصنع نسخة عنه في حفيده، ويقول في نفسه سأعلمه كل شيء كل ما أعرفه عن حيل التجارة وعن الصيد وسرعة اتخاذ القرارات في الأوقات الصعبة والحرجة، سأعلمه كيف يخشاه الجميع ويطلبون رأيه ورضاه.

يدفعني التفكير عن حاجتنا لاستنساخ بؤسنا بشخصية أخرى نخضعها لمخبرية البؤس، فتح يامن عينيه ليرى أن خمسة أشهر قد مرت بسرعة يجلس على تلك الأرجوحة التي شهدت الكثير من الأحداث منذ يوم ختان يامن وصراخه الذي جعل الأرجوحة تتحرك وتهتز لوحدها يده على طول، الأرجوحة والأخرى فيها سيجارة مع فلتر وأثار القطران ما تزال عالقة عليه، يرى سمية أشرطة زرقاء عند المعاصم والأكتاف والخصر تعود به الذاكرة إلى تلك الأوقات التي كان يصرخ فيها مأمون عليه عندما يسمع صوته يلعب في تلك يصرخ فيها مأمون عليه، عندما يسمع صوته يلعب في تلك الأيام كان مأمون شاب بشعر اسود كثيف وبقايا من طيبة طفولته تظهر بسيماء وجهه ويذكر أول يوم جاءت به الخادمة إلى بيتهم وظن يامن أنها زوجة أخرى

لمأمون بجمالها ولتعنيف والدته له، في الايام الاولى وتذكر أول صفعة تلاقها على خده بعد أن ظهرت لحيته، وتذكر جلسات عبير ولهجتها العصابية في وجه مأمون تقدمت سمية ويدها اليسرى تلوح بها في بها في الهواء عن غير قصد وكأنها تحاول سباحة الأمتار المتبقية لها، لتصل لها لتصل إلى أرجوحة يامن شعرها مشدود للأعلى وأساور ذهبيه تملأ يديها كان مأمون قد اشتراها لها، لسعادته بقدوم المولود الجديد.. بطن سمية منتفخ وكأنه جندي وحيد يحمل ذخائر تكفي لفصيلة كاملة تجلس سمية بجانب يامن على الأرجوحة ليوقف يامن الأرجوحة بقدميه فدوار واحد تمر به سمية ووجهها يبدو كأنه طرق بمطارق حديدية، بيد عامل يحاول جاهدا إثارة إعجاب صاحب عمله ليزيد راتبه الشهري لأنه لا نفع من محاولة التحدث معه، حتى لو صرخ جميع الأنبياء في وجه رجل كهذا ينبغي ألا يشعر أحد بالأسى عليه.

إذا ماتت أسرته حرقا أو بحادث سيارة فإنه لم يشعر بالأسى لأولئك الذين فروا من بلادهم من الحروب والجوع والألم والخذلان، وخسروا طريقة عيشهم بل كان يتمنى أن يلعب معه في أوقات فراغه لعبة الصبر ويختبر قدرة الإنسان على التحمل بعد خسارة كل الحصون العالية المنيعة في قلوبنا.

قالت سمية ليامن: كان مأمون كمختل بعد معرفته أن المولود القادم فتاة شعرت بلآسى تجاهه وتجاهك، عندما بدأ بتوبيخك وكانك قد أخطأت في نثر السماء على الأرض قال لها يامن بلهجة ساخرة: تحطمت وتلاشت رحلات الصيد التي كان يحلم بها مع حفيده فرح قد سمعت صراخ مأمون في وجه يامن باتت فرح بمزاجية حادة.. بدأت ترتجف من الحبل السري وكأنه قطعة ضخمة من شجر القات، وأعقب يامن لا تشعري بالحزن أهم شيء أن يكرمنا الله أن تكون طفلتنا بصحة جيدة.

ولسرعة نمو فرح في أحشاء سمية وللامتعاض الشديد من أعضاء المجلس المركزيين لساعات العمل الإضافية، والجهد المضاعف الذي يبذلونه ونقص الحصص اليومية لهم على حساب أشخاص، لم يدخلوا المجلس المركزي قط قرر رئيس المجلس، وأنبل الآعضاء عقد لقاء مباشر مع الكائن الجديد لتقريب وجهات النظر وخلق نوعٍ من الاحترام يليه ألفة وتأقلم أمررئيس المجلس العضو المركزي الذي يقيم الكائن في بيته، ترتيب اللقاء وحدد وقت اللقاء في وقت استراحة الحاكم المركزيخوفا من توتر الأوضاع ولأن رئيس المجلس يعلم مدى جراءة ووقاحة، الكائن الجديد ارتدى جميع الأعضاء المركزيين أطقم رسمية، بألوان مختلفة منهم من ارتدى ما هو زهري، ومنهم ما هو أحمر وأبيض وشد أنبل الأعضاء حمالات بنطاله ليرسل رسالة واضحة للكائن الجديد بضرورة مقابلته باحترام وإلا سيتوقف عن عمله الذي لا يجيد غيره ليدمر إمبراطورية ضخمة، ومعقدة من المعاملات الورقية والتحويلات وكأنه يقول: نحيا بكرامة أو نموت جميعا على طريقة شمشون أعطى الحاكم المركزي إشارة للسيد النبيل، بضرورة عدم المبالغة بكرامة السادة فالواقع كلمة أخرى حتى على الحاكم المركزي، وقال له بلهجة عامية أنه كائن حي لا تحمل الأمر أكثر ما يستحق ستجري الأمور على ما يرام.

تقدم رئيس المجلس باتجاه الكائن، ولحقه بقية الأعضاء المركزيين.. اقتربوا جميعا من المشيمة، الذاكرة المؤقتة ومخزن إطعام المشيمة قريبة من جدار الرحم وكأنها حقيبة مدرسية في الأشهر الخمسة لوجود فرح، نهض العضو المركزي الذي تقيم فرح في منزله، بتحية رئيس المجلس المركزي والسادة الأعضاء على زيارتهم وتفهمهم وتواضعهم ورحابة صدرهم وقدومهم لمقابلة الكائن الغريب، تقدم رئيس المجلس باتجاه فرح ليقدم نفسه وبالسادة الأعضاء. افتتح حديثه في البداية قائلا: أحييك على شجاعتك

واقتحامك السريع والفعال وشخصيتك القيادية البارعة، التي جعلتك تبني كل هذا وأشار إلى الرحم والمشيمة والحبل السري، قال: أرى كل شيء أمامي لتصمد قلعتك سواتر لحمايتك ومصدر غذاء، وقاعدة متينة وقوية تحمل أثقالك وحرك الكائن الجديد، ثلاث أصابع من يده اليسرى ليحيي رئيس المجلس والسادة واستهل خطابه قائلا: لست بحاجة أن تعرف بنفسك سيدي رئيس المجلس فما وجودي إلا نتيجة لبراعاتك واحترافك بعملك أما بقية السادة لا أعرفهم بأسمائهم، ولكني أكن لهم الاحترام لأنني رأيت إتقانهم بالعمل وبراعة كل عضو منهم، في مكانه ومقرّ عمله وأود الاعتذار لهم عن ساعات العمل الإضافية التي يقومون بها لأجلي واعتذاري الخالص لجانب رئيس المجلس لعدم استئذاني بالدخول والبناء، ولكنه يعلم أهمية دفاع كل فرد عن وجوده حتى لو اضطر إلى استخدام الأساليب القذرة في سبيل ذلك الأعضاء المركزيين كانوا قد امتلئوا نشوة.

تفقد كل عضو منهم أكثر أغراضه أهمية له عدل أحدهم دبوس ربطة عنقه، وحرك الآخر خاتمه الفضي وبعد ابتسامة عريضة ترتسم على وجه رئيس المركز كان الوقت قد حان ليعرف الكائن بنفسه، ولكن رئيس المجلس لاحظ ارتباك فرح فسارع بالقول أعرفكم أيها السادة بفرح البنت عندما تكرم علينا الحاكم المركزي أن تعيش بيننا، أرادت فرح كسب ود أولئك الحمقى لتسهيل طريقة عيشها، وبينما فرح في الرحم بجلستها الجنينية وكأنها تحاول إخفاء كتاب ما، وكأنه ستقوم به في حياتها مدون في ذلك الكتاب لا تستطيع قراءته إنه يحاول فقط أن يخفي ما فيه من تجاربه من الحياة، بعد أن يتعلمها يكتبها الأمر شبيه بتغميق الحبر فوق الكتابه؛ ليبدو واضحا أمامك واستهلت فرح بالتحدث عن الحياة السرية للحاكم المركزي، وما عاناه من ألم وخسارة وخيبة طوال فترة حياته، وعيون الأعضاء المركزيين تتألم

لذلك ويقولون: المسكين كان لوحده وتحمل كل تلك المصائب والحياة القذرة.

الجميع قد سمع وأنصت بإمعان وتحركت مشاعر الشفقة والرحم.. قررأعضاء المجلس المركزي زيادة ساعات عملهم وتأمين كل ما تحتاجه فرح لإنجاز مهمتها في أسرع وقت، فيما بعد بدأت فرح ترفس بانتظام معين وكأنها تسأل سمية بشيفرة مورس: متى سيحين موعد خروجي من هذا المكان ضربت سمية بيدها على بطنها ضربتين.. ضحكت فرح وتملكها الشغف لرؤية وجه الحاكم المركزي.

المئات من قطع البلاط الأبيض تلمع وعلى الجهة اليسرى مكتب خشبي مليئة بجداول، ونتائج أولية لفحوصات المرضى تقف فتاة عند قدميها صندوق كرتوني مليئة بصور أشعة لأكثر الحالات مثيرة للضحك، في إحدى الصور تبرز خطأ طبي لتدرب يهتم بذقنه الحليقة وسترته البيضاء وأكثر من اهتمامه بنسيان مقص في بطن المريض، صورة ثانية لخاتم خطبة عالق في بطن فتاة سمينة قد أفسدت فرحة ذلك الشاب بخطبتها تناولت قطعة ضخمة ليلمع ذلك الخاتم في بطنها فيما بعد.

تراجع ذلك الشاب عن خطبته وأمضى عمره يروي القصة لكل فتاة يتعرف عليها، وصورة ثالثة لطفل رضيع قبضته الصغيرة ملتمة على بعضها ما عدا أصبعه الوسطى، وصورة أخرى لكمية مخدرات ملفوفة بصور مجلة خلاعية في بطن مراهق اضطر إلى بلعها لتهريبها، وفي فم موظفة الاستقبال علكة ضخمة بحجم رأسها وعلى رأسها قبعة بيضاء ولكنها أبعد ما تكون عن الرحمة، أشبه ما تكون بموظفة استقبال في دار بغاء الشيء الوحيد القادر على رسم ابتسامة على وجهها هو النقود، ورجلان في الممر يعملان بطريقة

معاكسة لبعضهما أحدهم حليق اللحية ويبدو عازبا لأنه رأى قماءة وقرف إفرازات النساء في قسم التوليد، والآخر بلحية مكتملة أسمر الوجه خاتم زفاف يلمع ويبدو أنه توظف حديثا من طريقة عمله يمسك كلاهما بممسحة للأرضية، ورائحة معطر الجو تبدو كرائحة الورود السامة يدخل يامن وأخته الكبرى تحمل حقيبة محشوة بالكثير من الأغراض وسمية على كرسي متحرك، تصرخ بكل ما أوتيت من قوة وكأنها تنادي يامن وهو يقف على شفا جرف في قعره أحجار صخرية كبيرة وقاسية كقسوة الحياة كفيلة أن تجعل دماغه ملحا.

سمية تمسك بعوارض الكرسي المتحرك وكأنها تمسك بأشلاء يامن، بعد أن كان يؤدي إحدى حركاته المضحكة والشيء الوحيد الذي يسيطر على عقلها، هو أن تخرج تلك العاهرة من أحشائها بسلامة أضواء بيضاء دائرية قد أنارت الممر بأكمله، وكأنه غرفة عمليات على طول الممر غرف مليئة باولئك الذين يعانون ولا شيء سيخفف من معاناتهم سوى حفنة وريدية، مركزة في الغرفة الأولى كان هناك عجوز وحيدة توقف قلبها ولا أحد يحاول إنعاشها، وكأنها قد تسببت بالأذى طوال حياتها، لمن هم بقربها وعلى الجهة الأخرى شاب كسر عظم الترقوة وتحول وجهه إلى يخنة عظام ودماء قاتمة متخثرة لأول مرة في حياته وكسر نظاراته التي تساعده على القراءة، ولحالته الحرجة كانت قد منعت زيارته أصدقائه وعائلته في الخارج ليشير لهما بيده على الجهة الأخرى من الممرّ، كانت تقف امرأة تمسك بيد رجل عجوز فارق الحياة ودموعها تتساقط أتساء..ل عن ذلك الشعور الذي يسيطر علينا فيجعل دموعنا تتساقط الشيء المزعج في الدموع أنها لا تمحي آثار ندوب أفعالنا بل تزيدها وضوحا إلى درجة أنها تحاول المقامرة بكل شيء، ونحاول أن نقترب من الموت مرات عديدة فقط لنشعر أننا نستحق الحياة.. هل مجرد

نزول تلك الدموع ومحاولتنا تصليح أخطائنا كفيلة أن تمحو تلك الندوب في الذاكرة، وبنفس الوقت تخرج من أكثر أعضاء أجسادنا حساسية، وتبكي تلك المرأة الثلاثينية بحرقة من المؤكد أنه كان والدا داعما ومحبا ومتسامحا، في الغرفة التي تليها فتاة ترتدي فستان عرس أبيض، طلاء أظافرها أسود وتضع مكياجا فاقع اللون، في رقبتها طوق كطوق كلبة شاردة تتساقط بغزارة الدماء من لباسها الداخلي، وفي الغرفة التي تليها فتاة صغيرة أصيبت ركبتها، يبدو أنها سقطت من دراجتها الهوائية، خدش جبينها وذراعها وغرفتها تضج بعائلة كبيرة محبة وباقات الورود، وبطاقات التمني بالعافية والسلامة تملأ الغرفة، وفي الممر حالة إسعافية على نقالة الرقعة الآدمية ليخبر الجميع على إفساح المجال ليأمن لصدره المتسع وأكتافه العريضة، وقبضته الضخمة، زرعت الخوف في قلوبهم وكان هناك كارثة معلقة في الهواء الجميع، يتمنى أن لا يكون جزءا منها وحتى المريض المصاب اكتفى بالقدر الذي يعانيه، اقترب ليصل إلى ذلك الباب ذي الدفتين أبيض اللون ليسمع يامن صراخ عشرات النساء وكأنهن وقعوا بيد أخوية لاغتصاب النساء، خرجت امرأة سمراء تمتلك ملامح جدية وقاسية كافية لصهر مجرم سفاح، بمجرد النظر إليه لتمنع يامن من الدخول وتقول له: اقرأ اللافتة ولا تقلق ستكون بخير تستطيع الانتظار في قاعة المدخنيين، وأشارت بيدها إلى رواق في تلك القاعة، دخل يامن ليرى عشرات الرجال يدخنون حتى أولئك المصابين بالربو وأكثر ما أثار انتباهه، أرض القاعة المزروعة بأعقاب السجائر التي تروي قصص انتظار وقصص خيبة مركزة، تفقد يامن جيوبه ليشعل سيجارة، ولكنه تذكر أنه خرج مسرعا ولم يحمل معه شيئا حتى بطاقته الشخصية لاحظ أحد الرجال ارتباك وتوتر يامن وسارع بإعطائه سيجارة، كان رجلا في السابعة والثلاثين معه ثلاثة أطفال صغار ذكور قال له: لا تقلق ستكون بخير جميع

الأزواج يحاولون إنجاب الأطفال فقط ليناديهم أحد بأسمائهم باحترام، ولنشعر أن هناك أحد ما على وجه الأرض بحاجة إلينا، لنكسر وحدتنا عندما نتقدم بالسن ولأنهم قد فقدوا ما يريدون في كل مرحلة من مراحل الحياة، نكون قد أردنا شيئا استوطن في أعماقنا وقليلون أولئك الذين يتساءلون عن سبب كونهم أحياء إلى ذلك الوقت، ويفكرون في كل لحظة عن آخر شيء فعلوه ليصلوا إلى أهدافهم لا شيء يعادل بؤس استيقاظك في الصباح.

وأنت تفكر في تدبير وجبة الغداء، وتنسى فيما بعد بثلاث ثواني من تعرضنا للمشكلات هي السعادة بالمفهوم الأرضي.

أدخلوا سمية إلى صالة فيها العديد من حالات الولادة، أغلقت ممرضة شقراء ستائر زرقاء لتحظى سمية بخصوصية مزعومة، وسمية تمسك بيد أخت يامن إنّها قد حققت هدفها، وباتت علاقتها مع سمية أقوى بأضعاف مضاعفة من علاقتها مع عبير، دخلت مختصة التوليد إلى تلك الصالة وباتت تسأل سمية بالاسم، ويبدو أن القدر علم يامن بعض الخدع في أن يجعل الجميع يهتم، تفقدت اتساع فوهة الرحم لتقول لها حاولي أن تدفعي أكثر وركزي الدفع على القسم السفلي، إنك تجدين نفسك بدون فائدة أكتافك عزيزتي ليست هي المسؤلة عن خروج الجنين، دخلت تلك الممرضة الشقراء مسرعة وتقول للمختصة أن هناك حالة حرجة، أحد الأجنة سيختنق بالحبل السري ولكن يبدو أن الجميع يتقن خدع القدر.

في نفس الصالة كان هناك امرأتان تصرخان بشدة أعلى من الجميع، وكأن الوغدين قد أقاما مباراة ملاكمة للوزن الثقيل، والبقية راهنوا بمبالغ مختلفة إحدى الامرأتين تعود إلى أصول إفريقية، وفي زخم تلك الصرخات والرغبة الممحوقة بتذوّق نشوة النصر وليطلق عليه الجميع لقب: أفضل مسدد للكمات الخطافية المفاجئة لتنزف تلك المرأة بطريقة بشعة وسرعة

مختلفة عن كل حالات الولادة، خرج وهو يهتف بيده ويصرخ ولكن لم ير إلا عيونا هادئة وخائفة والجميع ينظر إليه: ماذا فعلت أيها الأحمق؟ لقد تسببت بالأذى للشخص الوحيد الذي يهتم لأمرك فعلا، فيما بعد أقسم على عدم ملاكمة أحد مهما كان السبب وملامحه الإفرقيقية الجادة كانت كفيلة دائما لإنهاء نزاع.

وفيما بعد سمية تجد نفسها وتركز ضغطا عاليا كافيا لسحق سيارة، أثار انتباههما أخت يامن الكبرى روزنامة معلقة على الحائط ويبدو أن صالة التوليد قد نقلت حديثا، فنسي أحدهم إزالة ذلك التقويم ولكن عامل التنظيفات لم ينسَ أن يقطع ورقة كل يوم وهو مسرور باقتراب مرتبه الذي يكفي ليعيش وحده دون زوجة أو أولاد طوال عمرها أصابها هاجس تملك تفكيرها، لدرجة أنها لم تعر اهتماما لصراخ سمية الذي بدأ بالازدياد وكأن فرح مقدر لها أن تبقى وحيدة دائما ولدت في شهر ويوم فرديان ٥.١ سيبقى هذا التاريخ عالقًا في عقل أحد بعد أن يخرج من بلاده.

خرج ماء الرأس بسرعة تفوق إفراغ قدر من الماء، ورأس فرح يبدأ بالضمور كمقدمة سفينة شقت دربها في الجليد.

المحركات الضخمة في الجزء السفلي للسفينة تصدر هديرا عاليا، والأعضاء المركزيين يتصببون عرقا، وأصواتهم تتعالى بشكل جنوني كنفير عام للمحافظة على سلامة الحاكم المركزي، وخروج فرح سارعت الأخت المحبة لاحضار مختصة التوليد وأقراطها وأساورها الذهبية، جعلت المختصة تسرع وكأن ابنتها هي في المخاض، وفوهة رحم سمية تبدو كمدفعية تطلق آخر قذيفة لتنتهي الحرب. أدارت المختصة رأسها بحرص وعناية فائقة كأنها تفصل أسلاكا منظومة صواريخ لتتلقى فرح أول توجيه تتسع فوهة الرحم عند الولادة أول الأمر، تسعة سنتمترات بعد شهور الحمل الطبيعي وكأنه

بمقدار تجربتنا ونمونا العقلي والجسدي، تكبر فرحتنا للخروج للعالم بشكل أفضل .

يد المختصة تبدو وكأنها مليئة بمربى سميكة ولزجة، طبعت أصابعها على لوح زجاجي، حملت الممرضة الشقراء فرح ولم تكن سعيدة بمقدار المبلغ النقدي الذي أعطاه يامن لها بقدر سعادتها، ذلك الموقف ولكنه سرعان ما تلاشى فالنقود سلطة في العالم الذي نعيش فيه وكل المشاعر والعواطف مجانية، مقابل بذل بذرة جهد واحدة لنحصل على المال تفوح منها رائحة الليمون، أول غطاء يغطي جسد فرح الذي ستجد نفسها بظهوره فيما بعد.

حصان أبيض اللون على أحدهما سراج أسود يغطيه بالكامل، إلا موضع عينيه كعجلات خشبية ضخمة كل عجلة منها تبدو حالة جوية ما رجل يقود العربة بحرفية ومهارة عالية، ولكنه لا يجلس، يبقى واقفا وومسكا بحباله التي توجه الحصان أمامه في الخلف صناديق كبيرة ومتسعة، لا تستطيع أن ترى آخر صندوق فيها مليئة بصور وقصاصات ورقية، مكتوب فيها أرقام وعناوين مختلفة ويبدو السائق مسرعا وبطيئا، بآن واحد، قلنسوة بيضاء ضخمة تكفي لئلا يصاب أحد في القارات الثلاث بالأمطار، إذا تساقطت. شعر طويل وكثيف إلى ظهره ولكنك لا تستطيع أن تعرف شعره الأبيض أم الأسود هوالأكثر يشد الحبال بقوة كافية لإزاحة جبل صخري من مكانه، عروق يديه تنبض بالحياة وتضج بالحركة والسرعة وكأن محيطات الدنيا تجري في عروقه، وكل ما تراه من وجهه هو ابتسامة عريضة لرجل يعرف كل القصص والأجوبة، ولكن يده مقيدة بسلاسل حديدية لا تمنعه من عمله ولكن هنا كوجه ويلتزم بنظام وعمل رتيب معين ومفصل ولكنه مع براعته في عمله، إلا أنّه يترك بعض المسائل عالقة عن درايةٍ مسبقة كنصل سيف ساموري بيد مقاتل محترف قد غرس نصفه في الأرض، وكسره إلى

قسمين قسمه قسمه العلوي أعاده إلى الغمد ورأسية السيف بقيت مغروسة في الأرض، وفي الكثير من الأوقات تتغير الكتابات على الأوراق في الصناديق فيغير اتّجاه عربته ويعرف كل تلك الطرق الضيقة والسرية، ليصل أسرع في طرف حزامه سوط منقوش عليه كتابات صغيرة، لا تستطيع أن تقرأها ولا أن تفهم معناها.. إنها تلمع فقط كالنجوم في الليالي المظلمة وعيون أحصنته هادئة دائما، وكأنها رأت الكثير فباتت تعلم أن كل شيء يحدث بسبب شاحنة ضخمة محملة بالأبقار.

وللطريق الطويل التي سلكته بين كل تلك الطرق الوعرة، لا تستطيع أن تعرف لونها لكثرة الأوحال التي تغطيها سائق الشاحنة منهك القوى يداه وقدماه بالقيادة تتحركان، دون تفكير إنها فقط تتحرك بنفس طريقة تناول وجبة الغداء في عملك، وتركيزه منصب على ابنته الصغيرة المصابة بالسكري، كانت أمّها قد توفيت أثناء ولادتها فكبرت عن زوجة الأب امرأة طيبة ولكنها في ذلك اليوم كانت مهتمة ومنشغلة بتهيئة نفسها ليلة حمراء، ونسيت إطعام الصغيرة تسلقت لتفتح باب الثلاجة لتبدأ عجلات المبرد بالصرير، لتسقط على قدماها لتمسي بغيبوبة مسافة طويلة جدا، ليعود السائق فورا وتبقى أمامه ستين ميلا فقط ليصل إلى المزرعة لتوصيل الأبقار ليعود ولم يخسر عمله، صوت حوافر الأبقار وأجراسها أصابه بحمى التذهين فبات يرى كل الإشارات المرورية أكواما من التبن وكلابا على طول الطريق، شعر رأسه قد تساقط لما مر عليه من زوجة متوفاة أحبها أكثر من كل شيء وطفله مصابة بالسكري وعمل مرهق، ومردود ضئيل مع ساعات سفر طويلة في صبيحة ذلك اليوم كان كل شيء هادئا، قرب المزرعة الكلاب والقطط وحتى الحشرات تقف بانتظار أمر ما، استيقظت أصغر بنات صاحب المزرعة سنا في السادسة من عمرها رتبت فراشها وأمسكت بدميتها دخلت أمها الغرفة

وفي يديها فستان جديد، لأن اليوم عيد مولدها وبعد أن انتهت والدتها من تصفيف شعرها باتت تبدو كأميرة من عصر النهضة، في قصر أحد النبلاء جلست على حافة الطريق وتضع يداها الضغيرتين على رأسها، تقدمت نحوها صديقاتها واحدة بنفس عمرها والأخرى أصغر سنا شقية الكبرى قالت لها: تعالي لنلعب.

لم تتكلم بأي كلمة لتبعدهم بقوة لم يسبق لها أن فعلت ذلك، لطالما كانت ودودة محبة ومحبوبة قالت لهما: عليكما أن تغادرا الآن أعطت دميتها للفتاة الصغيرة وأسوار زهرية اللون في يديها للفتاة التي بعمرها إني أسمع صوت أجراس الأبقاروهي قادمة.

يامن وصل إلى المزرعة لشراء بقرة لأن عيد الأضحى، قد اقترب وقف عند التقاطع أشعل سيجارة وهو يتذكر النصائح التي أملتها سمية عليه لئلا يخدع بمبلغ مرتفع وبنوعية سيئة، الشاحنة تتقدم بسرعة جنونية والفتاة الصغيرة عقدت إصبعي السبابة والوسطى، لتتمنى حظ جيد وصوت العربة الخشبية أقوى وأقوى من صوت محرك الشاحنة الضخمة أدخل سائق عربة القدر يده في حقيبة لتمتلئ يده بذرات ضغيرة تلمع وتبرق رماها لتمتلئ رئتا الحصان بالهواء فيدفعوها بقوة وسرعة، إنها تتطاير في الهواء لتدخل بعين سائق الشاحنة المتعب من أسباب الوجود وفي عيني الطفلة الصغيرة، لم يستطع السائق أن يرى تلك الذرات البراقة ولكت الطفلة الصغيرة رأتها وضحكت، ركض يامن تجاهها لينقذها ولكن قدم السائق على دواسة الوقود أكثر قوة وسرعة، طارت الطفلة الصغيرة إلى خارج سديم الأمكنة، جسدها أكبر وأسرع ولكنه خفيف مثل عملة ورقية يعبث بها الهواء مثل طائر ناري،

اخترقت حدود السماء يامن عاجزا عن فهم ما حصل للتو أمامه كان عاجزا عن تذكر أسمه ظن أن الصغيرة هي فرح جلس بلا حراك حتى رأى رجلًا آخر يفقد ابنته وتصرخ أمها باسم مختلف عن اسم فرح، عاد يامن إلى بيته مسرعا لينادي بأعلى صوته: أين فرح؟ ظننت سمية أن فرح ابنة العشر سنوات، قد أحرقت مستودعات حبوب مأمون، دخل يامن غرفتها ليضمها إلى حد أن قالت فرح: أبي إنك تخنقني. وهو يقبل يديها الصغيرتين ويقول: الحمد لله، إنك لست هي، تفاجئت سمية وظنت يامن قد جن، سحبت فرح من بين ذراعيه في البداية وبعدها ستتأكد أنه جن فعلا أم هي إحدى نوباته العاطفية الحادة.

وبعد أن هدا يامن من نوبته الحادة أسند رأسه على صدر سمية وهو يبكي ويقول لها: لا تتصورين كم تألمت عندما ظننت أن فرح هي مكان تلك الطفلة الصغيرة. قالت سمية له: هذه إشارة القدر لنا لنهتم بابنتنا فرح أكثر وأن الجميع سيتعرض لمواقف صعبة وقاسية. أقطع عمدا لي أنه إذا وقعت فرح لإحدى تلك المواقف القاسية الكافية؛ لصهر جبل ستكون أب داعما ومتفهما، مهما كان السبب وأنت تعلم أن اختيار الله لنا في كل مرحلة من مراحل حياتنا هو الأفضل لنا. قال لها يامن: أعدك.

استيقظت فرح من نومها لترى ملابسها الداخلية مليئة بالدماء ظنت أنها سوف تموت، سارعت بالركض إلى سمية وهي تقول بحرقة: سوف أموت. ولأن سمية اعتادت عجز فرح عن فهم أصغر تفاصيل الحياة لأن سمية ويامن ربوها بطريقة تحميها من كل شيء، قالت سمية لها: ماذا حصل هذه المرة؟ قالت أني أنزف. التفتت سمية بكل جسدها وتفتش برأسها عن مكان النزيف، يداها ساقيها لا شيء قالت سمية بلهجة حازمة ترافقها طمائنينة.. حلوتي هل كنتي نائمة وحلمتي بكابوس كالعادة؟ قالت فرح: لم أجن بعد وخلعت

ملابسها الداخلية. ضحكت سمية لدرجة أنها جلست على الأرض، وعيناها تبرق سرورا، لقد كبرت يا حلوتي. وفرح تظن سمية هي التي جنت فقالت: تضحكين لأني أنزف؟ وشعرت سمية أنها قد كبرت أكثر. بدأت سمية بالشرح لها قالت: اجلسي أيتها الغبية ألم تتحدثي أو تسمعي من صديقاتكي يوما هكذا حديث؟ قالت فرح: وكأنكما تسمحان لي بلقاء أحد أصلا.

دماء حمراء مشوبة بسواد لا تبدو كدماء القتلى أو المصابين، تبدو كدماء في طريقها للتخثر لجثة أحد ما قتل بطريقة سخيفة، لسبب أسخف رمي في حفرة مظلمة ولم يضعوا عليه حبة تراب واحدة، تنتحر البويضة عندما لا تجد من يشاركها الحياة فتفضل الموت على البقاء في كهف مظلم وحيدة وعندما تمتلئ ذلك الكهف بجثث المصابين بالوحدة، يخرج ذلك السيل الجارف لعشرة أيام إذا كانت الجثث مكدسة فوق بعض وليعطوا الباقين فرصة أخيرة للانتحار، وكجائزة ترضية للباقين تفتح فتحة في السماء لينصب ماء الحياة بغزارة، تجعلهم ينسون من انتحر ويبدعون حياة جديدة فيما بعد إنها ببساطة قصة وجودنا.

في البداية سمتها فرح اللعنة، وسمية تقول لها ليست لعنة إنها هبة الله لنا لنهدي الأرض أجمل الأشياء ولا تنسي كنت نتيجة لسنوات من اللعنة على حد قولك وأنا مسرورة لذلك.

الفصل الثالث

استيقظ شاهين من نومه قبل ساعتين من موعد استيقاظه في العادة، ويسكنه الارتياب والتشوق في آن واحد لينتقل في هذا اليوم بمرحلة أخرى من عمره إنه أول يوم في دراسته الأكاديمية ولكن ذكورته قد ألبسته عباءة مقرفة، الأمر شبيه باستيقاظك وأنت تتلقى ضربة على رأسك. وجد نفسه مضطرا أن يغسل جسده النحيل الممتلئ بماء رجولته، ابتسم ليتحسس عضلات معدته الصغيرة وانتابته فكرة أن يرسم رعد بلون أحمر على صدره ويبدو أن كل كالونات الكافور بخزانات المياه التي واظبت إدارة السكن الأكاديمي على وضعها باستمرار لم تجد نفعا، دخل الحمامات ليجد المياه الآسنة تطوف من البلوعات وكأن ضفدعا متأهبا سيخرج، ولانقطاع المياه المستمر والمتكرر فضلات الجميع تملأ المكان وصنابير المياه معطلة، صنبور واحد لغسيل الملابس والأواني وضوء أصفر بوقاحة وثلاثة حمامات فقط لعشرة غرف، في كل غرفة خمسة عشر شابا متعرقا وإفرازاته الدهنية تنبؤك برجولة كل منهم. الحمام الأول مليء بكالونات مياه فارغة إلى السقف وبينما الحمام الثاني زجاجه مكسور بالكامل الأمر أشبه أن تتبول في مكان مظلم لتسمع صوت ضحكة لتعلم أن الجميع يراقب، ولكنه ليس مهتما، دخل الحمام الثالث ليجد حائطا لم يكتمل طليه. يتدلى من السقف إنبوب معدني يقطر منه الماء يفتح الصنبور ليخرج منه مياه باردة كبرودة تصرفات المسؤولين عن السكن الأكاديمي، الذين كانوا يواظبون دائما على التوبيخ لانحدار المعدلات الدراسية ويتكلمون بواقعية عن الوضع الذي نعيشه ويسارعون دائما بوضع أنفسهم مكانك، وكل الخزانات المياه الضخمة التي تحيط بسكنهم غير موجودة ينظر شاهين في المرآة ويخشى أن يفقد نفسه في

خضم ذلك الوضع المعقد الحقير يمشي بهدوء وينفث سيجارة وحيدا دائما ويرى رجلا بشوارب ولحية محلوقة وشيب أبيض زار رأسه وابتسامة لا تفارقه وجهه،ا وأنيق كجرنال حازكل شيء ويبدو رجلا طيب لم يسبق لأحد أن رآه قد أذى أحدا ولكنني أعلم جيدا أنه أجبر يوما على أذية الكثير وكيف لا يكون ذلك وعمله يقتضي ذلك والجميع يكن له الاحترام والحميع يعرفه وهو الرجل الوحيد الذي أشار إلى شاهين يوما أن يرتدي معطفا من الجو البارد وهو الوحيد الذي كان يحث شاهين على الابتسام والنظر إلى الحياة بطريقة أخرى، أقسم أمامه يوما أنه سينتقم ممن يرسم الحزن على وجهه، ومع ذلك لا أعلم ما قصته مرتبه الضئيل وشراءه لسيارة فاخرة كان الأفضل في عمله. على الطرف الآخر من الشارع بقالة صغيرة يوجد فيها الكثير بمقادير مضاعفة على الجانب الآخر منه شفرات حلاقة وأواني زجاجية وبلاستيكية والعشرات من الوشائع الكهربائية وطرود معكرونة تصل إلى السماء، وسجائر تكفي للجميع وشاب طويل القامة ونحيف لم يسبق لي أن رأيته جالسا سريع بالعمليات الحسابية فقد أتقن لعبة عمليات البيع والشراء والعشرات من القطع النقدية ورزمات لا تنتهي من العملات الورقية المهترئة، تروي مدى تدهور الوضع الاقتصادي وصل شاهين الشارع العام مليئ بالشاحنات الضخمة حمولة ضخمة مغطاة

يقع على عاتقه مسؤولية وأثقال من نوع ما وامرأة وطفلين يحاولون العبور إلى الضفة الأخرى وسيارات مسرعة دائما. هناك أجزاء من الشارع لم تمسها قدم بشر قبل ذلك وحياة الجميع كدولاب السيارات المسرعة دائما، يتهادى باص صغير أبيض اللون ليقف قرب شاهين السائق يبدو أنه غير مكترث لشيء ينفث سيجارة بهدوء وثقل ما مر به، ووجهه يبدو كمنجم ملح جلس شاهين على الكرسي الأول إلى جانبه شاب يبتسم كل ثلاث دقائق

فجسده يحاكي مخيلته يعرف طعمة الحب والتوله بأحد، يظن أنه مجنون وأطراف حذائه تلمع ويبدو أن الشاب قد اهتم بطقوس الأناقة وكنت على يقين أنه بمجرد نزوله من الباص، سيمضي طريقه بتفحص نفسه على زجاج المحلات لا بد أنها فتاة جميلة تلك التي سلبت عقل هذا الشاب، أو أنه قد يكون أعمى التجربة يحمل في يديه ملخصات كثيرة، يبدو أنه مهتم بنجاحه ونجاح تلك الفتاة خرج مبكرا ليستمتع بانتظارها .

وفيما يسرع السائق بالقيادة ليحصل على نقلة إضافية وأشعة شمس قوية وحارقة، تختلس عينا شاهين النظر للشارع ليرى ظل وحيدا هو ظل الباص الصغير الذي يقلهم وتتباطأ سرعة السائق ويمسك بيده عبوة ماء وبدأ بشرب المياه، بطريقة تشبه شرب الأبقار، ارتفعت شفتاه العلوية في البداية وعينيه تتجول في الطريق وبعبوة المياه بنفس الوقت وفي المقعد الثاني تجلس امرأة تجول عيناها في وجوه الجميع وتتحدث بمواضيع بمنتهى السخافة وبعد أن تنهي كل قصة من قصصها تضحك لوحدها، وتنتظر استجابة من أحدهم تجلس إلى جانبها امرأة بيضاء وتحيط رأسها بخمار أسود كالسواد الذي تحت عينيها يبدو أنها سهرت لأيام طويلة وهي تفكر في أمر ما، ولا تستطيع أن تحرك ساكنا فهي تفتقد الخبرة والتجربة الحياتية وترفض أن تتصرف كأنثى فقط، كأنثى جسدها ليس للتسويق تتمتم بتسبيحات وأذكار قدسية تنتمي للعالم الأعلى لعالم أسمى يتساءل شاهين في نفسه: ما الذي يجعل تلك المرأة والشابة يستمرون بالحياة ولا تنتابهم رغبة بإنهاء حياتهم؟ كان شاهين قد تنبأ بقصة المرأة وخصوصا أنها أخرجت صورة

شعرت أن الجميع قد ضاق ذرعا بأحاديثها المطولة، قبلت الصورة وأغمضت عينيها وكأنها تنتظر ذلك الخدر الأبدي الذي يأخذها من نفسها ومن كل شيء لتشعر بالراحة. الإيمان هو شيء ثمين ذلك الذي جعلهم يتحملون كل تلك الألم والخيبة والخسران وضحكت الإمرأة بطريقة أولئك الذين ربحوا كل شيء أو خسروا. في خضم تلك اللحظات المفعمة بقصص الوجود يسمع شاهين صوت قهقهة وضحك ثلاثة رجال في المقعد الأخير تجاعيد وجوههم قاسية وأيديهم خشنة وقاسية بقساوة حديد الباص الذي ينتقلون فيه مجردين من كل شيء: الدين والاخلاق والمبادىء ويبدو أن النقود هي فقط من تتكلم بجراءة في عالمهم، يبدو أنهم أمضوا سنوات طويلة بالأعمال الشاقة. كانوا يرتدون ملابس موحدة زرقاء وبيضاء ويدمنون على روي النكات البذيئة وطريقة القاءها مكانها وتوقيتها يكشف للجميع مدى وقاحة الواقع ورجل عجوز بلجية وشعر أبيض بالكامل ويظن أن الجميع يحيا على تلك المبادئ التي تربى عليها وقبعة سوداء على رأسه، عكاز خشبي بهت لون قبضته تتباطأُ سرعة الباص بشكل عجيب لنرى عشرات من السيارات أمامنا بات الكل خائف ومضطربا وعصابي يحتاجون إلى عكازة وجودية كسجين لم يحصل على وجبة غداء أخيرة.

توقف الباص أمام شاب أسنانه تبدو كحقل قمح وانتابت شاهين رغبة شرهة عملاقة بالتدخين لتغطي على رائحته المقرفة، أحمر البشرة وضخم الجثة وساعديه كافية لتحريك طاحونة لوحده يسارع بتوجيه الأسئلة غير المنطقية للشاب الذي يجلس إلى جانب شاهين ولكثرة تلعثمه يبدو لعابه كلعاب كلب. شعر أنه غبي بطريقة ذلك الشاب بإجابته .

بدأ بتفتيش ذلك الشاب فوجد نظارات طبية يلمع إطارها الزجاجي، كانت عشيقة ذلك الشاب قد أهدتها له يوما لترى العالم بعيونه وعندما

استشعر المسخ الرائحة النسائية في النظارات، حطمها بحذاء أسود ضخم صرخ ذلك الشاب في وجهه وكأنه فقد بصره وكأنه خسر شيء عميق وجميل استوطن روحه.

تحدث ذلك العاهر عن مقتل الشاب على أنه أهون من من نفوق جرذ في المجاري على الأقل ذلك الجرذ سيصدر رائحة ليعلموا أنه قتل، بينما موت ذلك الشاب لا شيء لا شيء، سكت ذلك الشاب. حاول ذلك الرجل العجوز التدخل لتخفيف حدة الموقف فقال له: تنتابني رغبة عملاقة بحجم المجرة للبصاق بوجه المتحذلقين وكان شاهين قد شعر بثقل يد الله على كاهله وبعد أن اكتفى من الاستهزاء بالجميع أكمل الباص. طريقه بصق الرجل العجوز ويبدو مجهدا وعطشا وفي عينيه نظرة تضاءل كل شيء وشعر أنه مسلوب القوة والإرادة بصقته تختصر مذكرات البؤس الإنساني وقال لذلك الشاب: مهما فعلنا لن تستطيع أن نحرز نصرا للكرامة أو الإنسانية فلا نفع من محاولة قص لوح زجاجي بسكين حادة أجابه الشاب لو اقتصر عمل هؤلاء، كإشارات مرور للحفاظ على حياة أحدهم كنت لأكون رجلا سعيدا. وسلسلة تتدلى من رقبته ورأسه محلوقة بشفرة وعلى صدغيه شيب إنه في الثالثة والعشرين دخن سجائر بعدد طلقات الكلاشنكوف في الحرب الأهلية في لبنان وشره للتدخين السجائر هي الشيء الوحيد الذي ينقله إلى حدود تتسم بالكثافة والثقل. جسده هزيل وعيناه تشي بأنه أمضى وقتا طويلا بالتنسك يوما ما. نظراته حادة وفي دمه تجري كل عصارات البؤس الإنساني لا شك أن إدمانه للأدب المأساوي أوصله إلى هذه الحالة يمشي بهدوء علامات أخباره أن يبدو بهذا المظهر ولأن المظهر ولأن جزءا منه قد سئم من كل شيء ، ولا شيء قادر أن يجعله يسامح نفسه حتى لو نزلت ملائكته بقطع قماشية خضراء معطرة تبشره بالعفو، ويردد دائما في نفسه: وماذا عن مغفرتي لنفسي؟

يمشي بطريقة توحي أنه ذاهب لقتل أحد ما، عروق يديه تنبض وظاهرة دائما بوقاحة وكأنه مستعد لمعركة دائما أو أن معركته لم تنتهِ بعد. وصل شاهين إلى باب الأكاديمية إلى ذلك الباب الحديدي وكأنه باب سجن أسود اللون ويقف عنده حمقى آخرون، ولم يكن أكثر سعادة يوما من ذلك اليوم الحلم الذي جمع خمسة شبان لخمسة سنوات قد تحقق وقف مدهوشا وصور الكثير تتراءة أمامه، تذكرت الشيء الوحيد الذي كان يجعله يستيقظ في السنوات الأربع الماضية ليقترب من تحقيق حلمه ويضحك وتنتابه رغبة بالبكاء كان الناجي الوحيد بعد كل تلك المعاول الحادة فقد ابتلعه التراب ونام تحت الجلد هذه الأرض، ولا زالت رائحته دمه عالقة في رأسه ونظراته قبل خروج الروح تعذبه، وها أنا بعد سنتين أقف وأنادي باسمه لئلا أجده: خذلوك يا صديقي الطيب وتركوك وحيدا وكحبة سمسم غارقة وسط قطع جليدية ضخمة أرى عشرات من الفتيات والشبان، شاب يلبس نظارة ويحمل كتب أكثر مما يحمل لاعب حديد من الأوزان ويسارع إلى المكتبة فتاةٌ تجلس في زاوية وحيدة ولا تتكبد عناء إخفاء دموعها، تنظر إلى جسدها لتعود البكاء بقوة وحزن أكثر وثلاث فتيات وشابان يضحكون، وعيونهم تتغورق دمعا من الضحك يبدو أن أحد المحاضرين أمضى وقتا طويلا بالتعلم، لدرجة أنه يتلعثم إذا أجرى محادثة قصيرة مع فتاة جميلة وفتيات يلبسون أوشحة بيضاء وسوداء وغطاء الرأس ويبدو أنهم أشخاص صالحون جديون في اختيار طريقة عيشهم، وكأن كل الأجوبة عندهم وأفضل ما فيهم أنهم لا ينظرون إلى أحد بعين الاحتقار، الجميع يتوجب أن يحظى بفرصة فتاة وشاب ويبدو أنهم سيسجنون في بقفص ملون للأبد، وشاب غاضب يدخن السجائر بجنون وعلى حد زعمه أنه قد درس بجهد واستنفذ فرص التقدم للامتحانات فتاة بحواجب عريضة تمشي بسرعة حذاؤها يلمع دائما القاعات فارغة الجميع

منقسم إلى قسمين قسم متجمهر أمام مكتبة لشراء ملخصات رخيصة وغنية بالمعلومات وتختصر المقررات الأكاديمية والقسم الآخر في المقهى. الجو متخم وممتلئ برائحة مزيل التعرق. وأشعة الشمس تضرب بشدة والشيء الوحيد الذي ما يزال منتصب القامة ومنتصبا هو حمالات الصدر

والجميع يمتلك تلك المحفظة التي تحوي نقودا، بما يكفي لشراء ملخص وعلبة سجائر وتذكرة للعودة إلى المنزل وتسريحات شعر معقدة تتطلب الكثير من الوقت لإنجازها، تمر بجانب شاهين فتاة مسرعة شعرها أشقر وملتوي كتلافيف الدماغ في تلك اللحظات ثيابها تبدو كطبل في مأتم وشاب ساعته تلمع، وتشعر بثقل يده اليسرى وأنت على مسافة 500 متر لينظر الجميع إلى ساعته الغالية الثمن في جيوبه تجد كل شيء وسجائر وأموال وولاعة منقوش عليها اسم عائلته، وبطاقات تعريف كثيرة بشخصه ولكنه لم يحمل قلما منذ زمن بعيد. وفي زخم كل تلك الفوضى أشعر أني لا شيء يزداد غضب شاهين لينفجر ضاحكا؛ لأن الجميع مسرع ولم يهتم أحد ببنطاله وقميصه الجديد وحذائه الغالي الثمن كان شاهين يشعر أنه أغلى قطعة فيه.

بعد عدة أيام فهمت اللعبة جيدا هناك وأتقنت تفاصيلها ومدار اللعبة هناك. لوهبك الاحترام والحب والعلاقات وكل شيء يكمن في أن يكافئ شاهين على حذائه الجديد بنظرات إعجاب وثناء وحركات شفاه، تتقصد أن تسمعني ويكمن نجاحك الأكبر في عدم الاهتمام بأحد وفيما بدأ يمارس مزاجيته وحقه الأزلي كيف على الجميع أن يبدو فالكل يرغب بالتغير ولكنه لا يعرف الخطوات، ليبدأ الامر أن تصف احدهم إحساسات عميقة في داخله هو لا يعرف كيف يواجهها أو يصفها وككلمات الحكماء والأنبياء الجميع ينصت، ويشعر أني جزء أساسي من التغير الذي أصابه وكنت بارعًا حتى بتوجيه

نصائح مجانية حتى للذين لا أعرفهم من منظومة الجمال والتغيير قد استرعت انتباهها بالكامل.

يجلس شاهين على درج المكتبة في الصباح، ينتظر أن تفتح المكتبة ليشتري مقرارته الدراسية ويبدأ عمله الجاد في تحقيق حلمه، يتسلى شاهين بعد درجات المكتبة عشرة أدراج ليبدأ جحيم عقلي يعيشه ولتستيقظ كل الهموم الوجودية الحقيرة في نفسه يرى فتاة شعرها يتناثر على أكتافها، ورائحة أنفاسها تبدو كريهة لا شك أنها امرأة غاضبة دائما لتبعث كل تلك الروائح السيئة من معدتها، وتضع مساحيق التجميل على وجهها هي محاولتها الفاشلة لتبدو جميلة تدمن النظر في المرآة ولكن بدون تفكير واقعي، تلتمع كل تلك المواد البراقة التي طلت بها وجهها كمهرج يحاول جاهدا إضحاك الآخرين. تسارع بإجراء مكالمة هاتفية فجأة تشير بديها وكأن من تحدثه يقف أمامه، وتتكلم بصوت جهوري وقوي كرعد من السماء بلغة مختلفةٍ أشعرت الجميع بقساوة المكان الذي تربت ونشأت به، عنف اللغة كان كفيلا ليخشاه الجميع ويحسب ردة فعلها فلا أسوأ من مشكلة وصراع مع أحد مختلف وفاقد لكل اعتبارات الكون يجري شاهين اتصال هاتفي مع أحد أصدقائه ليستمد منه قوة تساعد على المضي في هدفه، وتجاهل كل شيء فمن ابتلعه التراب لا سبيل إلى إعادته وكل ما يمكنك فعله هو تكريمه بأفعال عظيمة تنجزها قال له شاهين ماذا يعنيني اتساع العالم وتنوعه وأنا ألبس حذاءً ضيقًا

يحك شاهين صدغيه وكأنه يحاول إفساح المجال في عقله لفكرة جديدة أكثر إيجابية. تمر فتاة بدينة أمامه فيضحك ويقول: ما قصة المؤخرات الضخمة في هذا المكان هل يرجع السبب للنمو الاقتصادي والاكتفاء الذاتي للحكومة أم أن كل ما في الأمر أن فتاة بشعة تخرج من عزلتها

في الطعام؟ ويمر شاب ضخم البنية يبدو رجلا طيبا محاولته بالتواضع كانت أن يضع يديه في جيوبه، وكأن صدره المتسع يكفي لكل عاهرة عاشت مظلومية يوما ما. تتقدم فتاتان باتجاه المكتبة ليطرقوا بقبضات ناعمة وبيضاء على نافذة حديدية ويخرج البائع في المكتبة يبدو أنه في مأتم، وبمجرد أن ترى عيناه المال ويسمع طقطقة العملات الجديدة التي تبدو كصوت حمالات صدر جديدة لمراهقة ترتسم على وجهها المليئ بشعرات عشوائية لم يكن يستطيع أحد ليفرق بين حاجبيه وشاربه الطويل وإبتسامته العريضة لأتفاجأ برؤية غمازات للجلادين، ويبدأ بالشرح المطول عن أهمية النسخة التي ابتعتها منه يغلق النافذة الصغيرة وتطلق فتاة ممشوقة القامة ضحكة جهورية، صدرها كأنه صرّةُ ماسٍ متنازع عليه بين تجار الماس في إفريقيا وتلمع حمالة صدرها السوداء كقطعة كلاشينكوف عدوة لكل ما هو إنساني وكأن روسيا القيصرية لم تفلح إلا بصناعة الموت، خمار أسود يغطي وجهها لئلا يظهر تقويم أسنانها. شعرها أسود وطويل يصل إلى أردافها ليفضحها يوميا. صوت موسيقى صاخبة لتحرك قدميها في تلك اللحظة فقط شعر شاهين أنها أُنثى؛ فتطلق رزان ضحكة من القلب وتهمس في أذن فرح لتنفجر في الضحك. عيونهم تلمع وألسنتهم تحركت بسرعة وضحكة كسرت الجو العام لا بد أنهت نكتة بذيئة عن البائع وبعد دقائق معدودة تحاول كل من رزان وفرح محاولة السيطرة على أنفسهم؛ فتشد كل واحدة منهن ظهرها للخلف وتركز تفكيرها بشيئ آخر لتعاود التبسم مرة أخرى فلا نفع من محاولة إخفاء سر قذر تشعر أنه يلامس أحشاء الروح غير آبه ومهتم بكل شيء سوى بصناعة لذة وسرور عجيب وغريب وحلو كالسكر ويكون من القوة والتحكم في النفس، حتى أنك تفضل الموت على تركه ولكنك ستعاني موت أكبر في محاولة إخفائه وأكبر محاولة تقرأه في أعين الجميع. يلتفت شاهين ليرى فرح فيشعر أنه تلق ضربة

قوية بعصا موسى لتحيي قلبه الميت وشعر أنها الأحن الذي لم يخطر على عقل أحد قبل ذلك رأيت ملاكها الحارس، كطائر خرافي أجنحته بيضاء ودقات قلبه ترتبط بصوت تنفسها، يرفع لافتة ليقول لي وقتها: قد عانت هذه المسكينة الكثير، فكن على حذر من كسر قلبها أو استغلالها؛ لأني سأطاردك في كل مكان شعرت بنعومتها المفرطة على بعد مائة متر عندما رأيتها لم أشعر أن أي أحد قادر على جمع شتات روحي إلا هي. مانطو بني وحجاب أبيض استلزمني الأمر جهدا مضاعفا لأفرق بين بياض وجهها وحجابها. عروق خضراء تزين وجهها ورقبتها تتوهج كزمرد وكأن عروقها خريطة لتقبيل أكثر الأماكن رقة ونعومة وجاذبية، نحيفة جدا ظننت أن أجزاء منها لا تزال في رحم والدتها. ظهرها يبدو كملمس ظهر مهرة بيضاء صغيرة وآثار قلقة عينيها فقط إنها تبدو كعين كلبة تفعل الكثير ثم تشعر أنها على ما يرام. وتظن أن محاولتها المشي بثقة تقنع الجميع وأكبر وهم تعيشه هو نبح حياة في أسماع الآخرين أكبر من حياتها.

تجلس فتاتان على حافة الرصيف؛ الأولى تركز نظرها وتجلس بهدوء دون أي حركة والثانية تجلس مكانها وتحركزجسدها لليمين واليسار، نفخة من طرف شفتيها ليتبين لها أنها فشلت في حل ذلك الأمر العالق. أسنانها ناصعة البياض وخصال من شعرها تتهدل على كتفيها، رياح هادئة كانت كفيلة بتحريك خصل شعرها السوداء لتخفيف من تفكيرها أنها تفكر بطريقة ضحلة يقتصر الأمر عندها بقولها: ماذا سأفعل؟ وكأن حل مشاكلها العالقة سيخرج من السماء أو سيتوقف عابر سبيل غريب ليعطيها ظرفا جميلا يحمل الإجابة حتى بدون ذكر مشكلتها؛ لأنها ستكون متكاسلة عن قراءة المشكلة بطريقة أوضح وتظن أن أسنانها البيضاء وصدرها الصغير المشدود للأعلى كافية ليتصرف معها القدر بطريقة لطيفة أكثر والأشد وقاحة

ونكاية أنه بعد عجزها وفشلها تصبح غير مهتمة به، وكأنه منديل تلقيه في سلة الزبالة لتمتلئ تلك السلة يوما ما وتنهار ومتى كانت الحياة تسير وتنجح بالتجاهل أسلوب الفاشلين سينتهي يوما بطريقة تجعلهم يسخطون على الحياة وكل شيئ إلا أنفسهم وفي محاولة للخروج من بؤسهم يجرون محاولات أخرى بتقديس الذات، لا معاني الحياة فأفقدتهم الحياة حقيقتها وأسراراها فباتت الأحرف غير واضحة ومشوهة، وغير مكتملة وبحماقة أخرى فكرت في ألوان الأحرف أكثر من معناها الفتاة الأخرى تضع وشاحا على رأسها واكتفت بغسل وجهها بمياه باردة لمرات عديدة ومتتالية، تبدو كذئب مصاب تجلس وحيدة ولا تنتظر مساعدة من أحد تنفث سجائرها وكأنه زفير ولا تشعر بحرارة الجو.

تغادر رزان مسرعة إلى الحمام. أقوى حاجة عضوية تحكم الإنسان وتصفي عقله من كل شيء. وبقيت فرح وحيدة تنظر إلى شاهين وبعد وثنها المشحون بالارتباك يلقي وحيه على شاهين، يتقدم شاهين نحو فرح كجندي مصاب يئس من محاولة إنقاذه، ويحاول أن يمضي الدقائق المتبقية ليشعر بجمال الحياة. وكان الاسمنت الهائل يحيط به، وأنابيب مياه ضخمة مكسورة، أسلاك كهربائية مقطعة، جثث محروقة ومشوهة، وبقايا من قطع قماشية لملابس جنود، برك دماء فاقعة اللون كدماء الحيوانات عندما تقاتل فقط للبقاء، ولكن المؤكد ليس لبقاء الجنود أو أولادهم. والجميع مجبر على التضحية قطع ذهبية ونقود تتدلى من جيوب أحد الجنود القتلى، امرأة فقدت عقلها تنام قرب طفل ميت ومشوه ويمسك بلعبته لترافقه إلى عدن، وشاب يافع في الثالثة عشرة من عمره يبكي بهدوء رأسه مسنود على زاوية من زوايا المنزل، وبقع دماء متناثرة على الجدران، وأشلاء عائلته أمامه. أتوقف لحظة لأجد ممرضة من جيش الأعداء تتوسل إلي كي لا أقتلها، أدير ظهري

لتطلق النار علي بتصميم على قتلي لتخرج طلقة من مسدسي لتستقر في جسدها الأبيض الصغير، لكنها طلقة مطاطية، أزحف باتجاهها ووجهي مليء بالتراب، والسواد، وجروح صغيرة في وجهي تضايقني أكثر من كل جراحي. أجد زهرة بنفسجية اللون قد غطيت بخوذة أحد الجنود وكأنه يحاول أن يحافظ عليه أكثر من حياته. تهتز أصابع يدي اليمنى لأقطفها وأعطيها للمرضة، وأقول لها: "فليمنح الرب الرحمة والمغفرة لكِ ولجيشكِ". تكف عن الصراخ وتحملني خطأ الرصاصة المطاطية وتطلب مغادرتي، وتقسم علي بحبي لها وكأني أقوى على الرحيل لتمتنع حتى عن إلقاء التحية عليه، وتغادر للأبد وتفكر لآخر يوم بحياتها أنني كنت سببًا في أذيتها.

تتسع حدقة عين فرح وشاهين يتقدم باتجاهها بكل ثقة ورغبة بتحقيق حلم يزداد اقترابًا، وتمتلئ فرح رهبة وسعادة تمتلأ أرجاء الكينونة، يعرف شاهين بنفسه فتقول له فرح: "أعرفك جيدًا، لم أرى أحد قط بهذه الجراءة، ولكنك تدخن السجائر بكثرة"، وتطلق ضحكة، وتقول: "كل من في الأكاديمية يخشى النظر إلى عينيك"، يبتسم شاهين، ويقول لها: "نادرون أولئك الذين يحملون مسؤولية حتى عن خطيئة آدم، لا أعرف كيف يستطيع أولئك الذين لا يشربون السجائر العيش".

السلسلة التي على عنقك هل تعبر عما تؤمن به؟ يخلع شاهين السلسلة، ويقطعها بكلتا يديه، ويقول لها: "لا تدعي المظاهر تخدعك".

ليس هناك شيء مميز بلقاء اثنين شابين صغيرين في مجتمع شرقي أكثر من فضول لمعرفة الجنس الآخر حنين للاكتمال، يريد الرجل أن يكتشف قارة رجولته مستعينًا بخريطة جسد المرأة، وتريد المرأة أن تحتفل بأنوثتها على يد مستكشف عنيد

ازداد شاهين تعلقًا ورغبةً بمعرفة فرح خصوصًا أن التعامل معها يشبه حملك لرضيع ونزولك بسرعة من درج حديدي لولبي الشكل. إن الحب شبيه بالروليت الروسي لا تعرف بأي محاولة ستموت.

يجلس شاهين بهدوء على ذلك الكرسي الخشبي القديم في مخيلته، ولكنه يلمع ويغري الجميع ليجلسوا عليه. وتبدو الطاولة كقطعة أثرية قديمة ذبح عليها من كل أصناف البشر، والجميع قامر بمصيره على تلك الطاولة، وعلى الطاولة كتاب يحيطه الغموض، فيه صورتين فقط، صورة لملاك في القسم الأول، وصورة شيطان في القسم الثاني، وشاهين يمجد نفسه ليكتب الفصل الثالث بعناية فجأة يجد مقيدًا بسلاسل أقسى من كل أصناف المعادن، ولا شيء قادر على كسرها.

تبدأ كتابة الفصل الثالث أمامه ولكن ليس بيده. تظهر الكتابات فجأة وتختفي، ولا أستطيع الوصول إلى كتابي فأنا مقيد والكتاب يزداد ابتعادًا عني. أرى مسدس أمامي، بكرته كبيرة جدًا وتدور بسرعة تارةً، وبهدوء قاتل تارةً أخرى، ولا أستطيع عد الأماكن الفارغة في البكرة، ولكنني على ثقة من وجود رصاصة عذراء تعيد ترتيب أضلاعي.

أمسك بالمسدس الفضي وملمس القبضة الخشبية تشعرني أنه أمسك به رجل ضخم البنية تتسارع دورة البكرة، ومحل اسطوانة فارغة تبدو كيوم وحادثة سيئة مرت عليه، ويرى الطلقة الوحيدة ليجد أنها خياره وليس هو مجبرًا عليه. فلطالما كانت الطلقات محشوة دائمًا، وكان يتلقاها، يركز عينيه على إحدى الإسطوانات الفارغة ليجدها طريقًا طويلا ولا يعرف نهايته. فيختار الطلقة المحشوة لأنها واضحة، ويراها أمام عينيه، يتلمسها بيده. يلمع المسدس دائمًا وكأنه فرصة ذهبية نادرة الحدوث فأسارع دائمًا بانتهازها دون تفكير.

بات شاهين يستيقظ على وجه فرح لا على حلمه. وفي أحد الأيام أصر على عدم تذكر وجهها عند الاستيقاظ لأنه كان مصابًا بلعنة فرح، ولم يكن يستطيع أن يدع فتاة بتلك الرقة والبراءة تواجه العالم وحيدة. فتح عينيه ليسارع وجه فرح بالظهور له كابد نفسه وآمال رأسه على الجهة الأخرى، وغطى شاهين رأسه لأنه يحتاج أن يجد نفسه قليلا.

استفاق متأخرًا لساعتين، ولحظة وصوله الجميع ينظر إلى شاهين وتساؤل في عيون الجميع يقول: "ماذا حدث؟، وماذا فعلت؟"، جاءت فرح مسرعة إليه على غير العادة غير مبالية بشيء تبدو كمن قتل أحد وتأكد من خروج روحه، ورؤية شهود على قتله، كانت فرح على وشك أن تطرد وتفصل يامن الأكاديمية لتصرف شاب استثار بكرامته المسلوبة، يبدو كل شيء باهتًا فقد لونه وتحول إلى الأسود والأبيض فقط، سقطت كرامته واحترامه لذلته كقطع جليدية انجرفت بسرعة فائقة، وبدا عقله وكأنه منقوع بمياه جليدية باردة جدًا، وصوت دبور يأز بقوة، شاب سمين جدًا أنفه مفلطح كعاهرة رفعت ساقيها لتبدأ بجني المال، ويبدو وجهه كأنه دعس تحت شاحنة ضخمة، يرتدي طقم رسمي يعود إلى أناقة الخمسينيات،وربطة عنق طويلة وعريضة وكأنها ربطة عنق مهرج.

إنها محاولته بكسب الاحترام والشهرة. قطعت فرح أوصاله بتعليق قزم وجوده، وأشعره أنه في المكان الخاطئ، ليتوقف الجميع عن الكلام ويطلقون ضحكة جماعية ويشيرون بأصابعهم إليه. وعجزه عن التصرف كشاب جعله يبدو كطفل ضائع نادم على مغامرته ومغادرة بيت عائلته إلى العالم الحقيقي. كان يحب أن يبقى بقريته فالعاصفة تحتاج لمن هو أقوى منه، ولأنه ينظر إلى نفسه وعائلته بالنقص، فوالده كان معتوهًا يحب اللحمة

لدرجة أنه يفضلها على أولاده، أي أب ذلك الذي يتوعد أولاده بالعقاب وبكيل من الشتائم إذا اقتربوا من طعامه يظن أن الجميع قطط.

شعر بضعفه وعجزه، أراد أن يبكي بحرقة وبصوت كافٍ لإيقاظ كل مومياء مصر القديمة.

ذهب شاهين إليه وركز نظره في عينيه، وقال له: "نعم أخطأت فرح في حقك، وأعدك أن ما حدث لن يتكرر، وأنا أعتذر بالنيابة عنها، وأطلب منك أن تسحب الشكوى، ولكن أقسم إن تصرفت تصرفًا متهورًا وطردت فرح من الأكاديمية سأحول حياتك إلى جحيم، وأنت تعلم جيدًا أنني أستطيع إعادتها، ولكنني سأستثمر السنوات الأربعة القادمة لتكون أسوأ أيام عمرك، مع أنني متأكد أنك لن تصمد لسنة واحدة، سأحطم جمجمتك بقبضة حديدية ليس لديها ما تخسره؛ لأنك إن فعلت ذلك ستكون قضيت على بقية الخير الذي في داخلي، وعلى الشيء الوحيد الذي يجعلني أستيقظ في صبيحة كل يوم كابر أمامه، وقبل التحدي لئلا يخسر الذرات التي بقيت من كرامته، أشعلت سيجارة بطريقة تنذر بأنني سأدخنك مثل هذه السيجارة. عندما تكون عاجزًا عن النطق باسمك ودمائك لونت قميصي، ولن أغسل يدي من دمائك الممزوجة بمخاطك إلا بعد أن أرى الجميع يتحدث أنك لن تستطيع التحدث أو المشي بعد اليوم، وستمضي السنوات القادمة بشفة بلاستيكية في فمك. رأى أمامه دموع أمه وهي تتلمس شعره وتقول في نفسها: "أخطأت عندما تركتك تذهب لعالم الكبار وأنت لست مستعدًا له"، هكذا يتصرف أولئك الذين فقدوا كل شيء. ذهبت لأقابل أكبر أقرباء سنًا، وكان رجلا في الثلاثين يعمل في محل بقالة، ولكنه خسر الكثير. يمضي ليله بلعب الورق لأنه يقامر، ويراهن بحياته فاكتسب براعة مذهلة بالفوز كل ليلة، يدخن أفخر أنواع التبوغ والتي تبلغ قيمتها بما يزيد عن نصف دخله ولأنه يعلم النظرة في عين

أولئك الذين فقدوا كل شيء احترم مجيئي له، واختصرت الحديث معه بقول: " أكن لك الاحترام وأنت تعلم ذلك، لكن عندما يبدأ الأمر بمسي ومس من سيرتبط اسمه باسمي سأتصرف بطريقة تجعلني أخسر الجميع"، ولكن شاهين في داخله جاء ليطلب الأذن بذلك، فقال لشاهين: "أعدك أنه سيتصرف بطريقة لا تعترض سبيلك"، ولم أكن أعول عليه كثيرًا ولكنه كان لا بد له من ذلك، ولم أتوقع أن له تلك السلطة على ذلك الأحمق السمين. وفي اليوم التالي استيقظ شاهين وهو متيقن من قرار فصله، وأن قرار فصله سيكون بيديه في نهاية اليوم، لكن هذه المرة تخلى شاهين عن أناقته ليلبس ملابسه الرياضية وكأنه سيتمرن طوال اليوم على ذلك المعتوه. وفي الخمسة دقائق الأولى من وصول شاهين إلى الكلية أشعل سيجارة منتظرًا قدوم فرح لأنه كان على ثقة بأنها لم تنم الليلة الماضية، ولكن هذه المرة تقدمت فرح نحوي ولأول مرة اقترحت مكانًا نجلس فيه لنتكلم بأريحية أكبر، وصراع داخل شاهين هل سأدمر حلم حياتي من أجل فرح تلك الفتاة التي تعرفت عليها منذ شهر واحد!

نظرت فرح إلى عيني شاهين وبشفاه مترددة وخائفة وقالت: لا أدري ماذا سأفعل.

بات شاهين على استعداد بأن يضحي بنفسه من أجل امرأة حسناء تطلب المساعدة.

جلس شاهين وحيدًا ينتظر قرار فصل فرح ليبدأ تمارينه الرياضية على ذلك الأحمق. الوقت يمر ببطء، وفرغت علبة سجائره الثانية ولم يحصل شيء، خرجت فرح مسرورة من المحاضرة، وأخبرته بأن المشكلة قد حلت، وبأنه اعتذر منها وسحب الشكوى. وكنت ممتعضًا قليلا لأني فقدت فرصة أكبر لتحرري. قلت لها: "أريد أن أسمع كلمة واحدة منك (أحبك)"، أرتبكت

فرح جدًا وقالت اسمه مقطعًا: "شاهين أنا أحبك" قالتها وكأنها لم تقلها لأحد من قبله، وكأن تلك الأحرف أوتاد خيمة في الربع الخالي.

يبدو أن جميع من جلس على تلك الطاولة بدا رأسه كيقطينة، والجميع يجلس في البداية بثقةٍ وغرورٍ كبيرين. وينتهي به الأمر بتناثر وتطاير دماغه في الهواء، ويبدو الهواء متخما بقصص الخسارة والخذلان.

بالكثير من قصص الخسارة، وكل تلك الروائح والبقع على الأرضية والجدران غير كافية ليتراجع أحدهم ويغضب محاولا كسر الكرسي الخشبي، ولكن حتى جنزير دبابة غير كافٍ لكسره، وكأنما ألقيت عليه تعويذة من أرض بابل.

قطعٌ حجريةٌ مربعةٌ مصفوفةٌ بطريقة، تبرز عمال الورشة لم يؤثر عليها شيء. مئات الألف الطلبة مروا عليها والقطع نظيفة، وجافة يبدو أن أحدهم أجاد عمله في الصباح الباكر وأعداد هائلة من الفتيات والشبان كبذور بطيخة قرب بعضهم البعض والجميع متعب، ست ساعات من التلقي المستمر والمكثف ماسمعوه يكفي لكتابة معجم وأنفاس كريهة من معد خاوية وفارغة الفتيات يحاولون التخلص من الإحراج بمضغ علكة بينما شاهين يفضل انبعاث رائحة السجائر، مشوش لدرجة كبيرة ويشعر أنه فقد شيء حلم به أدمن استماع موسيقى هادئة في محاضرة اللاهوت؛ لأن المحاضر لا يجيد التحدث عن الله بكل صراحة وحقيقة كنت أنتظر منه تلك النظرات التي تخبرنا أن هنالك أسرار عليكم أن تبحثوا عنها؛ فلسنا قادرين على البوح بها خوف مسيطر على الجميع محتمين بأنفسهم، إلى حد فقدوا معنى كلمات الله عن التضحية تربوا بطريقة على أن يبقوا بعيدين عن كل شيء. مثل العملة المزيفة ظاهرها كل شيء مثالي وأسماءهم متشابهة كأحذية مستعملة تجلس كل أربع فتيات على مقعد وضحكات دائمًا تخبرك، أن الجميع يتكلم

بسر قذر أو أمر سخيف ويحاولون التطفل وتقييم شخص آخر، وكأن آلهة المعرفة انحلت في عقولهن وتصرفاتهن وفي الحقيقة كل ماتحمله رؤوسهن هو قطعة صوف رطبة. الصوت خطير جدًا لا يمكنني تصور جريمة أكبر من إزعاج رجل خانته الحياة الجميع يرتدي مؤخرته، بدلا عن وجهه ونظرات عاضبة وعدائية لشاهين. بعد عدة أيام عرف شاهين لماذا يتصرف الجميع معه بحذر ويوجهون نظرات حاقدة تجاه فتاة، قد استمتعت بتشويه سمعة شاهين تقوس أكتافها للأمام لأنها تخشى أن يظهر صدرها. ملابس رثة ترتديها اذا كانت ملابسها الخارجية بهذا السوء إلى أي درجة من البؤس ملابسها الداخلية! حذاء أسود وعتيق من لمعانه يتبين لك أنه قد لمع أكثر من مرة حواجب عريضة تجلس لساعات طويلة، بعد انتهاء المحاضرات تدرس وحيدة وتقلب صفحات الكتاب بحرص لئلا يهترئ؛ فتضطر إلى دفع ثمنه لصديقتها كل صفحة من الكتاب تقرأ على أساس أنها منشور الحي موجه لها شخصيًا شفتها تهتز وتغمض عينيها بعد الانتهاء من كل صفحة، وكأنها تكتبها في عقلها لتعيدها في يوم الاختبار وتحاول جاهدة السيطرة على بؤس المكان رياح قوية أجبرتها أن تغلق الكتاب الجو متخم برياح صفراء، أنظر من بعيد وأراقب طريقتها بالسباب والشتائم على الأوضاع الجو. نهضت لتعود إلى بيتها ولكن نظرة في عينيها قد اعادتها لتجلس وتفكر بإنتقاء مكان آخر أراقب وأنفث سيجارة ولكني لا أستطيع التركيز، بدون سجائر أسارع لإحضار علبة سجائر جديدة أعود ولكني لا أجدها خطواتي تتسارع أكثر وأركض بسرعة، لأجدها ولكني لا أراها مؤامدرة بقياس الكون بحثت في كل مكان في جميع تلك القاعات الواسعة في تلك الممرات الضيقة، تزداد قوة الرياح وتزداد اهتزاز الأشجار الضخمة وأشعر أن الأشجار تحاول إخفاءها جاهدة وتقول لي ارحل ودع تلك اليائسة لوحدها آخر ما ينقصها شيء، يشتت تفكيرها أصرخ عاليًا

وأدور في مكاني أني أحاول الحفاظ على سمعتي تلك الساقطة تنشر الشائعات عني ماذا تنتظر مني. تهدأ الأشجار الضخمة لأنها سمعت كل الأحاديث، ورأت بؤس شاهين أيضا ورأت وحدته وأوراق شجرة بعيدة تهتز إلى جهة أخرى، وكأنها إقتنعت بحجته هو الآخر.

يصرخ شاهين بوجهها، وكأنه أحد جرحى الحروب فقد ساقه ويده اليسرى و يمد يده اليمنى ليخرج صورة زروجته، في بلد بعيد ليقبلها ويبتسم وكأن كل ما حدث له لا يعنيه حتى ستتوقفين.

تستدير بإتجاه شاهين وبلهجة صارمة: أتوقف عن ماذا؟

يد شاهين على خصره ويمرر يده على رأسه ويقول لها: تعلمين جيدًا عن ماذا تتوقفين تعاود المشي مرة أخرى يمسكها شاهين من يدها لتفتل باتجاه وعيناها مليئة بالخوف مما سيحدث وكأنها تتوسل إلي لأدعها وشأنها.

خائفون، عصابيون، خائرون نحتاج دائمًا إلى عكازة وجودية، كسجين لم يحصل على وجبة غداء أخيرة بالتأكيد سيكون عصابيا. يخرج شاهين مصنف حكومي أخضر من حقيبة ويقول: لما ما قلتيه عني وعن الوضع الذي نعيش فيه مكتوب هنا يضرب بيده بقوة عليه وكأنه يمتحها فرصة للتخلص منه، أن تظنين نفسك تعيشين أنت في دول العالم الثالث حيث المتسلطين، وأصحاب النفوذ موجودين أكثر من ذرات السكر في كأس الشاي الورقي الذي الشيء الوحيد الذي منعني أن أتصرف بطريقة تؤذيك وتؤذي عائلتك، وكل رجل يحمل نفس لقبك هو أنك أنثى وماذا يعنيكي إن كنت من مذهب آخر أنظري في عيني جيدًا هل تكلمت معك قبل هذا اليوم هب تسببت بأذيتك لما تسببين لي الأذى، قد تحطمت سمعتي ونشرت الشائعات عني. ماذا ستفعلين أعلم أنك طيبة القلب هل تعرفين لماذا يا عزيزتي، لأن الذي أخبرني بكل كلمة قلتيها هو أصدقاءك الأوفياء تحلف بكل ما هو مقدس أنها لم تقل كلمة تؤذيه

يختم شاهين حديثه قائلا: سأعفوا عنك هذه المرة مع أني متيقن من ما وصلني. أريني كيف ستصلحين الأمر يبتعد شاهين، وهي مفلسة من الكلمات فيما بعد كانت الشخص الوحيد الذي يثق به شاهين .

فضلات القطط والكلاب متجمدة عموديًا، في الشوارع يبدو أن الشتاء جاء بسرعة لم يتوقعها أحد .

ينام شاهين بوضعية جنينية ولا يجد مكانًا دافئًا فيضع يديه بين فخذيه ورأسه يميل باتجاه صدره، فتلامس لحيته صدره يرتدي بيجاما بنية اللون ويضع علبة سجائره، إلى جانبه ويغطيه دیباج أحمر وكبير مرسوم عليه أزهار صفراء ضخمة ورغم كراهيته واشمئزازه، إلا أنها تشعره ببعض الدفء يلفه على نفسه، لعدة مرات فيبدو شاهين كرضيع عاجز عن التحرك ويطوف عقله بكل مكان يقف عند شرفة غرفة فرح، ليراقبها طوال الليل يعود عقلي إليه ولكنه مرتبك وجائر بإجابته لي ولكنه يراعي مشاعر قلبي، فيكذب مرة أخرى وكا أروع كذبه المحبب، ليخبرني أنها فتاة تختلف عن الجميع هي كل الكنوز المخفية والضائعة في المحيطات المظلمة هي كل الاسرار والعهود القديمة والأقسام، ولا حتى ختم الخولكان يناهزها في مركزها ومكانتها وكذئب ضخم أبيض اللون، أنيابه طويلة وحادة وتبدو كقطع جليدية مدببة ببراعة، يقضم كل أطراف جسدي بآن واحد ومرونة فكيه كفيلة بأن تصل أنيابه إلى أصغر جزء في، أشعر بقدومه المفاجئ من لهاثه الكفيل، بتحريك الستائر ككائن أسطوري يستطيع النفاذ من الأبواب المغلقة والجدران الإسمنتية وحتى الزجاج دون أن يكسره فراءه الأبيض، يلامس أطراف لحيتي أشعر بسكينة لم أعهدها من قبل وعينيه الزرقاء تخبرني أن كل شيء سيجري على ما يرام يتمتم بكلمات عصية على فهم الجميع يخبرني أن العمل بهدوء وتوكل. هو الحل دائمًا بدأ يقفز بسرعة على الجدران، ويلامس الأرضية والسقف

بسرعة هائلة مخالبه تبدو كقرن من العاج تغرس بقوة لتصل أطرافها لعظامي، وكل ذلك جعلني مشوش و مضطرب كنت أظنه يرقص، على تلك الأرض الترابية ولكني أدركت أنه يحدد لي موعد لأهدئ الغيوم تبدو كملائكة غاضبين يبصقون بقوة على البشر تتساقط الأمطار بغزارة غير متوقعة، يبدو أن الجميع أصبح متسخًا فباتوا بحاجة لحمام قسري. شاهين قد استمتع في صبيحة ذلك اليوم بحمام بمياه ساخنة، وتفوح من عنقه رائحة عطرة مميزة ومختلفة تلامس الروح حتى لو كان الثمن طعام سيئ يتناوله عنقه يشبه قطعة رخامية تلمع ومغرية للجميع، لتقبيلها، ارتدى معطفه الجلدي ويبدو كفزاعة أنيقة وظنت فرح أن شاهين تكبد عناء شراء جاكيت جلدي، بنفس لون المانطو. للقدر خطط ذكية وغير متوقعة أعمدة كهرباء مضائة ومع اقترابهم من السواتر الإسمنتية الملونة بدماء الكثيرين، وصوت صراخهم قد جعل ذلك الإسمنت متماسك أكثر وكشافات الضوء الضخمة لشدة توهجها في وضح النهار تكاد تفقأ عينيك أوقفنا رجل أربعيني بشوارب، سوداء كبيرة ويظن الأحمق أن محاولته ليظهر بعزم متين وقوي وأنه لا يخشى شيئا.

علاقة مفاتيحه مختبئة بين طيات بدلته وتبدو كذيل فأر، ينظر إلى وجوه الجميع نظرة متفحصة ليحكم على أحد منهم، أنه يستحق القتل وقد يكون كل ما في الأمر أن أحدهم مصابٌ بإسهال حاد ولم ينم ليومين متتاليين من شدة مرضه، فيظن الأحمق أنه مرتبك.أجابه شاهين على أسئلته ببراءة وبمخارج حروف صحيحة كمحامٍ قرأ القضية لمئات المرات ويعرف كل أسئلة المدعي العام، الذي يتركز عمله على جعلك متهم أصيب بخيبة أمل كبيرة؛ لأنه لم ينجز شيء من عمله اليوم وتملكتني رغبة سيطرة بأن ألوان وجهه وتمنيت أن يكون عندي نفوذ، لأجعله يلعق عجلات السيارة لتتخلص من الأوحال العالقة عليها والتي كانت تشبه مصير الجميع المتعرج والمجهول، كان وجهه

يبدو كنقوش على خاتم حديدي لن يتغير أبدًا. رأى شاهين بناء ضخم أصفر اللون كمرض مزمن لا شفاء منه محاط بأسوار إسمنتية ضخمة، ورجل ضخم عيونه ملونة يتحدى الله ويوجه إصبعه السبابة نحو السماء ويقول: أرني ماذا تستطيع أن تفعل كل من يتبع كلماتك مصيره، هنا في هذا المكان نجعلهم يعتقدون أنك تخليت عنهم فنحن هنا نعامل الجميع بنفس الطريقة؛ فلا شفاعة إلا لمن يدفع أكثر الجميع هنا يعاني المرأة الطفل الشيخ الشاب، دفعوا ثمن للسلعة لم ينظروا إليها فقط صرخوا برغبتهم فيها حتى دموع الأنبياء، لا جدوى منها هنا إنه خطؤهم. في ذلك المكان أنت وإيمانك فليكن صاحبك قويا ليحملك طويلا ليس على جزيرة مهجورة ومفقودة على الخارطة.

الجميع يعرف ويعلم ولكنهم ينظرون إليها صاروا يعتقدون أنها مقبرة، ولا نفع من محاولة إحياء الموتى الدعاء لهم بالرحمة هو الأفضل لكي لا نرقد إلى جانبهم.

شاهين في كل ليلة يقف على الشرفة الثالثة صباحًا حيث لا أحد ينظر، ويراقب لأن البكاء عليه جريمة أخرى يبكي من صميم قلبه؛ لأنه عاجز عن مساعدتهم، حتى وإن لم يسمع صرخاتهم ويرى وجوههم وإن لم يلتقِ بهم يشعر بالعار والخجل من نفسه؛ لأنه يعلم ما يحل بهم وما يعانون وتقتصر مساعدته لهم بالبكاء عليهم، ولكنه لا يقترب ليعاتب طوبات الإسمنت وأي ذنبًا قد ارتكبته طوبات الإسمنت لتتحمل وترى ألمهم يصارع شاهين نفسه ليصنع مسخا، لا يتكلفون النظر إليه لأنه لا يؤمن أصلا في المقعد الأول قرب السائق يشعل سيجارة وتجبره صوت العجلات وهي تتسارع. يمدّ رأسه من النافذة ليراقبها وهي تتم دورة كاملة و كأنه يعلم أن حياته ستتم دورة كاملة والكل يتفنن بإقناع أنفسهم، وأن الوضع على ما يرام ونقاط التفتيش، هي

أكشاك لبيع المياه الباردة والسجائر ولكنه يسمع صوت قلوبهم وهي تضج بالدعاء وتلاوة أجزاء من عقيدتهم، فجأة الجميع يصبح مؤمنا في داخله ويتصنع العهر ممن الخارج ولم يقتصر الأمر على رحلة واحدة ونقطة تفتيش واحدة في كل يوم، تدرب الجميع على أن يضبطوا حتى اللاوعي فالمصير جهنم محققة، إذا أخطأت وبعد أن تنجح بالمرور من مائة حاجز لمختلف المرضى النفسيين، تكون قد حزت الحكمة فتعلم متى تسكت ولكن ما تزال متاهة الكلمات تقبع ونقطة التفتيش مائة وواحد.

الجميع يتكلم بصوت واثق ويبدو سعيدا وكل أساطير الزانة، قبل ثلاثة أشهر تبدو كعقدة نفسية في نظرهم. عرفوا أن الحياة أكبر من تلك التفاهات ولا تحتاج اللى كتيب مبادئ في حقيبتك، دوما يقتصر الأمر على مبادئ أصيلة وأساسية لأنها حياة فيها كل شيء فتعلموا أن يتصرفوا بطريقة واقعية أكثر في نهاية المطاف العنوسة، قدر يغلي وأحاديثهم بمطارق حديدية ضخمة تصدر ضجيجا عاليا ولكن محبب والجميع كان في منتصف نحت شخصياتهم وما سيمضون عليه

الأرض تبدو كصدر محارب، لا يستكين ولا يستسلم رغم تساقط الأمطار الذي يبدو كوابل غير منتهي من الرصاص تتغير رائحة كل شيء، وتبدو الاشجار اكثر مرونة ورائحة التراب الرطب تملأ الجو وتمنح الجميع شعورا بجدوى الحياة، وأن الأبواب المغلقة يكفيك أن تقترب منها أكثر لتجدها مفتوحة يتسائل شاهين في نفسه، هل المطر محاولة الله ﷻ لتسخيف من أخطائنا وطريقة حياتنا الخاطئة؟ الأمر شبيه برجل ثمل يحتاج أن تغسل وجهه بمياه ليستفيق على نفسه وقف شاهين والجميع يتراكض ولكنه أراد لا أن يستفيق رأى فرح من بعيد تسارع بالاختباء، وسقطت كل كذباتها عن شاعرية المطر. يجلس شاهين على مقعد خشبي رطب ولا ينتبه لرطوبة المقعد

إلا عندما تصل رطوبة الماء أطراف قميصي الداخلي يرتعد وتقع أسنانه ويشعل سيجارة ليشعر ببعض الدفئ جمرتها تشتعل لتذكره بمدفئة، كان قد اقترب منها يوما تقفز فتاة حسناء من حجرة إلى حجرة فالمياه الامطار فائقة تتهادى بلطف ورقة بين كل تلك الأحجار، صدرها من الكبر يكفي ليأكل الجميع حتى التخمة أثقلت كاهل شاهين وكان أحجار الاهرامات اردمت عليّ، بينما وركاها بنعومة خدها تضحك ضحكات طويلة وجهرية تجهد نفسها لتخرج من صميمها وكأنها تحاول إقناع نفسها، أنها بخير ولا مشكلة عالقة تواجها في كل يوم وتفكر بها، عندما تستقيظ وثبل ان تنام تصطنع شخصية قوية على جسرها القذر شعرها مسبل وسلس، ويبدو كشلال غزير التدفق حواجبها تبدو الحراب هندية مسمومة.

ملامح شاهين السمراء ووجه ونظرته القاسية، كعامل منجم اعتاد نحت الصخور بقوة وإصرار أكبر وتصرفاته غريبة، وغامضة كتصرفات شمس التبريزي، لأن للحب رائحة مميزة والجميع قادر على شمها واستشعارها مهما حاولت اخفائها كرائحة الخضار الفاسدة، ولما لاحظت تلك الفتاة أرادت تحطيمه مرت من القرب منه، وقالت:

هل تظن نفسك ذكرا ولأن ثرثرة الفتيات أشبه ما تكون بمطارق مطاطية، على قطعه رخامية غير قادرة على كسرها، ولكنها بل التأكيد قادرة على زحزحتها عن هدفها، ومكانها طريقتها في الضحك كانت كشفت لشاهين الكثير من أسرارها نفث شاهين من سيجارته نفثة قوية رسمت لحظات قذارتها، في الهواء وقالت لها بهدوء: أتمنى ان تكوني قد قصصتي أظافرك لئلا تؤذي نفسك قالت له: هل أنت معتوه ماذا تقصد ضحك بشدة وفجأة توقف عن الضحك. ركز نظره وكانه كائن غير مرئي رافقها طوال حياتها. هل تأكلين بنفس اليد عقل تلك الفتاة كان في خضم الضربات الحرة بعد خسارة المباراة

بدأت يداها ترتجف. طريقتها بالتوسل لشاهين ليتوقف عن النظر إليها والحفاظ على سرها القذر بأن تسارع وتقول: أنت على حق أنا جاهزة لتقديم الثمن، الذي تختاره ولكن كيف عرفت وضعت يداها على فمها وأغمضت عينيها: ماذا تريد مني؟ بدأت بالصراخ الجميع ينظر إلى شاهين وهدوئه بالجلوس على المقعد وانهيار الفتاة الأكثر شعبية وجرأة قال لها شاهين: لا تقلقي لا أحد يعترف لا تقلقي، إني أحمل صندوق أسرار ضخم للجميع لأني لم أرَ أحدا أو ألتقي بأحد يحتفظ بسر يفضل الموت على انتشاره وإفشائه، ولكني دائمت أسألهم ما الذي يجبركم أن تضعوا أنفسكم بهكذا حالة، يكفي أن تكونوا أشخاصا صالحين لتعيشوا بسعادة. ربت على كتفها وقال لها كل ما أريده أن تكوني بخير وتتوقفي عن تحطيم الآخرين فليس الجميع قادرا أن يدافع عن نفسه هل تقطعين عهدا لي بذلك، مالت باتجاه شاهين ووضعت رأسها على كتفه والجميع مندهش.

يتحرك شاهين يمينا ويسارا، وهو نائم ويبدو أنه يتألم. رواق مظلم وصوت العديد والكثير من الشبان يسرع شاهين نحو الرواق ليرى فرح في قمة الإنهيار والضعف تبكي بغزارة كمسامير إسكافي وتصرخ بوجه شاهين أبتعد عني ضمها شاهين إلى صدره وشاهبن يقول: ماذا حدث أخبريني، رعد من السماء أضاء ظلمة الرواق على كتاب مقدس علوي، وصوت شاب يقول أقسم أنك لم تلمسها وتستغلها. ينتفض شاهين من سريره ويفتح حنفية المياه لتسكب المياه بغزارة مياه باردة أكدت لشاهين أنه كان يحلم، يقف على الشرفة وينظر إلى الأضواء المتوهجة على جبل قاسيون، وينفث سيجارة يتيمة كيتم قلبه. استيقظ شاهين في صبيحة ذلك اليوم ليرى الثلوج تملأ الشوارع أكدت له أنه في بلد آخر أكبر مقدار من الثلوج رأه شاهين كان في ثلاجة بيته ذهب للأكاديمية فقط، ليطمئن أن فرح بخير ولكنه كان يحظر

نفسه لشعور الخيبة وعودته وحيدا ينفث سجائر بغضب، وعجز ولكنها قد آتت رأيت أحد الشبان الذين أعرفهم وتبادلت معه ضحكة مزيفة، وكلمات لطيفة عينا فرح تبرق سرورًا ولكن ليس لرؤيتي، بل لأن الشاب الذي برفقة شاهين ضخم البنية ووسيم فكانت تعلم مدى فحولته. رأى شاهين في عين فرح صورته وهو على صدرها والجميع هكذا تخونه نظرة ليكشف عن كل أسراره اقنعت نفسي أني مخطئ، لأول مرة وفرحتها برؤية فرح وأنها بخير ففي نهاية الأمر المرأة قد تحب متطرفا، فقط ليكون لها وحدها بينما الرجل قد يعشق عاهرة فقط؛ ليكون جزء صغير من ذاكرتها وحياتها قبّل شاهين ذلك الشاب وهو ينظر لفرح بابتسامة ضحكت، وفقدت صوابها لأنها عرفت أنني أريدها مكانه رأيتها من بعيد قد استعارت من صديقتها، قلم شفاه فكرت في نفسي هل تحاول هذه الحمقاء أن تثير ثورا ما، لا أعرفه كان شابا ذكيا قال لي: شاهين أيها القواد اهدأ أقسم أني لست فرح وجبينه محمرة. صعد شاهين إلى صومعته لتتبعه، فرح بسرعة ويأتي الجواب على تساؤله نقشت الأحرف الأولى من أسمائنا على محرمة ورقية. قال لها شاهين: هل أنا من تقصيدنه أم هناك رجل يحمل بداية اسم لعين كاسمي ضمتني إلى صدرها كدفء معانقتك لشمعة ذائبة ساخنة في شتاء قاس، باتت فرح مصلوبة على صدر شاهين المتخم بالنبوءات كمنحوتة نحات مبدع، احترف إظهار حزن وضعف كل من شاهين وفرح .

تمر فرح غير مكترثة لشاهين، وكأنها لاتعرفه تتضاءل ابتسامة شاهين ويقف في مكانه، ويمسك موضع جرح قديم في رأسه ويتساءل في نفسه بصوت عالٍ، جعل جميع من بقربه والمارين يظنون أنه ثمل هل أخطأت في شيء أم هي إحدى تقلبات مزاجية النساء، أسرع إلى الحمامات لأنه أراد أن يشعر ببعض الوحدة من نظرات الجميع الفضولية أصابته بالتشويش دخل إلى

الحمام ليرى كتابات ورسوم إنيمي تتحدث عن كل جوانب الحياة والنصيب الأكبر للأوضاع السياسية، التي تعيشها البلاد يضحك لطريقة تعبير مجتمع المكان الوحيد للتعبير عن آرائه السياسية والنفسية هو في الحمام ليكون بأمان وصوت ضحكات شاهين أجبرت الشاب في الخارج أن يظن أنه متعاطٍ في قمة النشوة تحت تلك الصورة رجل بلحية مكتملة، سوداء وعمامة ضخمة على رأسه ويبدو رجلا قادرا على إقناع الجميع، بما يقوله لكنه هو نفسه غير مقتنع عمامته ملفوفة على رأسه وكأنها أفعى كوبرا ضخمة لسانها وأنيابها عالقة بجمجمته على جانبها صورة لرجل يشبهه تماما، جسده مليئ بوشوم غريبة ومخيفة يحيط به عدد ضخم من العاهرات، بدون ملابس داخلية وعمامة أخرى موضوعة على طاولة بقربه، وتبدو كسيارة فخمة ولكنه غير مدرك لوجهته الأخيرة، أنها فقط تسير وصورة لرجل تسعيني نحيف يجلس على كرسي، ويبدو أنه لديه الكثير ليقوله ولكنه رجل حكيم خائف وعشرات من الرجال بأجسام ضخمة ولحى طويلة وحواجب مضروبة، يرتدون في أيديهم قطع قماشية سوداء وخضراء، وينظرون للجميع بغضب وكأنهم يستعدون للأخذ بثأر قديم لأحدهم يتساءل شاهين في نفسه: هل يظنون أنها طريقة صحيحة لدخول عدن أنا متأكد أنهم لم يستفيقوا على هدف في حياتهم أو أنهم عجزوا عن تحقيقه بعد عدة أيام، تلك الأبواب الخشبية ولم يجد شاهين أي كلمة أو صورة، جزء من الذاكرة .

يغسل شاهين وجهه أكثر من مرة ويدقق نظره إلى أسنانه وأنفه.

الفصل الرابع

يشم رائحة إبطيه ويتفقد سحاب بنطاله وحذائه، ولكنه لا يجد أي شيء ينفر فرح منه على الجهة اليسرى منه ذلك الشاب، ويبدو متوترا من تصرفات شاهين، ويخشى أن يلحق به الأذى، أو يطلب منه طلب يهز وجوده الذكوري يلتفت شاهين ويقول له: لا تقلق عزيزي إنه الحب فقط يجعل الجميع يتصرف، كالمجانين يضحك ذلك الشاب إلى حد اغرورقت عينيه بالدموع يخلع نظارته الطبية ويغسل وجهه ويرتديهما مرة أخرى، ويقول أنه الحب خرج شاهين بطريقة توحي أنه ذاهب لقتل أحد ما طريقته في بسط هيبته، تجعل أسوأ الناس تبتعد عنه وتجبر كل متحذلق ماكر على الابتعاد، ويبدو كرجل قوي لا يأبه لتصرفات القدر فهو شجاع ويمتلك خبرة فذة قادرة على مواجهة خطط القدر وحركاته السريعة، لوح زجاجي يفصل بين شاهين وفرح تجلس على مقعد خشبي مهترئ، وشجرة عملاقة تهتز بهدوء صداع وألم رهيب في معدته، ويحاول شاهين الحفاظ على وعده لفرح بعدم التدخين ولكن حالته تزداد تفاقما، سارع بإستعارة سيجارة من أحد ما لترتسم نظرة لا مبالية من فرح، أكدت لشاهين أن فرح تغيرت بعد عشرة أيام من تجاهل فرح أعادت لشاهين كل رسائله وأشعاره.

إحدى صديقاتها لم تكن قادرة على مواجهته، واختارت أكثر يوم حساس بالنسبة للجميع أول يوم من الامتحانات الأكاديمية. شاهين كان قد انتهى من دراسة المقرر من شهر ونصف عن جميع الطلبة كان يوما سيئا بكل المقاييس؛ فقد أضاع محفظته في صبيحة ذلك اليوم وقبل عشرة دقائق فقط من وقت الامتحان الرسمي، وكأنها أرادت أذيته الأمر شبيه بتحفف تلك الكارثة العالقة في الهواء والجميع يخشاها وكقطعة طوب أسمنتي سقطت

على رأس شاهين، جلس على حافة الرصيف وجميع الطلبة يتراكضون للدخول إلى القاعات الجميع ينظر إلى شاهين. كطفل ضائع أشعل سيجارتين بنفس الوقت، وكأن النيكوتين هو الشيء الوحيد الذي يمنحه السكينة. كان يبدو كل شيء جليدي وجاف تقدم أحد أصدقاء شاهين وقال له: مابك لم يجبه بأي كلمة أو إشارة بقيت عينيه مركزة في حاوية قمامة صغيرة، معلقة على عامود كهربائي غادر ذلك الشاب بعدما قال شاهين: سألحق بك قالها فقط لأنه توقف، وعاد إليه عرف شاهين أن هنالك بدل يفوقه في كل شيء ما عدا حبه لفرح، ازداد بؤسا لأن فرح قايضته بأحد آخر. مشى ببطء نحو قاعة الامتحان والجميع يجلس في ممر على مقاعد خشبية قديمة مزينة ببعض الألواح الجديدة، ومسامير تلمع يقف رجل ضخم يصرخ على شاهين تذكر شاهين كلمات والده، عن الصرخة التي تعلمها في الأكاديمية الحربية ودرها في انقاذ حياة أحد ما ولكنه لم يستفق بقي يمشي بهدوء ورتابة وشعر الرجل الضخم الأصلع، أنه فقد أمر في غاية الأهمية له جلس شاهين على مقعد ولم يتكبد عناء كتابة اسمه على ورقة الإجابة تقدمت امرأة أربعينية نحوه، وظنت أنه فاشل وبدون هدف في حياته كانت تظن أنه أمضى الليل في سهرة ماجنة، سألته عن اسمه وشعر أنه وقع فجأة في معتقل ومجبر أن يجيب عن أسئلتها بدون تفكير ربتت على كتفه وقالت له: المهم أنك تتعلم من أخطائك. نظر شاهين إلى أسئلة المقرر بدت له كأحجية بلسان مشعوذ في أحد الجبال كان عاجزا، حتى عن تذكر اسمه أخرج بطاقته الشخصية وبدأ بنسخ اسمه وهو غير قادر على قراءة كنيته، خرج من القاعة بعد انتهاء نصف الوقت بورقة إجابة فارغة والجميع ينظر له باستغراب؛ لأنه قد ناقش الكثير منها مع المحاضر في إحدى المحاضرات عاد شاهين، إلى السكن الأكاديمي وجد أحد أصدقاء كان شابا قوي البنية مثقفا نوعا ما، دخل شاهين، وسقط

جسده في وسط الغرفة انتفض ذلك الشاب وسأل شاهين: ما بك هل عائلتك بخير؟ قال له: قطعت فرح علاقتها بي وأعادت كل أشعاري ورسائلي لها قرأ صديقه مقطع اعتذار منمق بخط فرح. وقال له: أنا متأكد أنها وجدت بديلا عنك أو كانت تلعب بعواطفك ببساطة سئم شاهيم من ضعفه وأقام عزاء لفرح في قلبه لثلاثة أيام، أدمن فيها سماع أغاني ومعزوفات بذيئة عن الحياة والضعف الإنساني وكأنه أراد أن يحتفي بحزنه.

ولم يكن شاهين بالنسبة لفرح سوى تمثال من العجين، وبابتسامة وسرور طفل تقطع أطرافه وتغوص يديها الصغيرتين، لتمسك بقلب شاهين جيدا وتدعكه بقوة مصارع مختل وتشيح بنظرها عني، لتتبادل حديث سخيف مع فتاة ولا تنفع كل توسلات شاهين لها فتخبز جزءا منه، وترمي جزء آخر وتستمر بعجن جزء جديد ثم بعد ذلك، سئمت من شاهين وباتت رائحة العجين تصيبها بالقرف، وتركته على تلك الرياح الباردة وحيدا ليتجمد مرة أخرى.

الألم الذي تركته فرح في قلب شاهين كبير وأكثر، ما استفز شاهين أنه كان لعبة ولأنه كان يعرف نتائج اللعبة "*العب واخسر" ولكنه لم يكن يعرف أن الخسارة بهذه القوة بدأ شاهين، بتخيل ذلك الشاب لا بد أنه أبيض البشرة بعيون زرقاء يفوقني طولا ثلاثة أضعاف، ويدخن سجائر من نوع فاخر سألته فرح يوما عن نوع من السجائر، والكارثة أنه شعر في تلك اللحظة أنها على علاقة بأحد، وكيف لا يكون ذلك ووالدها انقطع عن التدخين منذ سنين طويلة تركت شاهين يعاند فلسفته، وتساؤلات ضخمة عن الوجود وما نفع كل تلك التساؤلات والجميع، كان يتخذ موقفا منه ويخشاه ويشعر أنه صندوق مليء بالأسرار حتى فرح كانت تظن أن له علاقة بالعالم الآخر، لكن المثير للسخرية هو قدرة العقل التحليلي الرهيب الذي امتلكه شاهين

ليكشف أسرار الجميع ونواياهم، ولت بتصرف حيال ذلك يكتفي بمعرفته بات كل شيء يثير حنقه. الإيجابية والسلبية الخير والشهر تنفسه ورمش عينيه لطالما أشعرته بعبء وجوده احتاج إلى شيء يبنيه من الداخل كإنسان مجرد بعيدا، عن متاهات العقل وآراء الصوفية في الحياة قرر أن يمارس رياضة رفع الأثقال، وكأنه جسده عليه أن يساعد عقله في حمل كل تلك الأعباء تفقد محفظته ليجد ما يكفي ليجلس في الصالة الرياضية وعلبة سجائر، واحدة وشجعه ذلك الشاب الحقوقي قوي البنية بذلك دخل شاهين الصالة الرياضية، ليجد رجلا سمينا ومترهل وخزائن صغيرة بنية اللون مرقمة، بلون أبيض وميزان قديم يبدو أنه معطل وكميات من الطعام على مكتبه ومجلات رياضية مرمية، فوق تلك الخزائن الصغيرة وصورة له قبل سنوات بجسم رياضي يقترب من الكمال وسلة مليئة بأكياس قماشية بيضاء مرقمة، بأرقام تلك الخزائن الصغيرة وفيها أكثر الأشياء ثمينة لديك بطاقتك الشخصية فأنت تبحث عن تعريف حقيقي وصادق لنفسك، وكل البيانات في بطاقتك فرضها الوجود عليك تاريخ ولادتك واسمك وكنيتك وجنسك دخل خاب ضخم وعينيه تستعر بالغضب عينيه سوداء اللون، وكأنها رماد أثاث شرقي قديم وثمين بلحية محلوقة ويبدو تصرفاته عدائية مع أثر الأشياء بساطة، رحب به الرحل المترهل وود الشاب بتحريك رأسه دون أن ينطق كلمة، ويبدو حزينا ومشوشا جدا دخل إلى الصالة الرياضية، وجلس على إحدى الآلات وبدأ بالتمرن دون إحماء حتى تتوالى الأوزان لتصبح ثقيلة ومجرد رؤيتك لها، تشعر أن إحداهم يصيبه الأذى يغمض عينيه ووجهه، بات يبدو كدماء الحيوانات وكأنه يحاول أن يرهق جسده فقط لينعم بليلة لا يهاجمه فيها الأرق وازدياد عدد الصفائح الحديدة، التي لا تهئ باستراحة يستحضر الكثير من الذكريات السعيدة التي باتت الآن مؤلمة، دخل ذلك

الرجل المترهل، ليتوقف عنده وقال له: لا تجبرني أن أطلب منك أن تغادر ستكسر ظهرك، إذا استمريت بهذه الطريقة تحتاج إلى الكثير من الوقت والصبر لتستطيع التعامل مع هذه الأوزان بأريحية، وأشار له على لافتة ضخمة مكتوبة بعناية فائقة على جوانبها زخارف ذهبية اللون، وإطار معدني فضي اللون ومن لمعان زجاجها يبدو أن أحدهم واضب على مسحهافي صبيحة، كل يوم عليك أن تسيطر على الوزن الذي تحمله لا أن تجعله يسيطر عليك؛ فكل من تعرفه وكل من سبق لك رؤيته ومل البشر من نشوء البشرية إلى فنائها قادرين على حمل أوزان ضخمة، ولكن ليس الجميع قادر على السيطرة عليها تعامل مع أهدافك بالحياة ومشاكلك بنفس الطريقة حزم الشاب أغراضه بغضب، وقال للرجل المترهل: أنت لا تعرف عمّ تتحدث لا تعلم ماذا حدث معي. قال لها الرجل المترهل أنها بالنهاية فتاة ليست الأخيرة على وجه الأرض.

حديثهما أشبه ما يكون بشحذ ساطورين لينتهي بنزيف كل منهما قال له الشاب بغضب: لا أتلقى النصائح من فاشل مترهل أمضى حياته في الصالة الرياضية، وفشل في دراسته الأكاديمية. معدة الرجل المترهل مليئة بالطعام إلى حد إذا تلقى لكمة على معدته كفيلة بأن تلمع الأرضية من عصارته الهضمية، أمسكه الرجل المترهل من يده بقوة كافية لطي قضبان زنزانة حديدية وأدخله إلى مكتبه، الجميع في الصالة الرياضية مشغولين بتدريباتهم وكل منهم يجري تمرينه بتركيز ودقة عالية، كجراح أعصاب وشرايين متمرس يبدو أن عقولهم وأرواحهم سافرت بعيدا إلى أكثر الأماكن عمقا وسرية كمتصوفي الكنزنزانية، في جبالهم البعيدة يبحثون عن إجابات ليستطيعوا المضي في الحياة كلا بطريقته، وأسلوب حياة أمثل لهم مرايا ضخمة تملأ جدران الصالة الرياضية وكأنه على الجميع أن يستغرق بالنظر، إلى نفسق

شاب يابع يرهق نفسه بالتمرن واكتفى بالتمرن فقط للحصول على منظر جذاب؛ مكياج رجالي ببساطة أثقال حديدية من أصغر الأوزان إلى أوزان تهدل ثقل شاهين ثلاث مرات صوت الرجل المترهل يتعالى، كقنينة غاز صدئة تفوح منها رائحة قوية ولم تفلح كلمات الرجل المترهل بجعل ذلك الشاب يتخذ موقف لتغيير نفسه وليمنح نفسه بعض الأهمية بعيدا عن تلك الفتاة. أنهى الشاب الحديث بقوله لا أستطيع أن أتعامل مع الحياة بمنطق الصواب والحقيقة، وإلا كان علي أن انتبنى قضية فور ولادتي وأموت من أجلها دون تردد .

أمضى شاهين نصف ساعة في التحمية على الدراجة الكهربائية، لا يشعر بنفسه عقله كمسافر يحاول التخلص من الكثير من الأمتعة التي كان يعتبرها أساسية وضرورية، بات يشعر أن الأساسي والضروري أن يصل ويشعر بالراحة تزداد دعسات شاهين على البسكلايت الكهربائي وتسارعها، وكأنه يريدأن يصل أسرع؛ حيث توجد هويته ليستطيع اتخاذ القرارات الصحيحة بسرعة أكبر وبعزم أكثر دون الاكتراث لما يحيط به وليسيطر على مشاعره وانفعالاته الحادة، تجاه وجوده وتعلقه بفرح قدماه تبدو كأقدام خيل على سباق لكسب الشهرة والجوائز، ترتمي خيوط حذاء شاهين لتلامس المسننات ليتوقف البسكلايت الكهربائي شاب بقربه ويقول له ركز بتمرينك كنت ستأذي نفسك، بمجرد دخولنا للصالة نترك كل شيء خلفنا انه مكانك لتجد لنفسك فسحة وحيدا يقترب شاهين من البار المستوي بتلمسه بيده وكأنه يحاول إنشاء علاقة صادقة معها، لمعان سيخ ونتوءات في وسطه وأقراص حديدة ضخمة ملونة بالأسود الأحمر والأخضر، وكل لون يدل على وزن معين أغمض عينيه ليسمع صوته

تناديه بصدق كأنه الشخص الوحيد الجاد الذي الجاد إذا إستمر معه شاهين، سيبادله بنتائج واقعية وحقيقية ولن يخدعه تحت أي ظرف وكل ماهو مطلوب من شاهين، أن يمسكه بقوة وثبات ويحركه ولابد أن يتقن شاهين الحركة الصحيحة لتكون النتائج صحيحة فتح عينيه ونزع كل الأقراص الحديدية وتمدد على كرسي جلدي. أمسك بالبار الحديدي ووضع أصبعه الوسطى، عند نهاية تلك النتوءات ضم قبضة يده بقوة ويبدو أصبعه الإبهام، كقفل لقبضته لئلا ينزلق سيخ البار من يديه رفعه في الهواء وزاد ت قدماه ثباتا على الأرض وتصلب ظهره، يتأمله شاهين يتأمله شاهين كرجل عقيم يمسك طفل حديث الولادة لأول مرة يرفعه للأعلى، وينزله ليلامس أطراف صدره يسمع شاهين صوت صراخ قوي ويشعر به يتحرك بسرعة وجنون، يقف أمامه حارسان يمنعانه من الدخول للقاء جزائه الناقص ليكتمل تحوله واضطر ذلك الكائن الصغير القوي لدفع رشوة ليسمحا له بالدخول، بدأت عضلات شاهين بالتضخم بطريقة فاجئته وأن في جسده هذه المساحة ومع ازدياد الأقراص الحديدية يزداد صراخ ذلك الكائن الصغير القوي، ويقوم بدفع رشوة أكبر ليستطيع المرور يتراءى طيف فرح أمام شاهين لينزل سيخ البار ويستوي قاعدا، ويطلق نفخة من أعماق صدره وكأنه جمع كل الآلام في جسده، وروحه المتعبة لتخرج كسنارة صيد في محيط ضخم مليئ بمئات الأنواع من الأسماك والحيوانات المائية والسفن القديمة المليئة بالكنوز تتوقف السنارة فجأة، ويبدو أنها علقت بشاب مرجانية مغروسة في قعر المحيط، يقف ينظر إلى يديه مرة أخرى يصيبه مفاجئة أن يديه كانت قادرة على رفع كل تلك الأقراص الحديدية، فيما بعد تضخمت عضلات صدر شاهين أكثر من عضلات أكتافه وسواعده، كان تضخما لألمه بلا ريب كان شاهين يمضي الكثير من الساعات الطويلة يتنقل

بين الآلات الرياضية، ولا يسأم منها ويشعر أن كل آلة وتمرين جديد يصلح جزء فيه وسعادة متضخمة يجدها دائما بأوزان إضافية، يضحك بصوت عالي وتحاكي حركات جسده ضحكته ولكن لا يزال في عينيه حزن كحزن الأرامل اللاتي تزوجن، بسبب قصة حب مجنونة ملئت عالمهم وأشعرتهم بجدوى العالم يجلس على مقعد حديدي منخفض أسود اللون، وخلفه عشرات من خزائن الألبسة المليئة بالمناشف النظيفة والمتسخة على حد سواء، وعطور مختلفة لتغطي رائحة التعرق الصالة الرياضية تفوح منها عشرات العطور الممتزجة بغضب رجال وسعادة بعضهم بكسر أوزان إضافية. يضع شاهين يده على أطراف المقعد الحديدي ويخفض رأسه للأسفل، وأكتافه باتت أعلى من رأسه ظهره مقوس كقطعة جليدية ضخمة قطع جزءا كبيرا منها قديما في مستودع فبات يبدو كمنحدر زلق جدا. يجلس رجل ضخم على الجهة الثانية ليميل المقعد تجاهه فيصدر المقعد صوت ارتجاج يرفع شاهين رأسه، ليرى صورته في مرآة صغيرة على الجهة اليسرى منه يثير استغرابه هيئته يتفحص وجهه، ويسبل يده على لحيته التي نمت مع نمو عضلاته ويشعر أنه كبر بسرعة يتذكر لقطات ومشاهد، من طفولته التي أدمن فيها النظر إلى نفسه في المرآة والتساؤل الذي يسيطر عليه ماذا سيحدث معي وأين سينتهي بي المطاف، يتفقد غمازته وهو على يقين أنه سيكون رجلا مثاليا الجميع يحبه، ويمتثل لقوله بلحية طويلة ولكن ملامحه الطفولية لم يفقدها يوما ولم يستطيع أن يتخلص منها يوما، لطالما تضخم عقله أكثر من جسده عاش شاهين الكثير من فوضى الحياة ولطالما سيطر عليه ذلك الاعتقاد الذي يتملكه، في مساء كل يوم حملت في قلبي حقدا على كل شيء حقدا ليس له مبرر، سوى أني لم أخلق بإرادتي ولكني لم أشعر أني حي وأرغب في الاستمرار بالحياة سوى مع تلك الحقيرة كانت صلحي مع نفسي

ومع العالم. قال له ذلك الرجل الضخم: لقد تضخمت عضلاتك بشكل كبير لم أظن أنك ستستمر، في التدرب والتمرن كل هذه الفترة أدار رأسه وقال له ماذا تحاول أن تثبت ابتسم شاهين وقال له: بل ما أريد التخلص منه.

انسحاب فرح من حياة شاهين أشبه ما يكون براقصات التعري، تنسحب وأنت في أوج احتياجك لها. دار في رأس شاهين أنه أمضى ثلاثة وعشرين عاما وحيدا، ودخلت فرح حياته وفقدها فجأة ضحك شاهين كمختل ثم سيطرت عليه جدية مفرطة وقال للرجل الضخم أنه لا توجد ملائكة وأن الشياطين اخترعت، وابتكرت فكرة وجود الملائكة فقط؛ لأنها ملت من كونها شياطين قال له الرجل الضخم: بحثت عن أغلى سلعة بالعالم في المكان الخاطئ. قبّل عضلات ذراعه وقال له كن على ثقة أن الوحيد الذي يمنحك الثقة العمياء، ولا يفقد الأمل منك أو يخدعك هو تلك الأثقال الحديدية الضخمة خرج شاهين من الصالة الرياضية وأشعل سيجارة، عند باب الصالة الرياضية ويحاول شاهين إلهاء عقله عن حاجته، لأحد أمضى طريق العودة بضحكات متقطعة لمواقف سخيفة في طفولته استيقظ شاهين من نومه بعد أسابيع معدودة؛ ليجد أنه ليس بحاجة لارتداء حزام جلدي فعضلات فخذه وأردافه قد تكفلت بحل المسألة ومفاجئة كمفاجئة المفخخات. تمزق جزء صغير من قميصه يبدو أنه قد امتلك قوة لحل كثير من المسائل العالقة لم يعد يهمه شيء؛ فتضخم أناه سيطر عليه بشكل كامل وفي كثير من الأحيان كان يبحث عن المشكلات ويخلق مشكلات فلا أحد قادر على إيقاف قدرة عقله التحكمية وسواعده والجميع كان مجبرا على تقديم طقوس الاحترام المضاعفة له.

وصل شاهين إلى الأكاديمية ولم يتكبد عناء الذهاب إلى الأكاديمية منذ أشهر طويلة، اكتفى بدراسة المقرر الذي فشل في تقديمه بإحتراف يجلس شاهين على بحيرة من الرخام؛ سداسية الشكل يشعل سيجارة وفرح تنظر من بعيد وتبحث عنه جلس رجل خمسيني، بجانب شاهين يبدو أن الحياة أتعبته أكثر ما أتعبه الطريق الطويل الذي أتعبه، لتسجيل ابنته في الأكاديمية لا أعرف ما قصة الملابس الرثة التي يرتديها الجميع ويسيطر عليه الإحراج من هيئة والده، وطريقة تحدثه مع شاهين النقود فقط، هي الكفيلة بصناعة شخصية يحترمها الجميع وشاهين يستمتع بالتفكير وحديث الرجل أصابه بالتشويش بكلماته التي لا تنتهي عن بؤس الحياة. سارع شاهين بإعطائه قطعة سكاكر ليستريح عقله لبضعة دقائق تقدمت فرح باتجاه شاهين، وشاهين على ثقة بأنها ستشيح بنظرها وتستدير بمجرد أنه سيركز بنظره عليها، وفيما فرح تتقدم باتجاه شاهين أراد أن يقنعها أن لعبتها تسير على ما يرام ليتحكم بالنتائج بإرادته، تقدمت أكثر بثقة وأنوثة مصطنعة ليشيح شاهين نظره إلى الجهة اليسرى، الأشياء تبدو أكثر واهتم بحديث الرجل أكثر من مجيئها نحوه، تغيرت ملامح فرح ويبدو أن صقيعا بات يحيط بتلافيف دماغها وضعت رأسها على كتف إحدى صديقاتها بدأت بالبكاء، وشعور عارم يسيطر عليها أنها فقدت أنوثتها يمشي ثلاثمائة ياردة تحت أشعة الشمس كفيلة بجعله سعيدا، بكل ما تحمله الكلمة من معنى وتفنن شاهين بإطلاق ضحكات متقطعة مع إحداهم عند مروره أمام فرح لتزداد فرح انهيارا وضعفا؛ كطفل فقد كل أسرته بحادث مروري مفاجئ وبعد ساعات قليلة تقف فرح وحيدة هذه المرة تنظر إلى شاهين وكأنها تقول له: أخذت ثأرك كمحترف، علينا الآن أن نتصرف كناضجين. اقترب شاهين نحوها وقال لها: هل رأيتك في مكان ما جن جنونها وصوت أسنانها، وهي تصطك ببعضها

كسكة قطار في شتاء قارس قال لها شاهين كذبتي علي واستغليتني لأربعة أشهر وكنت تسلية رائعة لك، ولأصدقائك وكن انتبهي كنت أعرف ذلك ولكن كنت أقول في نفسي: ستنضج طفلتي عما قريب أصابني القرف من كل الاعتذارات التي قدمتها، ولكن عن ماذا تعتذرين الأمر يشبه تقطيع أطراف أحدهم والقول له أعتذر عن حدة المنشار، وشاهين أن يقضي وقتا ممتعا بالاستهزاء من وجودها وفرح على استعداد للتضحية بكل شيء لتستعيد كونها أنثى توجه شاهين نحو طابق يكشف الأكاديمية بشكل كامل، من شباك صغير وسلالم تحيط به من الجهتين لحقت به فرح جلس شاهين على كرسي حديدي، بوسائد جلدية مهترئة الجميع كان يطلق على ذلك المكان صومعة شاهين، لأنه يقضي أغلب أوقاته وحيدا وحدة قاتلة يمضيها أسندت فرح أسندت فرح ظهرها، على الحائط وأشعل سيجارة طريقته بالتحدث معها كانت قاسية ومفرطة الجدية ومليئة بالتحكم، لم يسبق له أن تحدث معها بتلك الطريقة، فقد شاهين كل الثقة بفرح حتى اسمها ارتابه أنه كذبة أخذ بطاقتها الشخصية، وقال: أعتقد أن هنالك خطأ. وأشار بيديه - الجنس أنثى ولكنني أرى أمامي ذكرا، حاجبي أطول من حواجب جدي، انسحبت بمحاولة يائسة ليشدها شاهين من يدها فلم ينتهي بعد أمسك حقيبة يدها وهزها بالهواء وقال لها:: ماذا في داخلها قالت فرح وهي تبتسم وأسلوب شاهين يروقها أكثر فلا كلام عن الحب هي الأضعف وهو الأقوى ولا كلام عن الحب قالت فرح: نقود ومحارم معطرة وأوراق شخصية وبعينين نصف مفتوحة قال لها: هل توقفت عادتك الشهرية هل يعقل أنك في سن اليأس مستحضرات التجميل تناهز بسعر كليتك في السوق السوداء، شاهين يحاول التعويض عن أشهر طويلة من التعلق بفرح واستغلالها لكرامته لمشاعره لروحه لجسده، وعدم اهتمامه بالكثيرين فمن أحبه أكثر ما يحب نفسه يوما

ملئ فمه بالهواء؛ فبات منتفخا كصدرها الصغير وأشار على خديه وقال صدرك بحجم انتفاخ خدي هل يخطر بعقك عندما تستيقظين في الصباح أنك أنثى قبّلت فرح خد شاهين، وأسرعت بالذهاب على الجانب الضيق من الصومعة وضعت يدها خلف ظهرها وأسندت ظهرها إلى الحائط وكأنها تعلن استسلامها.

دار في رأس شاهين لا بأس من إحراق كومة من القمامة؛ ففي النهاية ستشعرك ببعض الدفء ولم يكن يعلم أن كل تلك الروائح ستحمل ندبا في ذاكرة أحدهم.

أغمض شاهين عيناه وكأنه كفيف يتعلم أبجدية جديدة، لم يسبق لأحد أن تعلمها عانق شاهين فرح وتضاءلت كل المعاني في الحياة. معانقة لصاحبك تشعرك أنكم قادرين على مواجهة قسوة الحياة معا بينما عناقك لمن تحب تجعلك المسؤول عن مواجهة الحياة بدلا عنها.

شاهين كفة يده اليمنى على ملامح وجه فرح من الأعلى إلى لأسفل، يتفقد أجزاء وجهها وكأنه على ثقة بفقدها يوما ما ينظر إلى يده، وتنتابه رغبة بإرتداء قفاز لآخر عمره لئلا يلمس شيئا آخر، غير وجه فرح عيناها ثابتة في مكانها تسيطر عليها دهشة طفولية، كان واضحا لها أن ذلك يكفي شاهين منها طوقت عنق شاهين بذراعيها ونفخت صدرها الصغير بصغر عقلها للأعلى، ووقفت على رؤوس أصابع قدمها خدها يبدو بنعومة جسد طفل رضيع قبلها شاهين لتكون له في مجتمع الفضيلة، وتلك الشامة بالقرب من شفتي فرح كبوصلة لتقبيل أكثر الأماكن رقة. شاهين هم لتقبيلها التصقت شفتاه بشفتاها كقطعة جليدية وصوت يسيطر على شاهين لا استطيع الابتعاد لقد علقت لسان شاهين، يبدو كفارس بربري بحديقة أندلسية من

أسنانها ناصعة البياض. لم يجد شاهين أي مكان للتسوس فأدرك جيدا أن حياتها منظمة وتلقى رعاية وحرص سقيم.

فائقة الجودة انساقت يد شاهين فجأة بانسيابية على مؤخرة فرح الصغيرة، التي ملأت كف شاهين وكأنه مغترب يمسك كومة من تراب بلاده بعد سنين طويلة، تساقطت تلك الرمال فجأة لتمسك فرح بيد شاهين بقوة وتدفعه بقوة لم يظن شاهين أن فرح تمتلكها يوما، وأمسكت بزمام قميصها الأسود كقديس يملك مخطوبا لنبي من الأنبياء، ضرب شاهين جدار إسمنتي بقوة وجنون، وسرعان ما تورمت قبضته وانتفخت لتبدو ملونة بالكثير من الألوان. أمسكت فرح بيد شاهين بكلتا يداها قبلتها ووضعتها على صدرها، وشعور من الندم قد تملك شاهين أشعل سيجارة وابتعد عن فرح وعيناها ممتلئة بالشهوة والخوف والضعف والرغبة.

رحلت فرح مسرعة مرة أخرى وأشعل شاهين سيجارة وكل ما يتذكر أن أنفه وأنفها عقد صداقة تتغير ثلاث أرباع مفاهيمك للحياة، وطريقة تعاملك مع الآخرين يبدو كل شيء صغيرا وكل مشكلة عالقة لها حل تتصالح حتى مع خطيئة آدم الأولى، وتكف تلك التفاصيل أن تكون مزعجة ففي نهاية المطاف، الزواج من أقدس العلاقات في الحياة لأنه مكلل بمراسيم الرضى الإلهي، فيما بعد قضى شاهين فترة طويلة ولم يتحسس عضلات صدره كما كانت فرح تفعل، وصومعة شاهين التي كانت تعج بأفكار ماركس والحلاج باتت مكانا للرغبة المحمومة. الطريف في علاقة شاهين وفرح أن الأمر بدأ برسالة تزخم بأشعار ابن الفارض، وانتهى الأمر بضعفهما الذي أجبر شاهين أن يضعف لأجلها لئلا تضعف على كتف رجل آخر. ربما كان الأجدر به أن يحتفظ بنبله القديم .

مضت شهرين على غياب فرح عن الأكاديمية بشكل كامل، ولا أحد يعلم شيئا عنها وكأنها لم تكن موجودة تتباطأ حركة عقارب الساعة ليزداد شاهين تشويشا عجزا، يسند شاهين ظهره إلى جذع شجرة وبدأ يتخلى عن أناقته تدريجيا الجميع يشعر ويرى أنه يتألم ويتعذب، ولا أحد قادر على مساعدته اختفت كل تلك الضحكات التي تنطلق من قلبه لتلامس عنان السماء، وجد إلى درجة شك فيها بوجود فرح أصلا، لا شيء قادر على جعله يكمل جملة إلى النهاية. خارت قواه يتمدد تحت شجرة جسده يبدو كثقل حبر قلم على الأرض، أغمض عينيه مجبرا فقط ليستطيع التنفس يفرد يده في الهواء ويضمها ينظر إلى الجميع ويبدو كتائه، وغريب كاللغة على لسان سائح ويعجز عن تذكر اسمه، أو كيف وصل إلى هنا يركز نظره إلى أصبعه السبابة ليتذكر ملامح وجه فرح، ويشعر أن عليه أن يستفيق من معركة شرسة تدور في عقله بضرورة التخلي عن فرح يطفئ عقب السيجارة، يضغطه بين اصبعه السبابة والإبهام سواد يلون أصبعه السبابة يشبه وجود فرح يبدأ شاهين، باستعادة ذاكرته تدريجيا ويقرأ مقاطع من كتاب سماوي علوي بدأ يتذكر اسمه، ويحاول أن يقف ويطلق ضحكة كمختل لتعود كآبته وحزنه لتسيطر عليه. يتقدم أحد أصدقاء شاهين نحو شاهين تل أنت بخير يساعده على النهوض، ينظر له شاهين ويقول له هل لديك سجائر يناوله سيجارة يبتسم في وجه ذلك الشاب، يبدو أن شاهين تذكر اسمه ينفض الشاب قميص شاهين بيده من التراب ويسارع شاهين بغسل وجهه بمياه باردة. أطلق شتيمة بصوت عالٍ: تبا لكل شيء اللعنة على كل نساء العالم واللعنة على كل مشاعر. قلبي بدأ يفكر بمنطقية وواقعية أكثر وبدأ الحظ يحالفه للإجابة عن أسئلته، رأى إحدى صديقات فرح استوقفها وقال لها فرح منذ شهرين لم أرها، ولم أسمع خبرا عنها ماذا حدث معها قالت له أنا أيضا قال لها: هل تعرفين أين تقطن؟

قالت له: نعم التوتر يسيطر على شاهين سائق شاحنة متهور، يضغط بقوة على دعاسة الوقود لتنطلق عشرات الشتائم البذيئة من فم شاهين. يستدير لينتبه لوجود الفتاة بقربه ويسيطر عليها شعورا، من الخجل وعدم الاهتمام يرى شاهين قطة تركض بسرعة كبيرة ولكنها مشوشة خطواتها مرسومة على طول الطريق يمينا ويسارا، وللأمام دون تركيز وتحاول جاهدة الوصول لطبق التونة عند باب الحديقة الكبيرة التي تراها وصوت أبواق السيارات، وصوت المارين وهم يتحدثون عن أطباق تونة أكبر أفقدها قدرتها للوصول إلى صحن التونة أمامها فجأة لم أعد أراها، رأيت أطراف ذيلها الأبيض الصغير يختبئ تحت شاحنة ضخمة مركونة منذ وقت طويل لا أحد يعرف منذ متى يبدو أن القطة خافت؛ وفزعت لدرجة اختبأت تحت تلك الشاحنة وبدأت تلوم نفسها على رغبتها بأكل. أصيح وأصرخ بأعلى صوتي ولكنها خائفة أضن أنها علقت وصوت المحرك، وصوت المحرك وهو يتأهب للانطلاق ولم ينطلق يوما يشعرها بالخوف تكتفي، بإغماض عينيها والبكاء ولوم نفسها على رغبتها المحمومة بأكل التونة أدار أحدهم مفتاح الشاحنة بسرعة وبوقت مفاجئ جعلت الغبار المتراكم على محرك الشاحنة الضخم، ينتفض ويصدر ضجيجا عاليا يتقدم شاهين وصديقة فرح، يرى شاهين بناء ضخم وواسع محاط بسياج حديدي ضخم وسواتر إسمنتية وأشجار ضخمة تملأ المكان وخلف كل شجرة رجل ينظر بحذر ولا ترى سوى بطانة بندقيته الخائفة من المارة وخوذة مليئة بشعور بالذنب، والسئم يبدو أنها كانت وحدة قاتلة في المستودعات يوما ورغبة في عيش تلك الوحدة مرة أخرى. بناية قديمة وضخمة من خمسة طوابق والعشرات من محلات بيع الألبسة المستعملة تحيط بها، يركز شاهين نظره على نافذة في الطابق الثالث ويشعر بملمس يد فرح على تلك النافذة، يوما يجلس رجل ضخم كعارضة إسمنتية بلحية طويلة سوداء ينفث سيجارة

وينظر للمارة على أنهم عبيد هيأته العدوانية زادت من احتقار واشمئزاز المارة من وجوده عند مدخل البناية. ابتعد شاهين عن نظره ولم يخشه بقدر ما خشي حدوث لعبة ماكرة من أحدهم قفزت صديقة فرح من الباب الحديدي، قرب الرجل الضخم وكأنها تخشى أن تتلوث بقذارة رطبة لحيوان تتقدم تلك الفتاة ذات الملابس الرثة التي منحها شاهين، العفو عن تشويه سمعته مبتسمة كانت الوحيدة التي تراقب شاهين من بعيد، وتتمنى الأفضل له قالت له يبدو أنك استطعت تتبع آثار أقدام فرح قال لها: سنتحدث فيما بعد أعتذر من صميم قلبي ولكن متوتر جدا الآن تنزل صديقة فرح تبكي وتنظر إلى شاهين عند الباب الحديدي للمبنى، وكأنها تريد قتله والتبول على جثته عينها حمراء ووجهها يبدو كأرض مليئة بالثلوج وبقع دماء حيوانات مذبوحة، تملأ المكان تصرخ بوجه شاهين بقوة وجسارة صراخ من فقد شيئا في غاية الأهمية في لحظة مفاجئة، المارة ينظرون إلى دموعها وحزنها وصراخها في وجه شاهين وكأنه تفنن في اغتصابها، وطريقة تصفيقها بيدها وكأن فرح ذبحت والجميع ينكر وجودها أصلا عن الاعتراف أنها قتلك يزداد صراخ شاهين ويقول أخبريني ماذا حدث دموعها. تتساقط بغزارة وتنظر إليه وتقول له تبا لك كيف ستصلح الأمر تسرع في المشي وتمسح دموعها وكأنه لا فائدة من البكاء على الأموات شاهين يبدو كقطعة لحم على مشواة قديمة مليئة بالفحم المشعل يستعيد رائحة وصورة فرح لتهب ألسنة اللهب بسرعة جنونية لتحرق وجه شاب يقف بقرب المشواة يرتدي نظارة طبية للقراءة وقرأ عبارة منحوتة على المشواة: لا تستهين بقدرات أحد سأشتعل بقوة وسرعة تؤذيك ولكنه لم يحرك ساكنا. واكتفى بالقراءة يستعيد شاهين كل تلك الحركات العنيدة الطفولية لفرح، كتوابل برائحة قوية وطعم لاذع يعلق في لسانك وفمك ويشعر قلبك بلذة عمياء تقترب من الموت؛ ليصيبك بعضا منها وجه شاهين

أشبه ما يكون بلوح زجاجي يعكس ألسنة اللهب العملاقة، التي حولت قطع الخضار إلى قطع متضخمة وخشنة يابسة ورياح هادئة، تكفي لتتناثر أجزاءها في كل مكان .

وصلت الفتاة ذات الملابس الرثة إلى باب قبو رفعت رأسها لترى ضخامة وارتفاع البناء، كانت قد أمضت طريق العودة وهي تفكر بتصرفات شاهين الجريئة لشاب في ظروفه وسنه، وفي محاولتها لتصليح أخطاءها تجاه شاهين قد كشفت لها الكثير عن نفسه وضعت يدها على زر أبيض اللون يبدو كصوت جرس عودة المساجين، إلى الزنزانات وطريقة سيرها في الطريق تكشف للجميع أنها عاشت بمستوى فاره من الحياة فيما سبق بدأت النزول من درجات القبو الطويلة، والضيقة والمتعرجة صالة صغيرة وغرفة واحدة هو منزلها الجديد يبدو أن عشرات من فواتير المياه والكهرباء والحياة كانت ثمنا لقذائف هاون، ومدفعية تسقط بأريحية على بيتها القديم، لا تزال آثار تخزين بضائع على جدران القبو باتت الآن لتخزين الأرواح والكثير من الآمال والأحلام التي يجب أن تتحقق علاقة خبيثة مليئة بملابس رثة وأكياس بلاستيكية، لتخزين الجوارب وحقائب سفر ضخمة مهترئة مغطاة بقطع قماشية كبيرة، بمثابة سرير للمرضى تجلس امرأة خمسينية سيماء الطيبة والبراءة والبلاهة، تسيطر عليها بشكل وقح وقدر مغطى قطع بطاطا مليئة بالتوابل، ويبدو أنها تعود لليوم الفائت زوائد حديدية ملتوية تظهر من السقف، وأنابيب الصرف الصحي البلاستيكية في زاوية أخرى من الصالة الصغيرة مغطى بقماش أبيض إصرار عجيب على الاستمرارية كمن يمسك وشيعة حرارية، ويردد ستبرد يوما ما وفي وسط ضحكات جهورية بينها وبين أمها صوت سقوط تغوط أحدهم، وصوت المياه المتدفقة بكثرة أسكتت تلك الضحكات شعرت الفتاة بعبء وجودها ودمعة حزينة تجمع كل أغراضها،

لتخرج لتوقفها صوت أمها قائلة يبدو أن أحدهم مصاب بإسهال حاد تنطلق صوت ضحكات أقوى مذهلة تلك القدرة التحكمية الساخرة، التي امتلكوها للمواجهة بقوة الواقع يدق الباب بقوة رجل عصابي أحمر البشرة على استعداد لتنظيف تغوط امرأة لتدين له بخدمة يصرخ بوجه تلك الفتاة بشراسة، وصفاقة ويتطاير من فمه رذاذ ريقه النجس عنقه يشبه جلود الخنازير، وكل الذي استطاعت الفتاة أن تفهمه وتدركه أن صوت ضحكتها العالية، أيقظ زوجته العاهرة أمسكه من يده رجل ستيني مربوع القامة نحيف وأصلع، ويبدو أنه يمتلك سر ضربة قاضية لملاكم محترف من يده وأداره إلى الجهة الأخرى، وأغلق باب القبو وكل ما سمعته الفتاة هو صوت أبيها وهو يقول: فلتحل عليك لعنة الرب هل لديك رغبة بتناول تغوطك اليوم أم بالانصراف؟ سارع بالرحيل ويلتفت خلفه كل ثلاثة أمتار، شفتاه تتحرك بالاستياء والشتائم كطفل صغير خطوة سريعة من الرجل الستيني أجبرته بالاسراع وعدم الالتفات يضحك والد الفتاة ويقول: الخنزير يظن أن أحدا ما قادر على مواجهة رجل خسر مدخرات أربعين عاما، يستيقظ في صبيحة كل يوم ليعمل في صناعة الأحذية أطراف أصابع يده منتفخة وزرقاء دائما خشنة وقاسية تبدو كخارطة لمزاجية القدر وإصراره على موقفه، الفتاة قد تملكها الدهشة من طريقة تحدث والدها المحب الحنون، أدار مفتاح وصوت طقة المفتاح قد أيقظتها من دهشتها ضم ابنته وجالت تلك الأصابع المنتفخة على رأسها وهمس في أذنها حتى الأحذية الجديدة الأمطار، والحرارة كفيلة بتمزقها وتبخر الصمغ الذي يجمعها على بعضها، يسند ظهره إلى الجدار ويمد قدماه للأمام ويتحسس أصابع قدمه وكأنه يتساءل متى سيحين وقت استراحته على جدران قبره الموت هو الطريقة الوحيدة، لانسحاب رجل في عمره وصل للذروة، عاش طوال حياته مع مسؤولية متضخمة تفاقمت في ظل الحرب

التي تشهدها البلاد ولكنه ببساطة وصل للذروة، وكلماته عن الجدية المفرطة للنجاح كانت الشيء الوحيد، الذي أن ينجزه بعد وفاته الحب لعائلته وإيمانه بالرب هو الذي جعل ذلك الرجل يتعامل مع الحياة، بتلك الطريقة التشويش يسيطر على عقل شاهين يبدو أن قدراته التحليلية والعقلية، أخذت استراحة لعدة أيام لم يكن قادرا على فهم شيء، أو التصرف حيال شيء كل مايعرفه هو أن النيكوتين يشعر عقله ببعض الراحة ويتساءل في عقله: ماذا حدث وهل هو حقيقي وماذا سيحدث؟ هل يعقل أن وجودي وحياتي مجرد فلم تلفزيوني وأحدهم يجلس على أريكة ويشاهدني.

يغرق بحديث مطول لساعات مع أحدهم ويطرح أكثر الأفكار عقلانية ومنطقية، ولا يستطيع التذكر أي شيء عن حياته الماضية. خمسة أيام على هذا النحو كانت كفيلة بتمزق كل إرادة للحياة فيه، يمر من إحدى الأزقة القديمة ويسمع أصوات من إحدى الأماكن يقترب أكثر، ويبدأ بتذكر واستعادة الكثير فجأة، وجد نفسه على أبواب حضرة صوفية دخل ليجد العشرات من الشباب والصغار، والشيوخ يطرقون رؤوسهم ولا يتحركون وشاب يرسل كلمات عجيبة المعنى يتسارع اللفظ وكأنهم يحاولون إخماد الكثير من الحرائق، يبدو أن الجميع يعيش شرخ عملاق في داخله ولا شيء قادر على تعبئة ذلك الشرخ غير لذة أن تعترف بضعفك، لذة أن تسجد روحك لذلك الجمال العجيب ولست مضطرا أن تكون أمامه أحبك حتى الثمالة يا من استوطن أعماق روحي، بحثت عنك طويلا هل سأجدك هل ستسمح* لي بذلك يجلس رجل سبعيني ويسند ظهره، إلى الجدار خلفه يبدو أنه يعيش في قفص كبير من النور والضوء يمد قدميه إلى الأمام، وديباج صغير على قدميه خلفه لائحة مشجرة بأسماء رجال عرفوا أنفسهم جيدا، وعرفوا الكثير من أسرار الحياة وطريقة سيرها أشخاص صالحين وطيبين من

صميم قلوبهم تصرفاتهم، ومعاملاتهم للآخرين جعلت أسماءهم تسجل ليقرأها الجميع، ويحاولون مقاربة طريقة حياتهم وشاهين كان قد أطال النظر إليه؛ لينظر الرجل السبعيني وعقل شاهين يتخبط يمينا ويسارا، ينظر إلى شاهين ويتمتم بكلمات يلتمع في عين شاهين ضوء سيارة وينزل رجل منها ويقول: اركب معنا وسنوصلك إلى أقرب محطة؛ حيث ستكون بأمان ومن هناك ستمضي وحيداز بدأ أحدهم بالتمايل يمينا ويسارا للأسفل والأعلى ليتمايل الجميع كأنهم قطع دومينو يشير بيده الرجل السبعيني ليقفوا ويشكلون دوائر وصفوف، ويمسكون بأيد بعض يقف في الوسط ذلك الشاب ويردد أشعار عن الشوق والوجد بحب العلوي والتنزه عن السفلي، يترك الجميع بحركة واحدة وينزلون رؤوسهم للأسفل ثم للأعلى بسرعة كبيرة، يصرخ شاهين من أعماق روحه وقلبه يبدو أنه نادم على الكثير، وقمه ندمه تتركز على ضياع ذلك الوقت وهو بعيد عن تلك الراحة التي كان يجدها كان يصرخ بقوة وجزالة في اللفظ، كأنه يحطم سلاسل طويلة حديدية قيدته فيما سبق يتراءى طيف فرح أمامه يحرك إصبعه السبابة، وكأنه يريد التأكد من وجود فرح ليمسك بيده جيدا شاب بقربه يزداد صراخه؛ لينمحي ذلك الطيف ثم يبقى يردد لا شيء لا شيء هو هو، الجميع يبدو أنه نادم وكأنهم مصابين بعقدة ذنب من نوع ما وآخرون، يبدو أنهم مشغولين بإشارات القبول يصف ذلك الرجل السبعيني متكئا على أحدهم ليشير لهم بيديه ويقترب من جميع تلك الدوائر والصفوف، يزداد صراخ كل من يقترب منه وكأنهم لمسوا قضبان ذلك القفص المصنوع من الضوء وكل الذي استطاع شاهين أن يفهمه أن الجميع لديه فرصة إلا الكاذبين. أجسادهم تتحرك بحركات الرجل السبعيني ويبدو أن أرواحهم كطيور بأجنحة ضخمة، طيور خضراء عملاقة ورأسها أبيض ترتفع وتنزل بسرعة كبيرة، وتبدو فرحة يتوقف

أحد الطيور عن تحريك أجنحته ليرتطم بالأرض بقوة، ويرتفع بسرعة هائلة أعلى مما تحلق الطيور الأخرى بقي ظل الطير في الأرض وهيئة وصورة عنه، ولكنه لم يعد يطير باي يمشي على قدميه بينا صورته الحقيقية، قد ارتفعت بعيدا أحد الطيور حلّق أعلى من الجميع ورأى ذلك الطير قبّل شاهين يد ذلك الرجل السبعيني وشعر أنها كأجنحة الملائكة، خرج شاهين من ذلك المكان ويبدو أنه سيحاول التحف الفنية الأثرية القديمة من أمامه، بحذر وبدون تعقيد بعد عدة أيام يتلقى شاهين اتصال هاتفي من والده يخبره أنه من الآن فصاعدا عليه يتدبر أمره وحيدا؛ فلا حوالات مالية قال له بلهجة صارمة مليئة بالأسى والخيبة: نحن عاجزون عن تدبر ثمن الطعام يا ولدي. يسمع شاهين صوت دقات قلب والده المتألمة والعاجزة عن فعل شيء يسارع شاهين بالكذب ليطمئن والده ويقول له: لم أخبرك أني أعمل منذ زمن بعيد وأتدبر أمري بل حتى استطعت التوفير يفرح والد شاهين ويحمد الله بأن شاهين يتدبر أمره وصنعت منه العاصمة رجلا قادرا، على تدبر شؤونه يفصل الاتصال الهاتفي ويستفيق شاهين على صوت الصفارة على أنه سيكون مجبرا على التخلي عن طقوس أناقته. الكثير من الواجبات في الحياة تكون مضطرا للتعامل معها، ولكن أقساها بالتأكيد تلك التي يفرضها القدر يتفقد شاهين بقية النقود التي بحوزته ليقرر ما الأولويات وصوت طقطقة العملات الورقية الجديدة تجبر شاهين، على التفكير بساعات العمل التي قضاها والده ويتخيل أقسى أيام عمل والده أمامه، يجد نفسه أمام مسؤولية ضخمة لم يكن شاهين يعبأ بالطعام، إلا في تلك الفترة ويبدو أن أكوام من أكياس المعكرونة، سريعة التحضير كانت الحل الأمثل أكثر من الفلفل الحاد لتغير نكهة التخزين لولبية الشكل وحلزونية وسلسلة من الأشكال الهندسية المتنوعة، وكلها تهدف أن تتقبل طعمتها على أساس أن كل قطعة وجبة

مختلفة، وهي الوجبة الوحيدة للافطار والغداء في الأيام الأولى وصل شاهين لمرحلة، تذكر رائحتها فقط كفيل بجعله يتقيأ إلى أن يبتلع آخر قطعة من قيئه لأنها التصقت بأمعائه. يشعل سيجارة من النوع الرخيص ويضحك؛ لأن لا أحد ينجو من تهكمه حتى هو نفسه يطلق عبارة شعرتُ أني عذراء، تحاول إسقاط ولد زنى ويقترب الليل وتبدأ معدته بدق الطبول والأجراس ويجد نفسه مضطرا للرقص. رائحة المعكرونة تبدو كرائحة أمعاء بقرة. وبعد أن ينهي وجبته يشعر أنه لا يقهر فلا شيء قادر على إيقافه وتحويل حياته إلى جحيم لأنه يعيش وسطه. في كل مرحلة من مراحل حياتنا نمر في فترة نكون على يقين أنها الأقسى ونجاحنا بتجاوزها يجعلنا نظن أننا نحرز نصرا.

نظرات الجميع تنتقد شاهين وتشعر بالأسى حياله، يركز شاهين نظره على شاب سمين نظراته كانت الأكثر حقارة ويقول نوعية طعامك التي ستتغوطها تشبه تغوطي؛ فإذا كانت وجبة طعام كافية تجعلك تتراجع وتنهار وتثير قرف واشمئزاز الجميع من صراخك الشبيه بصراخ عاهرة لم تكتمل أجرتها، فعد إلى عائلتك سأنجح ولن أدع أي شيء يجعلني أنهار وأتحطم

ظرف سيئ يجعلني أنهار وأتحطم. شاهين أصيب بحمى كلما نقص أكثر يدرس ساعات طويلة أكثر ولا شيء قادر على تحريكه من طاولة المكتبة، سوى منظر والده يربت على كتفه ويقول يكفي يا بني أعطي نفسك بعض الوقت

ليالي رمادية تعبت من مرورها فوق جسد شاهين، الذي لا يكف ملاك فرح الحارس عن مهاجمته يستعيد تلك الذكريات القذرة يبدو ضعيفا ومثيرا للشفقة وبعد أسابيع، وجد نفسه عاجزا عن أي شيء فمعدته حساسة ومتطلبة كشخصيته وجد نفسه مضطرا لإيجاد حل واقعي ومنطقي أكثر من السخر لساعات طويلة؛ ففي نهاية الأمر صفحات كتابه ورائحة فرح لن تسد حاجته للطعام. رائحة فرح لن تسد حاجته للطعام.

يستيقظ شاهين بعد عدة أيام شفتاه متشققة، معدة خاوية ولسان جاف يشعل سيجارة ليقطع رغبته بتناول الطعام ويقضي معظم يومه على المياه والسجائر واستسلم جسده، ليسقط في الأكاديمية ويسند نفسه على باب حديدي لا أحد مهتم به بل ولا يتكبد أحد سؤاله إن كان على مايرام وكأنهم يستمتعون بتحقق غضب الرب عليه، يطلق أحدهم نكات عن تعاطيه المخدرات ليتحول الأمر إلى شائعة، ثم إلى الحقيقة الثابتة بنظر الجميع ينظر إلى يده وتنتابه حيرة عملاقة مالذي يمكن أن تفعله يده ليحصل على المال نظر إلى السماء ويبدو جديا في طلب المساعدة، وصوت أقدام الجميع صنع إيقاعا يدفعه للغضب بشكل جنوني يضم قبضته على بعضها، وكأنه يحمل قطعة من الصليب المقدس، أو يحمل حفنة من تراب وطأها نبي من الأنبياء حاجباه توأمان غاضبان ودمه أحمر ناري ويبدو على استعداد لقتل أحدهم ليحصل على وجبة طعام، وتسيطر عليه رغبة الإنجاز والتغيير وسحق الجميع، رأى ضعفه وعدم قدرته على إعالة نفسه وتخلي الجميع عنه ليطقق اصابعه. يتلاشى الهيكل العظمي وتبقى الجمجمة فوق كومة عظام ويبتسم شاهين كمريض عصابي يبتسم شاهين ويسحق بخطوة واحدة من قدمه تلك الجمجمة يشق جيوب بنطاله؛ فلا مكان ليديه لتستريح أمضى الليلة بتدخين السجائر ورغبته بالتغير باتت تسيطر عليه أكثر من رغبته بالطعام سكون مخيم على السكن الأكاديمي، كل الأضواء مطفأة وضوء غرفة شاهين هو الوحيد المتضامن مع أضواء الشوارع، ينظر إلى شاب نائم وتنتابه رغبة بالصراخ عليه ويقول متى سيفيق يتلفظ بعبارة ليقضي على آخر مخاوفه واسوأ ما سيحدث، تقترب الساعة من الرابعة والنصف صباحا ليجد مايرتديه للعمل، فلا يجد شيء يضحك ويضرب بيديه على فخذيه ويستشعر الحياة الفارهة الفارغة من الواقعية، وباب خزانة الألبسة مفتوح على

مصراعيه وكأن شاهين بات مستعدا لجميع الخيارات يحالفه الحظ ليجد بنطالا بتصميم وألوان غريبة لم يرتده شاهين سوى مرة واحدة ليغدوا تسلية المساء.

الجميع في الأكاديمية وفي نهاية ذلك اليوم، شاركهم شاهين ذلك ويتذكر وصية رجل عجوز لوالده قد سمعها بالمصادفة يوما ما في صغره يغمض عينا واحدة ويفتح أخرى في محاولة لتدبر وشاح؛ فلا يجد إلا وشاح بني اللون يتناسب مع لون جاكيته الفاره أمسكه بيده، وسيطر عليه الحزن على ما مضى كان قد استراح ذات يوم على عنق فرح ذات يوم يقبّله وينظر إليه ويقول لاتقلقي أقسم أني سأعوضك شدّه بقوة على خصره، وظهره ووقف أمام المرآة ويحاول أن يتمرن على نبرة جهورية وبائسة بالتحدث أشعل سيجارة بطريقته أمامي الكثير لأتعلمه طرق باب غرفة إلى جوار غرفته، ليخرج شاب يكاد يكاد بنطاله يسقط من نحافته حليق اللحية ويمسك شاهين من يده ويقول له تفضل بالدخول ويلقي عشرات من التحيات كامرأة تحاول تسريع زواج ابنتها العانسن يدخل شاهين ويجلس على سرير حديدي يقول لشاهين ارتدي ملابس العمل وأحرص أن تكون رثة لئلا تتكبد الحواجز العسكرية في الطريق عناد التحدث معنا.

قال له شاهين: إنني أرتدي ملابس العمل. يضحك شاب إلى جانب شاهين ويضرب بيده على كتف شاهين ويقول فلتحل عليك بركة السماء أيها المبارك ويرمق الشاب الآخر، شاهين بنظرة ويقول إذا تزوجت يوما ما هل استطيع استعارة ملابس عملك ليوم واحد، يضحك شاهين ويقول في نفسه تبا وجدت من هو أبأس مني على هذا الكوكب يخرج شاهين مع الشابين، من باب السكن الأكاديمي ويشعر شاهين أن الأشجار وأحجار الشوارع تتكلم عن وقت الرجال الحقيقيين يسمع شاهين صوت ملهى ليلي، في ختام سهرته

الماجنة ويخرج رجل ثمل بملابس أنيقة ويبدو أنه كان سعيدا بإفراغ جيوبه على عاهرة، تخبره أنه الأفضل بكل ماتحمله الكلمة من ثقل ذكورة مسلوبة ومفقودة أراد ذلك الثمل استردادها تتوقف الأشجار وطوبات القرميد، عن تشجيع شاهين يسمع صوت سيارة عسكرية مسرعة ويلتفت خلفه ليجد رجل ستيني يمشي ببطء، ويفترض أنه يمارس رياضة لتستعيد عضلة قلبه إرادة الحياة، بسخرية لأنه بات يعلم أن ولادته حدث تافه ووفاته حدث أتفه ولن يكون جزء من ذاكرة الوجود الرب وحده هو الذي يعلم، أن شاهين وجد ومات وظن أنه سيكون قادرا على مواجهة كل شيء بقوة وبراعة تنطبق أجفانه، ثقل رهيب أطبقها ثقل الغياب وعدم رؤيته لوالده منذ زمن بعيد!

رجل سبعيني طويل القامة أبيض اللحية تجاعيد وجهه ظاهرة كأرقام في فاتورة مشفى عينيه حمراء، ويبدو أنه رأى الكثير وعانى الكثير ويقول شاهين في نفسه هل عانى والدي كل هذا لأجلي وكان سعيدا بذلك يمضي الشاب نصف عمره الأول في محاولته؛ ليكون مختلفا جذريا عن والده ويمضي النصف الثاني وهو يحاول أن يحقق نصف ماحققه أباه لم يكن يجد السلوى إلا في تسبيحات دينية، وأشعار يرددها عندما يشعر أنه كان يستحق أفضل من هذه الحياة ولطالما كان يرددها عندما كان يشعر أن الكلمات لاتجدي نفعا مع أولاد أقرب ما يكونون للتفاهة، حتى القطط في تلك الساعة من الصباح الباكر كانت تمشي ببطء أو نائمة تقترب الساعة من الخامسة ويشعر الجميع بضرورة الاسراع لإيجاد شاغر تبدأ السواتر الرملية وإطارات متكدسة بالظهور، ويظن شاهين أن الحاجز العسكري قد اقترب برؤيته لسواتر أكبر وأضخم وعبارات استفزازية عنصرية وطائفية يمضي شاهين عشرين دقيقة بالسير على طول الطريق، ليجد الحاجز العسكري وكأنه تخلى عن فكرة عمله وكسب قوت يومه بقدر ما انتابته رغبة برؤية نهاية تلك

السواتر ولافتات كبيرة تجبرهم، أن يغيروا اتجاه سيرهم لعدة مرات يرى شاهين كرسي جلدي فاره وغرفة إسمنتية في وسط الشارع وفيما شاهين كان يمضي كل تلك الفترة، بصقل أجوبة منطقية أدرك جيدا أن القوانين المنطقية للحياة في وقت الحرب تتنسك في دير بعيد في أحد الجبال لأن الجميع انتابته رغبة بتعديلها أو التخلص. وصلت البلاد إلى تلك المرحلة فقط؛ لأن الحكماء والعقلاء تملئهم الشكوك والمغفلين والسفلة واثقين بأنفسهم أشد الثقة وللحظات الكرسي الفارغ والسكون المخيم على الطريق أشعره بقيمة الأمان وتمنى شاهين أن يبق ذلك الكرسي فارغا إلى الأبد لتعود الكثير من الذكريات الجميلة، بالعيش مرة أخرى ولكن الجميع قد وصل لمرحلة من اليأس وعدم المبالاة. يخرج رجل ببدلة عسكرية مهترئة بلحية سوداء طويلة وكثة يأرجح الكرسي الجلدي على رجل واحدة ليجد نفسه وحيدا يتحمل مسؤولية قراراته، يضع الكلاشنكوف بين قدميه عدل قبعته العسكرية ونظر باتجاه شاهين وظن لوهلة أنه على وشك أن يخسر الكثير. التمع في عين شاهين ضعفه وانهياره في معتقل بارد ومظلم أرخى قبعته العسكريةن على وجهه حتى هو يبدو متعبا من طريقة حياة ومصير مجهول فرض عليه يرتدي حذاء عسكري ضخم أكبر من رأسه، خيوط حذاءه معقدة وكثيرة مربوطة بعقد لا تستطيع أن تعرف بدايتها أو نهايتها يصل شاهين والشابان إلى باب حديدي ضخم لساحة كبيرة، وفجوة واسعة وعميقة بسبب قذيفة هاون ويبدو أنها ردمت بطريقة سيئة، مياه وأوحال وقطع خضار فاسدة وأعقاب سجائو والعشرات من الشاحنات الضخمة، في ساحة واسعة ومسورة أتت من مكان بعيد ويبدو حديد ويبدو حديد الشاحنات متعب من سفر طويل وشاق وصناديق خشبية وكرتونية مليئة بالفواكه والخضار، مرقمة بأرقام وكأنها تنبه على الطبقة الاجتماعية وبرج ضخم كبير يطل على

نصف المدينة يبدو أنه حرق لأكثر من مرة، وما زال يحافظ على صلابته يبدو أن أحدهم أجاد عمله وفيما شاهين مدهوش من الحياة الروتينية والرتيبة، وخمسين مترا فقط تفصل طرفي نزاع مسلح عن بعضهما يبدو أن الجميع هنا قد تخلو عن كل شيء لمعدة ممتلئة، وعلبة سجائر التقط أحد الشبان قطعة طماطم حمراء وكبيرة ملأت كف شاهين كأنها سقطت من عدن، ومسح فمه بطرف قميصه. يتسلق الشاحنة رجل قصير وسمين يضع منشفة على عنقه، ويصرخ بأعلى صوته وكأنه برجوازي غاضب يصرخ "حمالة" ويرفع غطاء عن الشاحنة القماشي، وكأنه يكشف عن تمثال قائد عظيم وقوي شعره يلمع تحت أشعة الشمس، ويبدو أنه قد حصل على عمل. ينتفض شبان يافعين من كل مكان نحوه ويتراكضون باتجاه الشاحنة، وكأنها قارب نجاة في محيط مظلم يدفع الشابان شاهين بقوة على ظهر الشاحنة، ويبدو أنه قد حصل على عمل ويحاول بقية الشبان التسلق، يسحب الرجل القصير حزاما جلديا ويضربهم بقوة، وأشبه ما يكون بقطيع غنم جائع وكلب شرس يحاول دفعهم للرجوع، ينسحب بقية الشبان ويتلمسون موضع ضربهم وصوت رجل آخر على شاحنة يصرخ وينادي لعمل جديد أنساهم حرارة تلك الضربات، يبدأ شاهين بتنزيل الصناديق الكرتونية ويسقط أحد الصناديق من يد شاهين وتتناثر قطع الطماطم لتملأ أرضية الشاحنة، ويعتذر شاهين بعفوية بسبب مزاج الرجل القصير الحاد ينظر إلى شاهين ويقول له: هل عملت قبل هذا اليوم فيقول شاهين لا وظن للحظة أنه سيطرده من العمل؟ تتغير تعابير الرجل وينظر لشاهين ويرى مصير البلاد الذي يشابه مصير شاهين ويقول له: لا تقلق يبدو أنك تربيت وسط عائلة محبة، وبعد عدة أسابيع أجهد شاهين نفسه ليظهر بمظهر أصحاب الخبرة رائعة هي محاولة المثقفين والضعفاء،

أثناء تأديتهم للأعمال المرهقة والحقيرة يشعرون وكأنهم يعيشون قصة درامية وبكل طرد يحمله شاهين يقول في نفسه أستحق أن تكون فرح إلى جانبي.

يستفيق شاهين بعد ثلاث ساعات من عودته من عمله ولم يشعر بنفسه إلا وقد نام في ملابس عمله التي باتت جزءا من طريقة حياته، وكيس بلاستيكي أسود حرص شاهين أن يكون مليئ بالتبغ وماكينة للف السجائر مفتوحة كقبر ينتظر موت صاحب الكيس، يوما وفطور أقدامه سوداء وخشنة رغم غسيلها مئات المرات، ولكنها ما تزال أقسى من قلبه وتسيطر عليه موجات وسيل عارم يصل إلى حد السخافة من التبسم والضحك عندما يرى شاب يتبختر وكأن الوجود برمته، لا يعنيه، وكأنه نزل من السماء ممسكا بأجنحة الملائكة ويردد شاهين والدك ياصغيري من يتحمل نفقاتك ويقف رجل ضخم رأسهن كرأس ثور ونصف لحيته طويل والآخر محلوق يرتدي رداء أحمر اللون به بقع بيضاء، ويكتفي ويقتصر عمله على مناولة ساطور لأحد يائس ليستمتع برؤيته يقطع أطرافه وأحيانا يقتل نفسه، ولو أن أحدهم رمى الساطور من يده لانتهى كل شيء واضمحل ولاختفى ذلك الرجل وتلك الطاولة اللعينة والمرأة العجوز.

يضحك الرجل الضخم ليسجل اسم فاشل على ردائه الطويل ويوجد قرب كل اسم رموز تدل على فشله، وعدم قدرته على مواجهة الحياة بقوة ولكن لم يثير اهتمامه أحد كشاهين، كان قد جرح نفسه وسقط من الكرسي ليقوم ويجلس مرة أخرى على الكرسي وليرمي الساطور عاليا في الهواء ويدور الساطور بسرعة هائلة، وشاهين عينيه مركزة على الرجل الضخم ليلتقطه بمهارة فذة ويغرس الساطور في الطاولة بقوة جعلت أخشاب الطاولة تتناثر، ويظهر لون الخشب الداخلي ويمسك برأس الرجل الضخم، ويضرب بقوة على الطاولة لتخرج دماء سوداء وباتت كبركة تملأ الغرفة وتحاول العجوز

الهرب ليمسك الساطور بقوة، ويغمض عينيه ويرميه ليجد كل تلك التراهات اختفت.

يمشي شاهين وحيدا في الأكاديمية ويبدو أن عمله قد صنع منه تسلية واقعية حقيرة، كل همها تأمين المستلزمات الأولية للحياة ويبدو أنه أصيب بعدوى الملابس الرثة، وعدم الاهتمام لمظهره لم يسرح شعره بل حتى لم يلمع حذائه تمر فتاة جميلة بقربه أمضت الكثير من الوقت بالاعتناء بنفسها. ينظر إليها شاهين ويقول يبدو أن تراكميات عمل أحدهم قد أوصلها إلى هنا يمسك سيجارته، بنفس طريقة فيلسوف يمسك قلم يكتب شيء في غاية الأهمية رأسه مطأطئ إلى الأرض وخطوات ثقيلة وهادئة يرتاح على مقعد خشبي؛ ليستيقظ ألم ظهره ويستيقظ معهما ألم أكبر هو كيفية أن ينشل نفسه من تلك الحالة النفسية إلى وضع أفضل يشعره ببعض الراحة؛ ليتخلى عن محاولة تحليل كل شيء والنصائح المجانية البائسة استيقظ شاهين في اليوم التالي؛ ليجد نفسه متأخر ساعة ونصف عن عمله يخرج مسرعا ولكن لا يجد حذاءه يبدو أنه سُرق يسارع بإرتداء حذاء ضيق قديم. يصل شاهين، لسوق الهال ويسارع بالقفز على شاحنة ليهرب من نظرات الجميع المليئة برغبة الوشاية. ينظر حوله ليجد آثار سيل آدمي لاهث يغرق نفسه بأنواع وتصرفات لا تنتهي؛ من التخلي عن كرامتهم الانسانية يضع يديه كمخدة على حواف الشاحنة، ويسند رأسه عليها ويستشعر الوقت الهائل الذي أمضاه فيما سبق بالتفكير بصناديق خشبية وكرتونية، يتفقد علبة سجائره بعدها ليجدها فارغة يطلب سيجارة من رجل قصير وممتلئ قميصه مفتوح، كراقصة خلاعية تحرك لسانه بسرعة هائلة كقرد جائع يتشبث بأغصان أشجار غابة يخرج علبة سجائره من ألبسته الداخلية ويعطي شاهين سيجارة، ولكن رائحتها غريبة عن كل السجائر التي دخنها على مر

خمس سنوات وانتابه شعور أنه يمضغ أوراق أشجار وبعد نفثات طويلة السيجارة، قد وصلت إلى المنتصف ومايزال رمادها صلب ومتراكم على بعضه رماها شاهين من يده، وأدرك أن وجوده في هذا المكان غير منطقي وأدرك شاهين سر خضوع وخنوع الجميع وردود فعلهم البطيئة وسرعة عملهم بوتيرة واحدة؛ من أول النهار إلى آخره دون التوقف لشرب المياه حتى في جو متخم بحرارة الشمس ورائحة الجوارب والعرق وطبقة غبار تملأ جسد الجميع رائحة ذكريات الآلاف على مقربة، ويبدو أن الحرب أرغمت الجميع على تذكر أنه عاش يوما سعيدا أو حتى اقترب من مدفأة في يوم بارد سنوات حرب الطويلة، دون الحسم لطرف جعلت أولئك الذين يعيشون بمساحة خمسين بين طرفي النزاع، يخسرون في كل يوم جزء جديد من أنفسهم، حتى وصلوا لمرحلة أنهم لم يعودوا مهتمين بأي شيء.

ترتفع حصيلة القتلى والمفقودين والمتضررين مع ازدياد السجائر التي تشتعل وتنطفئ كل طرف بجانبه، وكل طرف منهم على يقين بفوز الآخر ولكنهم ينتظرون حسما يذهب كل منهم إلى قبره، ولا يتساءل في نفسه أن كان ماقام به صحيحا أو خاطئ فقط توجب عليهم أن يتصرفوا بتلك الطريقة في نهاية المطاف رغبة مسيطرة وملحة بالتملكح جعلت الجميع يتصرفون كمهووسين الحدائق العامة مزارع لأرواح الكثيرين حتى وصل الأمر إلى أن افتقدوا قبر خاص بهم. مقابر جماعية أظن أنهم لن يفتقدوا الوحدة بعد الآن ماتوا فقط ليثبتوا لأنفسهم وللطرف الآخر أنني لا أخسر ورؤية دماغي متناثر، كقطع بطيخ يشعرني بالتحسن أكثر من خسارتي وضع البلاد أشبه ما يكون برجل تبول على نفسه، ومشى بطرق طويلة متعرجة وفرعية فقط لينجوا من تهكم الجميع بينما استغرقه المشي إلى الآن وقت طويل والجميع رآه ولم تعد هناك فائدة للمناديل الورقية أو لرائحة الصابون الرجل تبول على نفسه بكل

صراحة بغض النظر، عن بردوة الجو أو مرض الكلى الذي يعانيه وأصوات الجميع غير قادرة على دفعه للعودة ووعود الجميع بعدم التحكم لم تعد تجدي نفعا، وطرفا النزاع ينتظرون ببساطة أن يسيطر التعب والارهاق على ذلك الرجل؛ فيجلس في مكانه والجميع يدفعه للإستمراية حتى لا يقف بعد أن يجلس تلك الجلسة، ولكن أكر ما يثير قرف الجميع من يتساءل عن أسباب تبول الرجل لو استطاع أن يستمني بقوة تجعل جميع أشقائه ينزهلون من فحولته، لم وصلت البلاد إلى ما هي عليه اليوم؟ ينزل شاهين من الدرج وخلفه صندوق واحد فقط يتوجه إلى صاحب عمله رجل نحيف وطويلن ذو لحية سوداء أسنانه الأمامية تبدو بيضاء والأضراس الخلفية تتوهج كضوء أصفر في قبو تحقيق، وصوت ضحكات شبان بائسين تتعالى والذهول مسيطر عليهم من لطف رجل في هذا المكان يقول له شاهين: لقد اكتفيت من العمل اليوم وأنا مضطر أن أغادر براءة عينا شاهين وكلماته الصادقة جعلت ذلك الرجل مجبرا أن يخوض حوار قصير مع شاهين عن حياته أخرج رزمة من عملات ورقية مختلفة وأعطى شاهين نقودا أكثر مما اعتاد عليه في كل يوم يعيد شاهين جزءا من المال إليه، ويقول: لم أنهِ عملي ما نزال في منتصف النهار. قال له الرجل النحيف: أنا أعلم ذلك ولكنك تستحق أفضل من هذا نظرات شاهين في وجوه الجميع واستغراقه بالنظر إلى الشاحنات الضخمة وهياكل بائسة ترمز إلى الاستمرارية جعلت الجميع على يقين من عدم عودته وتمنى الجميع الأفضل له يصل شاهين إلى الباب الرئيسي، وينظر إلى السماء ويقول قد ضقت ذرعا أيها الرحيم ولم أعد أحتمل وفرح تنتظر ولست قادرا على مساعدتها، ولا أعلم شيئا عنها ولا أملك سوى الدموع، ولوعة في قلبي ويقين راسخ أنك لن تدعني وحيدا أواجه كل هذا وأقسم أتي سأتغير وسأحاول أن أحقق كل ما أمرتني به، كل ما أريده أن

لا أدع تلك البائسة تعاني وتتحمل وتواجه كل شيء وحيدة الأمر شبيه بقرون وعل عالقة بأضلاع شاهين، وصراخه لن يتوقف تجعل الوعل بحالة هستيرية من السرعة يقفز فوق أشجار ضخمة، ويجري مسافات طويلة بات الحذر يسيطر على شاهين ولم يستطيع أن ينطق شعوره بالألم فضلا عن طلبه أن يتوقف ويستفيق على صوت الجرس الذهبي في عنق الوعل، وارتباك يسيطر عليه ثمانية سباع برية تحاصر الوعل ويدور في مكانه. صرخ شاهين من أعماق روحه وكأنها الصرخة التي ستحرره هو والوعل وأن السباع تتسارع بالتهامهم معا الخوف، بات يسيطر على السباع وحركة ذيل أحدهم جعلته يتراجع إلى الوراء وتفكر في هدف آخر ومايزال الوعل خائف همس شاهين في أذن الوعل لا تقطع وعودا لست قادرا على الإيفاء بها. مسح شاهين التراب عند موضع أقدام السباع فينزل شاهين وقال له: يكفي الرجل نبلا أن يذهب إلى قبره وقد استطاع أن يفي بوعد يفوق قدرته وطاقته.

تضحك فرح بجهارة وتقول: لا شيء قادر على دق عنق تلك الجرذان سوى ذلك الوتد الخشبي الذي يشبه منارة رخامية تزوره النوارس الجريحة. شدت شعرها للخلف لتظهر فروة رأسها أمسكت بقلم أزرق، وفتحت دفتر مذكراتها لتدون وتؤكد وجودها كأنثى ضغطت على القلم بين أصابعها السبابة والإبهام تكفلت لتبدأ كل تلك الحروف والمعاني بالظهور وكأنه كل ما نقوم بكتابته وتدوينه سنتحمل عاقبتنا، على أنفسنا وسيشير أحدهم إلينا بالسبابة أننا نتحمل النتائج. لا أعرف لماذا يحتاج البشر إلى كتابة مذكراتهم. هل هي رغبة بعيش الخيبة مجددا أو هي قناعة خفية بأن ما هو قادم سيكون سيئا أو ربما مجرد أن الإنسان يرفض الاعتراف بتفاهة وجوده.

هل رغبة بعيش الخيبة مجددا، أو هي قناعة خفية أن ما هو قادم سيكون سيء أو ربما مجرد أن الانسان، يرفض الاعتراف بتفاهة وجوده لا

يريد أن يمر وجوده هكذا وكأن حادثة يومية، لقاء أو خلاف مع حبيب أو حصوله على عمل حادث مهم وأساسي لسير الكون انتهت فرح بعد عدة ساعات من تصوير فقدانها جزءا من عذريتها ومذكراتها مليئة بالرموز والألغاز الذي بمقدور معاق عقليا، أن يفكها فتحت درج خشبي لتستقر مذكراتها فيه الأمر شبيه بمفخخة في حي سكني يعج بالفضوليين الذين يعشقون كل تلك الأماكن السرية والغامضة بشكل يومي، تجاهلت فرح تحذيرات شاهين وضرورة أن تكون تلافيف دماغها، هي مذكراتها الوحيدة وفيما فرح تحاول صناعة حدث جديد كانت تصرفاتها الأخيرة قد أثارت ريبة يامن لم يكن يظن أنها على علاقة برجل كان ينتظر الأسوأ خشي أن تكون منتمية لحزب يميني متطرف، الافتراض الذي يحمله الجميع أن الأمور ستكون على خير في الأربعين، يشبه إلى حد كبير افتراضهم أن الجميع ذاهب إلى الجنة. أمسك يامن مذكرات فرح بكلتا يديه وجلس على سريرها بدأ بالقراءة، لتغيير ملامح وجهه وجسده وكأنه يقرأ تعاويذ مشعوذ بالسريانية حرفان او ثلاثة تشير إلى أكثر معاني الحياة تعقيدا، حب وحرب وجنس. يرفع يامن نظراته لأعلى رأسه، وكأنه يحاول أن يفقد بصره فما رآه وعرفه عقله يرفض تصديقه، بكى لأن ابنته الصغيرة في نظره لم تعد كما كانت وهي على علاقة بشاب لم يعد يتحكم بجسده خانه عقله وخارت قواه؛ أحس ببرد عجيب وسقط على الأرض عينيه تنهمر الدموع وألم في حلقه ولم يكن قادرا على هزيمة بعوضة ودفعها للرحيل، استقرت على جسده؛ وكأن المئات من الخيول البرية من فوقه لحم ودم مبعثر على خارطة الجسد الخطيئة كقطعة سكر منصهرة على أرضية فرن طبقات كثيفة ومتراكمة من السكر الذي تحول لونه إلى الأسود، وبدأ بعرقلة تلك العربة بالمرور إنها عربة المغفرة والغفران يبدو أن مفاجئة القدر بتسديد لكمته إلى يامن قد أحيت معها

ذكريات قديمة ينظر إلى يديه وعضها بأسنانه بقوة حتى الضعفاء والجبناء لديهم أسرار قذرة على ما يبدو، لو توقف لحظة بالتفكير عما فعله بيديه وتذكر مشاعره الصادقة وتلك الأنثى المجهولة التي استوطنت كيانه يوما. دخلت سمية مسرعة، على صوت صراخ يامن وأنينه الشبيه بثكالى الحرب واستحضار يامن ذكرياته كان كفيلا بتحويل الجو العام إلى مقت محض انهيار يامن بتلك الطريقة التي وجدته عليها أعاد إلى ذاكرتها إنهياره قبل سبعة عشر عام، عندما ظن أن فرح أصيبت بحادث مروري أمسكت به سمية تقول أخبرني ماذا حدث، ويامن غير قادر على التحرك فضلا عن أن يجيب على أسئلتها يبدو وكأنه أصيب بنوبة قلبية حادة. تناولت عبوة ماء بالقرب من سرير فرح لترشها على وجهه، وتبدأ عيناه بالتحرك استقام جالسا وأمسك رأسه نظرت سمية إلى دفتر مذكرات فرح، وقال لها يامن: ربما خطئي الوحيد أنك لم تخنقيها بالحبل السري، ما أروعها من مشنقة لها أمسكت سمية بالدفتر ليسقط رأس يامن في حجرها تصرفات رعناء لشبان يافعين ينظرون للحياة وكأنها ورقة بيضاء شاب ولهم مطلق الحرية، والإمكانية ليكتبوا ما يشاؤون وسيعلمون يوما أن لا أحد يضرب بقوة؛ كما تضرب الحياة ويكسرون قلوبا صارعت وحشية الحياة لكييوجدوا ويستمتعون بالمشي تحت أشعة الشمس رأس سمية مركز في مكانه وعيونها تتحرك بسرعة كقط في موسم التزاوج وضعت يدها على فمها وخوف مسيطر أن يكون ذلك الشيطان زرع في رحمها شيئا أكبر دم وروح، كل ما وصلت إليه البشرية من مآسي وانتصارات هو نتيجة الحبر على الورق هل تعرفون ماذا يعني الحبر على ورق اللغة لم تخلق للجميع، نهض يامن وأسرع إلى المطبخ وأمسك أكبر سكين وجدها وقعد عند الباب وجسده يرتعد وعروق يديه ظاهرة وصوت كلماته يبدو كشاة مذبوحة تلفظ النزعات الأخيرة، ستعلم تلك الحقيرة اليوم مامعنى

شرف رجل تجاوز الأربعين يكسر بدون اهتمام أو حسبان، العواقب ويامن يبدو نادما، حتى على سماحه بتمدد عنق رحم سمية عند ولادة فرح.

أظن أنه الآن يفضل أن تبقى في الداخل لتكون بأمان ففي النهاية قد زرعتها برغبة محمومة، فكيف تنتظر منها أن لا تكون مخلوقة بتلك الرغبة دخلت سمية غرفة فرح ودخلت ذلك الدرج الخشبي، وكأنها تحاول البحث عن دليل براءة فرح فلم تجد سوى ألبوم صور فرح في السنوات الأولى، من عمرها ركضت بأتجاهه وشدته من قميصه وتقول لقد وعدتني قبل سبعة عشرة عاما أنك ستكون أبا متفهما لفرح، هل تذكر ماحدث في ذلك اليوم ويامن لا ينظر إليها أو يتحرك صفعته سمية مرارا وتكرارا على وجهه وتقول له انظر وصور لفرح مبعثرة، عند قدميه يقلب يامن في تلك الصور ويبكي ويقول: هل هذه ابنتي كان ينظر إلى فرح كطفل قغير يراقب عمال الإنشاءات والحفريات الضخمة ما أضخم حماقة النساء، تقدم لها أغلى ما تملك روحك وأسلوب حياتك وفي النهاية تنتقي أرخص ما في شاب يافع مشاعره المجانية!

ضمته سمية إلى صدرها سقطت السكينة من يده وقال يد ذلك العاهر على ابنتي كمبضع باركنسون، في جسدي يبدو أن الأصابع الصغيرة البيضاء ليست بريئة دائما وقال أن أبشع مافي الأمر أنها لم تعتبرني أبا أهلا لثقتها ولم تتحدث لي أو لكِ، هل تعتبرنا من عائلتها لو كانت لقيطة لتصرفت بطريقة أخرى هل يعقل أنني كنت قادرا على صناعة مسخ بهذه الأنانية. فتحت فرح الباب لترى صورها ملقاة على الأرض، عند أقدام أبيها تغطي أطراف السكينة. أصابها التشويش والحيرة، كمحاولة رجل البحث عن عدسات نظارته المحطمة وظنت أن شاهين قد زارها في بيتها بوقت لاحق؛ ليفقد كل أساطير الرزانة يمضي يامن إلى غرفته ولم يتكلم بكلمة واحدة كميت يسار به

إلى قبره صفعتها سمية بقوة وقالت لها: ولادتك أكبر تغوط ندمت عليه في حياتي هل مافعلته يستحق أن تخسري والدك وتخسري معه سنوات عمره الأربعين المنصرمة، يبدو أن أول صفعة تتلاقاها فرح بحياتها أشعلت معها تمرد لا مثيل له. قالت فرح: في النهاية قد حصل على نشوته وحصلت على بؤسي والأمر سيان أن أكلنا تفاحة آدم أو قضمنا منها، انظري في عيني جيدا لطالما اعتبرتيني غبية وعارا عليك. قالت لها سمية: فقط أخبريني كيف استطعت أن تكذبي علينا؟ قالت لها فرح: سئمت كل شيء وفقدت كل شيء ففي النهاية الرقص في الأوحال رقصة يجب على الجميع أن يتقنها لم تمنحوني الثقة، ولم تمنحوني الفرصة للقيام بأعمال غبية لأعرف أنها خطأ، لم أستطيع أن أكتب حقيقة من حقائق الحياة لوحدي؛ لأقرر فقط لأقرر وكأنني أيقونة في دير أو باب خشبي مهترئ لصومعة ناسك، لم تسمحوا لي بالسؤال حتى عن هذا الثقب بين قدمي، نعم ليس جرحا قد شفي كما أخبرتني وأنا صغيرة، ربيتني لأكون ضعيفة لا أجرؤ على مواجهة أحد أو التصرف بمفردي، لست عمياء وسئمت من الوصاية العقلية والدينية والنفسية علي هل تحاولون جري إلى عدن بالسلاسل. الرب نفسه لم يعاملنا بهذه الطريقة واحترم كوننا بشرا نحتاج أن نرى ونسمع لنقرر، ونحتمل النتائج! قالت لها سمية: يبدو أن علاقة جنسية جعلت منك فيلسوفة، يبدو أنك نسيت أين ولدتي وتربيت أنتِ ملك وسليلة هذه العائلة، وستنفذين ما أقوله حتى يأتي رجل شغوف بثقبك المقدس، اشكري الرب جيدا لو أن ما فعلتِه حدث قبل عشرين عام لذبحك مأمون، بكل برودة أعصاب ولما استطعنا أن نتحدث أصلا عن ما ينبغي ولا ينبغي تصرفات فرح أشبه ماتكون بمتسلق حر لجرف صخري ملس، وحوافه حادة وزلقة لتجد نفسها في منتصف الجرف عالقة ولا تستطيع النزول، أو الاستمرار وكل ما تستطيع

فعله الآن أن تطلب المساعدة وتتوسل أن يحضر لها أحدهما ذلك الحبل الذي رمت به في مستودع النفايات، وعلى الرغم من قدمه وملمسه الخشن إلا أنه كان قادرا على مساعدته لتحصل على حبلها الملون فيما بعد. هل تعلمين لماذا سماك والدك فرح لأنك كنت صلحه مع العالم، ومع كل البؤس والظلم الذي عاناه فقط أخبريني كيف ستغيرين قناعات رجل تجاوز الأربعين، وأفقدته أغلى ما يملك صلحه مع العالم ومع كل البؤس والظلم الذي عاناه. كسرتي قوانين العائلة القوانين تكفلت بحمايتنا، وهل تظنين أن شابا يافعا سيكون قادرا على ترميم ما كسرته؟

منذ ذلك اليوم لم يتحدث يامن إلى فرح ولم يجلس معها على طاولة طعام واحدة؛ يبدو أنه اعتبرها قد ماتت في ذلك الحادث. فتحت فرح عينيها لتذكر ذلك اليوم، وكأنه حصل قبل لحظات تنظر إلى المرآة سواد تحت عينيها ونحول جسدي عجيب وفقدان ثقة بكل شيء. يدق الباب وتسارع فرح لفتح الباب قد أمضت محكومية طويلة، تمسكها سمية من يدها وترجعها إلى الوراء وكل ما استطاعت أن تسمعه، هو صوت إحدى أصدقائها المقربين وهي متفاجئة من كلمات سمية وصوت أقدام على الدرج تنزل بسرعة .

خريف لعين نثر قطع ذهبية بكل مكان ليشعر شاهين بفداحة المدة التي قضتها فرح بعيدة عنه. يسمع شاهين ضجة وأصوات الطلبة تتعالى يسرع بالمشي بالممر، يصل للباب الرئيسي للسكن وأوراق لا تنتهي ملصقة على باب زجاجي قرارات بفصل طلبة، وإعلانات عن فقدان أموال وبطاقات شخصية بأسماء يتبين لك أنهم من منطقة أخرى وتواقيع وأختام لارتنتهي وتواريخ قديمة وحديثة كلها تهدف إلى إقناع الطلبة أنهم يواجهون واقعا لا مفر منه.الجميع يبدو مغتاظا من تلك القرارات، التي تحمل ختم المسؤول عن

السكن الأكاديمي قرار يقضي بإخلاء الوحدة السكنية ونقل جميع الطلبة إلى وحدة أخرى، في نهاية المطاف أحرف فقط قادرة على تغيير سير حياة الآلاف.

رجل ممتلئ يصرخ بأعلى صوته: ما بكم تنظرون هكذا إنه قرار نقل وليس قرار إعدام بالرصاص، عند الساعة الرابعة سيتم قفل الوحدة وأي مخالف سيتحمل المسؤولية وسيتم فصله من السكن.

طريقته بالتهديد أشعرت الجميع أن المخالف والرافض للرحيل والانتقال من الوحدة سيتم محاسبته كخائن وخطر على الأمن القومي. رفع شاب يده وطلب الإذن بالتحدث وقال: أنا على يقين لو أن حمورابي قرأ القرارات الحكيمة والإرشادات الفاضلة التي تطبق هنا لتبول على قوانينه وقرر العمل كراقصة خلاعية، وفيما الرجل الممتلئ يهز رأسه وشعور بالنشوة يكبر في داخله ضحكات الطلبة تبدو كعيدان قصب السكر في قفا الرجل الممتلئ غادر مسرعا وهو يحاول الهرب من الموقف، وأمضى الطريق وهو يفكر من هو حمورابي قال في نفسه لعله زعيم شيوعي عظيم، وحزم شاهين أغراضه حقائب ضخمة يحملها. أبواب الغرف مفتوحة على مصراعيها والممرات خالية وحشة غريبة ومخيفة وجرذان تركض وأخرى تمشي بهدوء فلا شيء قادر على إخافتها وصوت مياه غزيرة تتدفق في الحمامات يبدو أن الحنفيات طالما نعمت بالسكينة وتركت مفتوحة لأشهر طويلة، دون أن تقطر منها قطرة مياه واحدة. ضحك شاهين لأنه عرف سر المياه الغزيرة.

مقبض حديدي بالقبو كان كفيلا بحل الكثير. هذه المرة على مغادرة جميع الطلبة بوقت قياسي، ويبدو أن الاصلاحات الوحيدة التي ستتغير هي الأضواء المكسورة ولكن لماذا يحتاجون إلى شهر كامل لتبديل كل تلك الأضواء ويستلزم ساعات فقط قصة أخرى تعيش بين منافض السجائر، وجيوب المسؤولين عن السكن يدخل شاهين الباب الرئيسي للوحدة يرفع رأسه

للوحدة ليرى درج رخامي لا ينتهي ينفث زفيرا قويا في الهواء ويبدو أنه أمر لابد منه. وصل لباب غرفته الجديدة ويبدو المقبض عالقا كان المساء قد اقترب بسرعة كبيرة. دق باب الغرفة التي بجانبها ولا صوت يستديرليمشي في الممر خطوات بائسة جسده منهك وعقله منهك أكثر وكل ما يريده أن يجلس على سريره لينظم أفكاره.

يمد شاهين رأسه من نافذة الممر تطل على شرفة بعرض كف يده. ينظر إلى غرفته الجديدة وتبدو المسافة قريبة فجأة وجد نفسه في منتصف الشرفة أحجار صغيرة تملأ الشرفة وكتل إسمنتية وأعقاب سجائر ظهره باتجاه الحائط وجهه بإتجاه الأرض من شرفة الطابق الخامس يتلمس الحائط خلفه؛ وكأنه يحاول أن يجد نافذة مخيفة رياح قوية تهب لتتطاير كل تلك الرمال و الأحجار الصغيرة إلى وجه شاهين لم يشعر يوما من اقتراب النهاية كما يشعر الآن، بدأ يقول ماذا خطر في عقلي ماذا أحاول أن أثبت أشعل سيجارة قال أعلم أن لا أحد سيكون مهتم بدفن كمية سجائر كافية معي في قبري أفهم العالم الآخر، عشرات النوافذ أمامه والجميع يعيش حياة ما في داخل تلك الغرفة ولكن يبدو أن لا أحد مهتم وقادر على عيشها بطريقته ترضيه أضواء وملونة على جبل قاسيون وكأنه مشهد الوداع الأخير تسقط السيجارة من يده رأى قطعة زجاج شفافة على بعد خطوتين منه نظر إليها ولم يخطر في عقله أحد سوى وتساءل ضخم عن ماذا تفعل فرح بهذه اللحظة، وهل خبر وفاتي سيصلها هل سيتكفل القدر بنسج أحاديث عشوائية تخبرها ماذا حل بي هل ستكون مهتمة هل نسيتني ولم تعد تتذكر شيء عني ماذا فعلت عائلتها عندما عرفت؛ انتابته رغبة عملاقة بالبكاء رائحة فرح ملأت أنفه وعقله. شعر أن القدر يعامله هذه المرة بجدية مفرطة. يتذكر حركات فرح وتبدو كرائحة توابل لها طعمة قوية، وذلك الصلح الذي

منحته عينا فرح له تمتلئ رئتا شاهين بالهواء ويقول لقد تركتها وحيدة، ولم أستطِع مساعدتها كما أنا الآن وحيد فيقول تبا لن أموت بطريقة سخيفة، لا تليق برجل مثلي سآخذ كيس سجائري معي إلى قبري وسأخطب فرح وأثبت لعائلتها أن قرارها وثقتها كانت بالرجل الصحيح وخطوات إضافية كانت كفيلة ليتجاوز شاهين الأمتار المتبقية ويقفز من الشرفة إلى غرفته الجديدة يجلس على السرير، ويضحك ويشعل سيجارة ويقول في نفسه شاهين هل أنت جدّي بخطبة فرح وصوت آخر أكثر قوة يقول لقد وثق القدر بي مرة وأعطيني فرصة ولن أخيب ظنه وقال ما أسوء ما سيحدث. عشرة شبان يعيشون كل ارتجالات الحياة من حب وعنف وخبرة، وبلاهة وكل منهم يتفنن بنحت شخصية خارقة لا تنتمي للواقع وتستمد كل قوتها من تلك الرغبة بالاختلاف. صور تملأ جدران الغرفة صور لعاهرة، والجميع يتحاشى الحديث عن الرب، وكلمته التي تصنع الخوف في نفوسهم وتنبئهم أن الكلمة مقرونة مع التضحية.خزائن خشبية خضراء اللون مثبتة على الجدار، بأقفال ضخمة وكبيرة عليها لحماية علبة مصفف شعر وجوارب نظيفة ومرطبان مليء بالزيتون، الذي سيتعفن قبل أن يقرر أن يخرجه المصير المجهول فوضى محمومة بالخصوصية، وعلب سجائر في كل مكان وقدر به بقايا طعام محاولة انجاز أي هدف جدي تواجهه بتلك الظروف أشبه ما تكون براهب بوذي يحاول أن يجد السكينة والهدوء في مدجنة، وأغطية تفوح منها رائحة الاستمناء وسيجارة كفيلة دائما بصنع صداقة ومودة عجيبة وروائح التعرق تظهر بوقاحة رغم محاولة العطور الفاشلة في تغطيتها، بعد عدة أيام نفذت كل مدخرات شاهين التي جمعها من سوق الهال مر اليوم الأول ولم يكن أمام شاهين حل سوى أن يمارس الألاعيب على جسده؛ فقضى معظم النهار بالنوم استفاق في المساء ليرى وجوه الجميع ضاحكة يبدو أنهم لم يتكبدوا

عناء أن لا يكون لديك ما تأكله أشعل سيجارة؛ ليلهي عقله ولكن أصوات معدته قوية لتفضحه أمام الجميع كخلاخل راقصة. ينزل إلى الساحة ورياح قوية تحرك الأشجار وعشرات الفتيات والشبان، وشعور الشبع ظاهر ووقح على وجوههم وشاهين يبدو كتمثال من الخزف. وبمنتهى الضعف يبدأ الانسان بفقدان كل معاني الرجولة والعنفوان يتلمس شاهين أوراق شجرة ويحاول أن يحي قصة تاريخية عن المجاعة التي يعيشها وحده وفيما ابتسامته تولّد مرارة الطعمة تجبر تلك الابتسامة أن توؤد يمسح فمه بكم قميصه يعود إلى غرفته وثقل رهيب يجبره على النوم يتذكر عائلته ورائحة فرح وهو على يقين أنه لن يعيش يوما آخر ليعاني مرة أخرى الجوع فتح عينيه في اليوم التالي وخرج إلى الأكاديمية وزار كل تلك الأماكن التي جلست فيها فرح في الماضي وقال في نفسه هل يعلم الرب أني جائع وقال آخر ما ينقصني هموم وجودية حقيرة تساؤلات عن الرب نعم إنه معي ولكن يتوجب علي أن أجد حل قزم بطول قدم مقعد حديدي يحمل مطرقة ضخمة وكبيرة بحجم نجم بعيد للمطرقة سطح مسطح وآخر مدبب، وتشققات على طول قبضة المطرقة عضلات القزم أكبر بمائة مرة من رأسه وشعر أسود يملئ وجهه بغزارة، وكأن كيس البذور كان مثقوبا ولم يعد يعلم المزارع بذلك ولكني لا أعرف لماذا يكره الحلول الوسط، لا يرضى أن يكون عاديا يلوح بقبضته في البداية ويسدد ضربة بالوجه المدبب تبدأ رائحة عرق القدم بالعمل كمخدر موضعي.

انفتحت فتحة تكفي ليبصق. يضع المطرقة جانبا وشعر قدميه طويل ككوز ذرة، يمسك دماغ شاهين بإصبع قدميه ليأخذ استراحة وهو رأسا على عقب يبدأ بالتصفير، ليزداد تشويشا وكلما ينهار جسده ويغمض عينيه يبصق مرة أخرى يستفيق من كابوس آخر كان يطالب شاهين باتخاذ قرار في طريق العودة، ماشيا على قدميه من وسط المدينة يصادف متحلق إسمنتي ضخم

تنتقل عبره الآلاف من السيارات وهي مسرعة دائما حزامه الجلدي مهترئ وعظام جسده ظاهرة، كقوائم القطط يتفقد جيوبه ليجد ما يكفي لشراء رغيف خبز واحد وثلاثة سجائر بحوزته يضحك بشكل جنوني؛ لأن الحياة تسلبه أصغر التفاصيل تغرق عينيه بالدموع تصطك أسنانه ببعضها فيكبر عزمه على خطبة فرح بعد عدة أيام، وجد عملا حقيقيا ومريحا لا شيء في الحياة يدفعك، للاستمرار والقتال كمحاولة الإيفاء بوعد لحب ضائع.

يعود شاهين إلى السكن الأكاديمي، وتبدأ النجوم باللمعان ليحين موعد حزنه والإفراج عن مكنونات صدره، يخلع ذلك القناع الذي يرتديه يغطي رأسه ويغمض عينيه أن الوقت الذي يتذكر فيه جوهر شخصيته لتنطلق كل تلك الدموع التي تشابه دموع البكاء على المعتقلين مجهولي المصير. قلبه كرقعة على عين قرصان أجبر أن يرتديها، لا شيء في الدنيا يضاهي ملامح حبيبتك ملامح امرأة، هي الوحيدة على وجه الأرض التي تمتلك تكملة القطع النقدية الممزقة ليست الأكثر وفاءً، ولا أكثر جمالا وجاذبية إنها فقط تمتلك تكملة تلك القطعة يضم شاهين يديه بحسرة، ويخشى أن لا تتاح له الفرصة لينظر مرة أخرى إلى وجهها ليشم. في تلك الأثناء كانت فرح تقاتل في كابوس وتتحرك تحت الملاءة كطفل حديث الولادة، كل ما يستطيع فعله أن يبكي وصوت بكائه تأوهه، وشعوره بالضعف والعجز يثير استفزاز يامن وفيما سمية تنام في سريرها، وتضع يدها تحت رأسها وكأنها تتمنى أن يكون يوما يخفف الألم قليلا. يقفز يامن من نومه ويستقيم جالسا، وينظر إلى سمية، ورغم كل تلك الأبواب المغلقة إلا أنه كان يرى ويشعر بفرح، ويرسل أهدابه خلسة ويتغاضى النظر إليها لتغطي فرح وتعود وتخرج كل تلك المياه المالحة مياه القلب يضع كفة يده اليمنى على وجهه، كأنه يحاول حمل ثقل رأسه هل تعرف ماذا يعني أن يتدمر ذلك الوثن الوردي الذي يسكن قلوبنا وأرواحنا؛

هل تعرف ماذا يعني أن يكسر ظهرك ولا تستطيع فعل شيء، ولا تعرف ماذا تفعل وكأنك تسقط فجأة من جبل عالي وأنت عاجز عن التحرك وأغلى من هم بقربك دفعك وسقط على صخرة عملاقة مدببة، دماؤه تملئ تلك الصخرة وأشلاؤه تنتفض ويقول بصوت متقطع: ساعدني، أنا أعتذر لا أعرف كيف فعلت ذلك وتبقى تلك الرغبة بالغفران، كالضوء اليتيم على خوذة عامل منجم منهار وحيدا عليه أن يقرر أن يستمر وينجو عليه أن ينسى صور أصدقائه القتلى ويخلع لباسه المليء بدمائهم؛ لأن عليه أن يعود إلى زوجة محبة وبيت جاهد وكابد ليحصل عليه وضع يامن رأسه على المخدة وأغمض عينيه، وتصالح أن فرح ماتت في ذلك الحادث المروري قبل سبعة عشر عاما.الجميع يتعامل معها على أنها حذاء ومستعمل، لا مكان له سوى في زاوية مظلمة ولا يرغب أحد برؤيته يبدو أن الحب فقد تأثيره، كحبة أسبرين في منتصف الأرق وأفضل أحلام فرح على قياس خيبة مؤجلة. يتمتم شاهين بصوت مبحوح:

"غيابك يجرح إنسانيتي وأضج من ألفة الأشياء".

وصوت تمتمته قد أفاقت فرح تقفز من سريرها وتنظر يمينا ويسارا وتتأكد من قفل الباب، يبدو أن يامن لم يدخل صارخا ويزرع نصل ذلك الساطور التي طالما ظهر لها في نومها في جسدها، تقف على نافذة غرفتها وتحاول فتحها كمصاب بالتوحد ولكنها مغلقة بإحكام تضرب بأصابع يدها النافذة بعد أن يئست من فتحها، أسندت ظهرها إلى الحائط وجلست في مكانها وضعت رأسها على ركبتها وهي تضم ركبتيها بيديها وتقول: شاهين لقد وعدتني أنك لن تتركني، وهي على يقين في تلك اللحظة أن كل السلع التي نظنها حقيقية الحب والصدق كلها مزيفة، وتلك الرفوف الخشبية ليست سوى رفوف كرتونية. أصوات الشبان قرب شاهين وهم يلعبون الورق وضحكاتهم

المليئة بنشوة الانتصار، بينما يهزمون أمام أبسط حقائق الوجود ذكرى فرح موجودة فقط ليكتمل وجع شاهين وحزنه كسجادة فارسية تشغلها الأيام واللحظات بعناية، ولا تهمل أي من التفاصيل التي تنخر الروح.

درج حديدي في مدخل بناء ضخم ولافتة مصنوعة بمهارة من حجمها الكبير وألوانها الفاقعة، التي تجبر المارة بالوقوف وقراءة اسم المطعم لعدة مرات قرميد الشارع نظيف ويلمع وصوت كلمات المارة رقيق ويخلو من التكلف طريقة تحدثهم، تنبئك أن الرب حقق كل ما تصبوا إليه نفوسهم يتهادون بالمشي بهدوء وروية، أبنية ضخمة تحيط بالمكان ونوافذ زجاجية لامعة مغطاة بستائر زاهية ورجال الأمن والحراسة، يحيطون بالمكان كلماتهم المنمقة تخبرك أنهم خضعوا لعلاج نفسي طويل الأمد، ومقاهي قديمة وأثرية تعود إلى حقبة العوائل المخملية التي ملكت المكان، بالماضي وجيوب ألبستهم مليئة بالعملات النقدية من أكبر فئة وكلاب من سلالة فرنسية، ينقصها فقط ربطات عنق تلقى رعاية واهتمام يفوق معيشة ثلاثة أرباع المجتمع متاجر لبيع المشروبات الكحولية الغالية الثمن، ولا أحد يستدير ليبصق في زوايا تلك المحال، وبمجرد رؤية شاهين لإطارات سيارات ملونة على حاجز عسكري في المنطقة أدرك جيدا أن لا شيء يسير هنا، كما يسير في مكان آخر فلا صوت باعة متجولين يملأ المكان. روائح وأصوات، تخبرك أن المتاعب تحل هنا بطريقة أخرى أشجار مقلمة مزروعة في أطراف الطريق رغم هدوءه إلا أن هدوءه يخبرك أن هناك من يراقب على مدار الساعة، لحماية التجمع الانساني بحمق يضحك شاهين لوحده بسخرية. حتى أصحاب الإعاقات الجسدية والعقلية يتصرفون برقي ويبدون متصالحين مع حياتهم يضع شاهين قدمه، على أول درجة حديدية من السلالم وهو على يقين بأنه سينجح في تحقيق وعده لفرح ودرجات رخامية، كان كافيا لجعل شاهين

يختبئ داخلا لأخذ كمية هواء كبيرة يدخل ليرى رجل ستيني عجوز نحيف، عظام وجنتيه ظاهرة ظهره مقوس أمرد تساقط شعره وبقي القليل منه على صدغيه شعر أبيض وتجاعيد وجهه تتكلم بكل صراحة و ثقة كفات يده خشنة يرتدي صدرية تنظيف سوداء خرج مغتاظا من الصالة بإتجاه الحمامات، استوقفه شاهين قائلا عفوا أين أجد المدير وعلى خمسة أمتار يتجول شاب في طقم رسمي، وابتسامة مزيفة على وجهه قال لشاهين هل ترى ذلك العاهر بالطقم الرسمي، إنه مدير المطعم استدار شاهين باتجاه المدير؛ ليمسك بذراعه العجوز ويقول كن على حذر إنه يعض أحيانا وأطلق ضحكة مدوية وتابع طريقه إلى الحمامات تقدم شاهين نحوه واستدار مدير الصالة من صوت خطوات شاهين جلسا على طاولة المحاسبة، وتغيرت بسرعة كبيرة وبدأ بالتحدث بنبرة جدية مليئة بإتفاق الاثنين على بدء وقت الاستغلال نظرات الجميع تتخذ موقفا دفاعيا وعدوانيا من البعض لشاهين، يبدو أن اتساع القاموس اللفظي وطريقة سكبه المفردات أدت إلى نتيجة بوهب شاهين نظرة الاختلاف والتميز على الطرف الثاني من الصالة الرئيسية بار مصنوع من خشب بني اللون وقطع رخامية هندسية الشكل، وفتاة شقراء قصيرة جذابة ونهديها ممتلئين وكأنهما يحاولان استنشاق الهواء بكل أريحية، وصوت محرك الثلاجة يعكر مزاج الفتاة الشقراء طاولات خشبية تملأ المكان، ارتدى شاهين ملابس عمله الجديد بسرعة في مستودع ضيق مليء بطرود مغلفة يقف في طرف الصالة ويقف خلفه مدير المطعم الشاب يربته على كتفه، ويشير له على طاولة تجلس عليها أربعة عاهرات يطلقن مزيج من الضحكات والإيماءات. ينظر إليهم شاهين مذهولا من صوت تلك الضحكات يتقدم شاهين باتجاه الطاولة، يغير المنافض بسرعة ويستدير ويعود إلى الخلف وشعور من الكآبة والأسى يسيطر عليه، تذكر الساعات الطويلة التي

قضاها في دراسة اللاهوت وكمية الكتب الهائلة التي قرأها وعاش مع أبطالها لسنوات طويلة قال في نفسه: إذا كان عملك تغيير منافض العاهرات؛ فاعلم أن الحياة عاهرة مانفع ان تكون قادرا على مواجهة قضايا وجودية وفلسفية، وتهزم أمام حقائق الحياة شرخ عملاق في شخصية شاهين بات مجبرا أن يجد له حل سريع وفعال تقف عند البار فتاة قصيرة نحيفة جذابة، وتتصرف كالشخصيات الكرتونية أسوار بلاستيكة ملونة في يدها تتبادل النظرات ذات المعنى مع فتاة البار الشقراء ارتباك شاهين قد أثار أحاديث لا تنتهي عن الذكور، تتقدم باتجاه شاهين كرسونة طويلة وسمراء بشعة إلى حد لم يسبق لشاهين أن التقى بفتاة بشعة لهذه الدرجة، وعلى الطرف الآخر هدوءها وثقتها بنفسها لم يسبق لها مثيل تبين لشاهين أنها واقعية وجدية، وأخرى لم يكن يظن أن الأمر بهذه الصعوبة، عند اقترابه من طاولة يكون قد كسر الدائرة الشخصية لهم فعليه أن يكون مستعدا للإجابة عن كل تساؤلاتهم ويجيد معاملتهم، وتقدير حساسيتهم وهو في اليوم الأول يتضور شاهين جوعا، ويقترب المساء يدخل المطبخ ليجد تفسير الإشارات بين الندلة فيما بينهم عند انتهاء أحدهم من تناول طعامه، يقف نصف من يعمل في المطعم على طاولة خشبية متحركة لنقل الطعام ويبدو أن الجو حميمي للجميع قال شاهين في نفسه: تبا هل سأقضي عمري بتناول بقايا طعام أحدهم بعد أن ينتهي بدأت فكرة إيفاء وعده لفرح تتضاءل في زخم كل تلك الأحاسيس الكفيلة بجعل شاهين يتراجع عن رغبته بالحياة، ورجل أربعيني أسمر البشرة بعضلات مفتولة يقف على المجلى لغسيل الأواني ويبدو سعيدا يقف شاهين في زاوية بعيدا عنهم، ويشعل سيجارة ويشعر أن مجرد وجودك في مذكرات الرب أمرا متعب يعود إلى الصالة وهو يفكر بطريقة عيش هؤلاء البائسين للحياة، وسعادتهم بذلك تقترب نهاية عمل شاهين في اليوم الأول

وبعد أن أنهى تغيير ملابسه نظر إلى ثلاثة أرباع الذين يعملون في المطعم، وهم يخرجون يبدون أشخاص حقيقيين يعيشون قصص مؤلمة.

يبدو خشب الصندوق كمقصلة ذبح عليها الكثير من الأشرار والأبرياء وعلب بلاستيكية صغيرة بنية اللون وسوداء، وقطع قماشية تظن أنها سوداء. يتقدم رجل نحو الصندوق الخشبي، ويلمع في عينيك أربعة أزرار نحاسية تلمع عند الرسغ، ورائحة جسد الرجل ملأت المكان بأسره حتى خشب الصندوق بات يشعر نفسه محظوظا، لا شك أنه دار حديث مطول بين نقشات حذاء الرجل و الصندوق الخشبي عن النجاح والقدرة على التغلب على الحياة، وصناعة مجد بهذه القوة في البداية كان متأهبا بالخوض وخشي أن يصيبه النفور ولكنه بارع، ولا شك أن الخطوط والتعرجات التي كانت عليه؛ فقد مر عليه الكثير من كل شيء فقال له: كن على يقين أنك محظوظ في هذه اللحظة أنت أقرب أحد إلي فاسأل ماتريد افتتح حديثه قائلا: سيدي لقد مر علي الكثير من أصناف البشر، لكني لم أهتم يوما بأحد، ولكن أجد رائحة غريبة أصابتني بالطمأنينة أشعر أنك تعرف كل أسرار عالمي بدأت السماء تمطر بغزارة، سيذوب الرجل كقطعة جليد سالت المياه تحت الصندوق إلى الجهة المقابلة فيما بعد رياح باردة، وعاصفة تكفلت بتجميد تلك المياه لتصنع وتشكل هيكل جسم شاب يافع تفوح من إبطيه رائحة عرق مقززة ومقرفة، تفاصيل وجهه بريئة يبدو أن الحياة كانت كفيلة بتغيير تفكيره أكثر من مظهره الخارجي بنطال جنز مطوي أربعة طيات ليصل بنطاله إلى أطراف ساقيه شاءت الصدفة يوما ان ينسى أحدهم كيس لماع في داخله مفكرة وجملة مكتوبة بخط أنثوي: عندما تستطيع أن تسيطر على معاناتك لتكون دافعا لك للتغيير، وتستطيع أن

تتغلب على كل شيء؛ سأكون سعيدة بالوقت الذي قضيته بانتظارك، ولأني أعلم أنك رجلا طيب فأخبرك بمفاتيح نجاحك هو في تغيير طريقة تفكيرك.

خرج عمال المطعم وكل منهم سار في اتجاه مختلف تسير صاحبة الوجه الطفولي صاحبة الأساور الملونة، تسير بهدوء نظرات جدية غطت رأسها بقلنسوة. بلوزتها وخصل شعرها الملتوية على وجهها يبدو أن وقت مواجهة الحقيقة، والواقع التي تحاول الهرب منه ومواجهته أحيانا كم هائل من المشكلات والهموم والأحزان ولا تعلم بأي منها تبدأ؛ تنفخ في الهواء وأثناء سيرها لفت انتباهها فستان عرس مزخرف يبرق بطريقة تخبرك أنه مخصص ليوم واحد، لن يتكرر وستتغير بعدها لحد لن تعرف نفسك ولا تستطيع أن تتذكر نفسك تقف وتنظر في وجوه الشبان، في الطريق تتنقل من شارع إلى شارع حتى وصلت لحي فقير بائس طرقاته ضيقة ووقفت أمام بيت أخذت نفس عميق، ودخلت أصابتها الرهبة والخوف تدخل غرفة أبيها فلقد اعتادت على سماع صوت سعاله عند قدومها، ويبدو أن الفاجعة والحزن لم يحن بعد رجل ستيني يستلقي على السرير أصلع ونحيف وعلى مقربة من سريره علب أدوية، حتى هو نفسه تصيبه الحيرة بأي منها يبدأ دخلت أمها على الغرفة المشحونة بخبر محزن ومفجع يوما ما قالت لها: لا تقلقي لقد صمم على انتظارك، ولكن يبدو أن النعاس غلبه اليوم. خرجوا من الغرفة نظرات مقلقة من الأم ومتأهبة من فتح حديث قد يثير حساسيتها قالت لها: لا تقلقي فواتير جديدة أعلم ذلك تأخرها لا يعني عدم وجودها لقد حان موعد أن الانسان يجبر على الاعتياد على كل شيء ألمه وخسارته لكل شيء، وفقدان القدرة على تغيير أوضاعه المادية والنفسية فقدان فرحه للحياة.

شبق مرضي للألغام التي تنسف كل شيء، ولا أحد يملك الجراءة لإنهاء حياته بقراره كل شهيق وزفير زمن إضافي، في المعاناة مسؤولية متضخمة

تواجهها وحيدة تضع رأسها على مخدتها، تهرب بالنوم من التفكير من الافضل احيانا ترك المشكلات عالقة والثقة بقدرة الرب وبرحمته التي ستجعلنا في نهاية المطاف سعداء، تستيقظ في الليل على سعال حاد تسارع الركض إلى غرفة أبيها، لتتعثر ويرتطم رأسها بالأرض تنهض وتدخل الغرفة أزمة قلبية جعلته عاجزا عن التحدث، يغمض عيناه ويشير بيديه إلى الأدوية وتخشى أن تكون النهاية قد حلت ينظر قلبها إلى السماء وتقول أرجوك لست مستعدة، وبعد تدخل والدتها وتخرج حبة صغيرة وتضعها في فمه وبعد دقائق معدودة يعود إلى حالته الطبيعية يرفع يديه في الهواء وتضع الفتاة رأسها على صدر أبيها، يمرر يديه على رأسها ويقول: أنا بخير يا حلوتي دموعها تتساقط أضلاعه الظاهرة تبدو ككوخ أمازوني دافئ يحميها من الوحوش المفترسة التي تملأ المكان وصوت أنفاسه كرياح جليدية، تطفئ حريق على أوج الاشتعال شعرت بقوة وجبروت الرب. يبدو أن السكينة التي نجدها أمام ضعفنا وقوته وطريقة تدبيره تجعلنا مذهولين على اعتقادنا الضئيل فيه، وأكبر اثبات على قربه إلينا أننا نسارع بالقفز في كفة اسمه بمجرد أن نفقد السيطرة ونتذكر خطايانا أمام أي مشكلة خارجة عن نطاق قوة البشر. مشى الرجل الضخم في شارع اختار أن يكون خاليا يرتدي بنطالا عتيقا وقميصا مستعملا، بيده ممتلئ ببقايا طعام، لتختبئ منه الشمس وتراقبه النجوم بحذر من بعيد يتساءل في نفسه: الأمر يستحق أن يحدث ما حدث. لم أكن أعلم أن العواقب بهذه القوة والجبروت على نفسي ينظر إلى يده وجلده المهترئ مياه باردة وسائل جلي مركز، يشعر أن كتفه مخلوع عاد في ذاكرته إلى وقت كان كل شيء على ما يرام وتسير حياته بطريقة ما فوق مثالية، وبعد أن هاجمته وغلبته الحيرة قال في نفسه فليتعفن جلدي، وليهترئ وسأحمل أكياس الفضلات ولكن لم ألطخ يدي بدماء الآخرين ساعات عمل حقيرة إضافية، ليست كفيلة

أن تجعلني أتراجع عن قراري عاد إلى بيته فتح الباب أطفاله الصغار أمسكوا بكيس الطعام من يده وشدوه، بسرعة ارتسمت ابتسامة على وجهه وأغرقته زوجته بكيل من الاهتمام فسارعت لغسل ملابسه المليئة والملطخة، ببقايا الصحون قبّل يد إمرأة عجوز وجلس متربعا وراقب صراع أبنائه الصغار فيما بينهم على بقايا قطع لحم مقرمشة، وتمنى أن تكون الحياة عادلة أكثر ماكانت معه عينيه تهتز يسند رأسه على الحائط فجأة بدأ بالشخير لتصاب زوجته بمزاج حاد نظرت للمرأة العجوز وقالت: تبا إلى متى سيستمر بالتصرف بنفس الطريقة. قالت المرأة العجوز وهي تهز رأسها ويبدو أنها كانت قادرة على التقاط الكثير عن طريقة عمل الرجال، وكأنه يمتلك حل آخر يهرب ثلاثة أرباع العالم بالنوم خوفا من النظر بعيون زوجاتهم؛ لئلا يكشف أمرهم كم هي مؤلمة تلك الحياة التي تجبر فيها على العمل لساعات طويلة مملة وشاقة، ثم تهرب من نظرات من نعمل لأجلهم، شبيهة بلسان ضفدع يلتقط حشرة ثم يعاود المضغ مرة أخرى، ذلك هو وجودنا الذي نقدسه ونتمنى أن يكون بطريقة أخرى مياه باردة تتساقط بغزارة، وأواني مليئة بقايا طعام يضحك من اليأس ولم وصل إليه لكثير من الأعمال تشبه عمل العاهرات، في النهاية الجميع يقدم خدمات ويمر بلحظات أشبه ما تكون بشموخ متشرد بعد أن يستفيق على نفسه بعد عدة سنوات من التشرد؛ ليقول ويردد بصوت عال: أنا أنا ولكن يجد نفسه مضطرا أن يتجاوز العقبات النفسية والجسدية خوفا من الانهيار. لا أعرف ما الذي يدفعنا لدفع المال؛ بسبب فواتير ممهورة بأختام أصحاب الملابس الأنيقة والملابس المريحة، بعد فترة من تقدمك بالسن تدرك أن الكرامة التي تحملها وتجهد نفسك بالمحافظة عليها، وأنت لم تحظ بها قط، كم هومؤلم أن يكون عملك هو الإمساك بإسفنجة ليست سماعة طبيب أو مسطرة مهندس، وليس قلما كل طبق يحمل قصة وذاكرة

مؤقتة حملت أسراره وعندما ينتهي من تنظيفها يكون مستعدا لقصة أخرى، وسر آخر، حبات أرز تسد ثقوب المجلى كفيلة بتذكيرك عندما تشرد وتفكر في ماضي يحترمك وتحترمه، لا تظن أيها الضعيف الذي يتظاهر بالقوة، أن أول خيبة تصادفها ستقضي عمرك بالتضحية، والتقديم ولن تجد من يضحي لأجلك إليك أيها الغريب، قوانين هذا الوجود، ستخونك؛ الامرأة التي تحبها مع ألد أعدائك، وستتزوج بامرأة لا يربطك بها عقد وأولاد أقرب ما يكونون للتفاهة ولخيبة الأمل ستفقد أغلى أصدقائك، وستخسر مهما حاولت وتقلب فرحتك وحلمك بطريقة غير متوقعة، مع أنك تكون قضيت عمرك بتجاهل الكلمة، وكل ما تستطيع أن تفعله أن تكون بارعا بارعا بالكتابة أو التحدث عن ألمك لتجد من يهتم بسماعك .

تسند الفتاة الشقراء رأسها على سطح البار، نظراتها ثابتة يلامس خدها سطح البار الخشبي المزخرف، وأوراق صغيرة تتجمع فوق بعضها البعض يبدو أنه يومٌ شاق، عقلها كأسطبل للخيل البرية وكأنها تقف على مقدمة قارب وتتأهب للقفز، ولكنها خائفة ولكن صراع النوارس على سارية العلم الفارغة وكل منها يحمل في مخالبه علم يقاوم لتعليقه أصابها بالحيرة، ومع أنها تدرك عذوبة المياه وألوانها الزرقاء تنفث في الهواء زفيرا يجعل رماد روحها المحترقة يتطاير. ترفع رأسها عن سطح البار الخشبي حزمت أغراضها، وخرجت من المطعم وهي بين مد أحلامها وجزر طائفتها وعائلتها يقف شاب أسمر البشرة نحيف الجسد ويبدو من نظراته الجدية وابتسامته التي تعيش خلفها، الكثير من قصص التحدي والفوز رأته ولم تعد مهتمة بجهدها الجسدي والنفسي تضاريس جسدها السمراء تكفلت بصهر كل معتقدات طائفتها. في عقلها سلطان الحب كفيل بإخضاع الجميع لأسره المحبب الله يا لدوراه اللذيذ، وكم يعشعش في النفس إنه يسلب الإنسان كل أساطير الرزانة

والحكمة وهو مع هذا له صحبة متينة مع شيطان الأرق. الحب نصف سر ونصف سر يجعلك أكثر حيرة من سر كامل الحب تاج الذكريات، الحب ترياق كلما شربت منه زادت حاجتك له الحب كسيف برقة جناح فراشة، على ظهرها فلا وسم قادر على التصرف بحياتها، كما يحلو له الجميع يخشى أن يكون ضحية فيواظب على سجن نفسه، وعائلته بسجن قومية ومذهب ومعتقد وفكرهجين رغم تفاهة وحقارة المرض المزمن في قومية تؤمن بالفوقية، إنها بلا شك مزعزعة ولاتحتمل صمود يوم واحد أمام آراء الآخرين، أمضيا طريق العودة وهما سعداء ومتفاهمين ومتفقين على أنهم خلقوا ووجدوا ليكونوا سعداء.

وبعد أن تأكدت من تلميع الأطباق والشوك والملاعق وملئت علب الفلفل والملح الصغيرة؛ نظرت للصالة الفارغة وشعور الرضا ارتسم على وجهها بدأت تتجول في الصالة لعشرة دقائق حتى يحين وقت انتهاء عملها الرسمي سجلت، وقت خروجها على دفتر التفقد الذي لا يتكبد أحد عناء النظر إليه كانت آخر الموظفين رحيلا صوت كعبها العالي، يصرخ بقوة عن أهمية إنهاء كل شيء للنهاية حتى لو استغرقك جهد مضاعف، تنزل بهدوء من الدرج الحديدي، وتسير بطريق يعج بالمارة سعادة متضخمة تجدها في عيون الأطفال ابتسامة مرسومة على وجهها وتبدو قادرة على تفهم الكثير من تشعبات الحياة، التي لاتنتهي تصل لباب بيتها تدق الباب ليسارع زوجها

بفتح النافذة، وإخفاء علبة سجائره بفتح الباب وضحكة على وجهها يسارع بالترحيب بها، وكأنه يلتقيها لأول مرة وتسارع بتقطيب حاجباها مع ابتسامة وتقول له: رائحة سجائر. يحك رأسه بيده. أولئك الذين يستطيعون تفهم ومسايرة الجمال الداخل للآخرين كل يوم، وكأنه جديد بكل ما فيه من ارتباك لطيف وحسن ظن، وفيما كانت تعاني أول دورة شهرية وتتألم منها كان

هو يتعرف على هوية الأشياء، ويتلمسها ويشم رائحتها تكبره بسنوات، ولأنها تخاف أن تنام وحيدة وتستيقظ في منتصف الليل، وتكون عاجزة عن تذكر اسمها أحيانا وتستيقظ في صبيحة يوم آخر، ولا تجد من يثبت لها وجودها فقررت الارتباط بشاب يصغرها سنا، فلا رجل بنص عمرها قادر على أن يدنو إليها فلم تجد سوى أن تغري شابا متطرفَ المشاعر ولطالما أصابتها عقدة ذنب أنها من الأنانية التي تحكمت بطريقة مستقبل أحدهما حدة قراراتها تشبه حدة جوانب وأطراف مدرعة عسكرية زواجهما أشبه ما يكون، بالزواج من آلهة يونانية. تتلمس بطنها وتسكنها فكرة الإنجاب ولكن يبدو أن أحدهم تحطم على منحدرها. يبدو أن كل حلم نحلم به ونستطيع تحقيقه يكفي أن يكون حلما ويصير أمرا اعتياديا، وتنتابها فكرة حلم آخر ربما لهذا السبب كان عدن حلما لا يتحقق إلا بعد الموت، بينما يعيش الشعراء والأولياء طريقة أخرى في حياتهم فهم وحدهم من يستطيع تفجير الحياة بالحياة، بتفاصيلها الصغيرة وعلى ما يبدو سلوكيات الحلاج والبسطامي ما هي إلا محاولة للتخلص من شغب الحواس والتشعبات؛ فهربوا من أنفسهم إليه فكافئهم ولم يشغلهم بتعقيدات الوجود.

استراح ظهره المقوس، نظر إلى الطاولات الخشبية الفارغة عاد إلى مخيلته من جلس عليها طوال اليوم، عادوا إلى بيوتهم أطفئ الأنواروتوجه إلى الحمامات، جلس على شرفة بطول مترين أسند قدميه على مولدة كهربائية ضخمة، وأشعل سيجارة من النوع الرخيص عيناه تتسول الاهتمام، ينظر للمارة ويختلس نظراته لفتاة، نسيت أن تغلق ستائر غرفتها وعندما تنبهت لنظراته أغلقت الستائر بقوة، شعرت أنها فقدت شيء يمس أعماقها ويسلبها فرصة أن يرى جسدها رجل تحبه ويحبها أطلق ضحكة جهيرية وقال: يبدو أنها خافت وخشيت من ذكورتي، لا يمكنني تخيل جريمة أكثر من ازعاج رجل

خانته الحياة، يبدو أن الوثائق الحكومية خانته وحولت مصيره إلى أكثر رجل بائس على الورق كان يمتلك المطعم ومحيط المنطقة بأسرها. استملاك الحكومة حوله إلى عامل لتنظيف الحمامات في أملاكه عاش طوال عمره وحيدا، لم يحد من يلتقط له صورة حتى بدأ يقنع نفسه أنه يسمع صوت الكائنات المخفية في باطن الأرض، بدأ يركض في أرجاء المطعم وأشعل الأنوار وصار يصرخ بأعلى صوته، وكأنه يحرر نفسه و يشتمهم لم يعد يخشى شيئا، عاد إلى بيته الصغير على الشرفة بعد أن تعب من الركض والصراخ، ووهم آخر أقنعه أنهم رحلوا كان مدمنا على الأفلام الخلاعية؛ لأنهم رضوا أن يشاركوه أكثر خصوصيات الإنسان الغرق في أعمال حقيرة لساعات طويلة، كفيلة بذوبان احترام لنفسه ويكفي أن يغضب فلا شيء يستحق الأهمية، بها ونكف عن أن نحلم أو ننتظر الأفضل، يقتصر الأمر دائما على تذكر أننا عشنا سعداء يوما لم يشعر بالسكينة منذ سنوات، يبدو أن الراهب حليق الشعر واللحية، ويرتدي ملابس بيضاء فضفاضة ويقف عند قمة جبل مهجور ويغمض عينيه، ويشير بكلتا يديه تعثر وسقط وتحول إلى يخنة عظام ودماء كم هو مزرٍ أن تنظف فضلات الآخرين؛ لتستطيع إكمال حياتك وتعرضه لحوادث الحياة يصنع منه مسخا نفسيا في كل يوم دخل أحدهما عليه وهو ينظف، ذات يوم رجل خمسيني يرتدي طقم رسمي بيده خاتم فضي مرسوم عليه علم بلاده، خلع ساعته الغالية الثمن ووضعها بعبثية قرب مغسلة المياه غسل ووجهه القذر أكثر من مرة، وكأنه يجاول إيجاد مساحة جمالية في وجهه القذر، يرى عامل التنظيفات وهو يمسك بممسحة الأرضيات يمد يده إلى جيبه يبتسم العجوز ليس لأجل المال فقط؛ لأن أحدهم تذكر أنه موجود وعاد إليه يقينه بوجود، يخرج الرجل الخمسيني مشط صغير بني اللون ويشذب أطراف شاربه، وكأنه يقول عليك أن تجد عملا آخر؛ فلا أحد سيقدر

جهدك أو يهتم بأيقونة البؤس في عينيك، حتى أولادك سينظرون إليك أنك سبب في شقائهم ولن يفهموا يوما أنك رفضت أن تتعامل مع الحياة بمحرمة ورقية، ولن يفهموا عملك الحقير ذو المرتب الضئيل.

خرج الرجل من الحمام وترك الباب عالقا، مضت عدة أسابيع ليعتاد شاهين كل شيء، ويتوقف عن التفكير بأحلام قديمة وكيان صارع لحمايته بعد أن فرض واقع صعب وقاسٍ، كلمته عليه بدأت طريقة عنله بالتحسن وبات قادرا على امتلاك ضحكة مزيفة وعلى إشباع حاجة الزبائن النفسية؛ للشعور بالقيمة والمرونة للتظاهر بعيش نفس تلك البيئة ولطالما ردد في نفسه عندما يفتقد أناه الكبرى: معدة ممتلئة وعلية سجائر من النوع الجيد؛ تستحق التضحية، في ظل هذه الظروف وباتت شخصية شاهين متنوعة وقادرة على التعامل مع كل ما يواجهه. يجلس شاب طويل القام بلحية مسرحة، وفتاة شقراء على طاولة وجميع الطاولات فارغة من الزبائن في وقت متأخر ليلا وللحظة سيطرت على الشاب غريزته؛ ليحاول تلمس تلك الفتاة وتمسك بيديها الصغيرتين يده تصيبه الحيرة والدهشة من سرعة تحول الشاب الذي أحببته والشخص الوحيد الذي كانت تشعر أنه مهتم بها، وحريص عليها.

الجميع يقف ويراقب ويتأهب من التصرف الجنسي والتطرف الديني، أكثر النقاط حساسية في مجتمعات الشرق الأوسط. تقدم شاهين وجلس على طاولة بقربهم أغمض عينيه وبدأ يرتل مقاطع مؤثرة من كلمات الرب، تركزت عينا ذلك الشاب كدراج مركز على خط النهاية وشبك أصابعه، فيما بينها تنظر إليه الفتاة باستغراب، كرجل ستيني عرف أنه لقيط فتح شاهين عينيه ليرى الشاب والفتاة غادرا بهدوء، وقطبت الفتاة السمراء البشعة حاجبها وبدأت بالصراخ بصوت جهوري في وجه شاهين وقالت: يفترض بك أن

تلقي ذلك المعتوه خارجيا. يبدو أنها شعرت نفسها مكان تلك الفتاة. نظر إليها شاهين وقال: فيم كنتي تفكرين بطريقته لعقابه وردعه؟ كنت أفكر بطريقة ليكون أكثر نضجا ولا يستغل تلك الفتاة في مكان آخر.

الفصل الخامس

يمشي شاهين بهدوء ليلا، عائدا من عمله ويحمل ملابس عمله المتسخة وكراسات أكاديمية ملونة، وينتقل عبر أزقة ضيقة مليئة بالمكتبات الشوارع خالية ولا يسير أحد، إلا الثمالى وأصحاب الحظ السيئ المحال مغلقة وأضواء السيارات تبرق للحظات، ثم يختفي ضوءها على الجهة الأخرى الشوارع مسكونة في هذا الوقت المتأخر بكارثة ومصيبة حوادث سرقة وقتل واختفاء قسري، دون أن تعلم السبب يكفي أنك تمشي على قدمين وتتنفس لتغدوا هدفا سهلا، لأحدهم وشاهين يحظر أبشع السيناريوهات للتعامل معها بحزم وغضب وغضب، خطوات قطة مسرعة أرغمت شاهين ليستدير بقوة وسرعة قبضة يده اليمنى متصلبة، وجسده انتفض بقوة يتسارع تنفسه ويبقى للحظات ينظر في جميع الاتجاهات، بشزر وقفت القطة في وسط الطريق، التفت بذيلها الأبيض وبعيون نصف مفتوحة وكأنها تقول لست سوى قطة لا تؤذيني، ضحك شاهين وارتخت قبضة يده نهضت القطة وسلكت طريقا آخر، يظن أن الكون مصمم ومتآمر عليه. نظر شاهين إليها وكأنه يقول: ماذا تقولين لتسارع بالركض بعيدا أمسك بحجر ويبدو أنها أثارت استغرابه، وسمعها وهي تردد: تبا آخر ما ينقضي أن يضطهد في بائس يتابع طريقه وعلى جانب الطريق غرفة خشبية على زاوية أحد الشوارع الطويلة، وملونة ويصرخ شاب ضخم ويصفر لشاهين، ويتابع طريقه مسرعا وتزداد المسافة بينهما، وهو على اليقين أنه لن يتكبد عناء المشي لخمسمئة متر ليسأل أحدهم عن ماذا يفعل في هذا الوقت المتأخر ليلا، يحرك شفتيه وبإصرار تسمعه طوبات الإسمنت وأضواء الشوارع يتلوا وعود لفرح يشعل سيجارة وينظر لغرفة فرح في الطابق الثالث، وستائر داكنة تغطيها مد يده في الهواء وتحركت أصابعه

ووقف على أطراف قدميه وكأنه يحاول لمس فرح وسجنها في قفصه الصدري باب حديدي ضخم وثلاث أدراج وباب خشبي، يفصل شاهين وفرح عن بعضهما هل تعلم قوة أن تحرم من رؤية من تحب ويفصل بينهما فقط مائة متر؟ كان ناضجا للموت وضعفه يقوده وممتلأ بكل شيء بالإيمان والثقة والكفر والحيرة من الحياة والموت، حالته النفسية أشبه ما تكون ببلوعة مياه مجاري فائضة، وأكثر ما يؤلمه أن يعجز عن إيفاء وعده لفرح، فضلا أن يراها مرة أخرى، وكقدر نحاسي صغير يفور بحرارة عالية كافية لصهر جبل صخري ومياه مالحة تملأ القدر عجيب ومثير للتساؤل. الضعف الذي تملك شاهين أمام رائحة فرح ضعفه ظاهر حتى للغرباء والجميع تساءل عن الحزن في عين شاهين، ونظراته الغاضبة وبعد أن أتعبه مطاردة طيف فرح في الشوارع وصل للسكن الأكاديمي. فتح شاهين باب غرفته وكل من في الغرفة نائم يخلع ملابسه، ليستريح منطقية الأشياء ينفث سيجارة في ظلمة الغرفة، تقترب الساعة من الثالثة صباحا يغسل ملابس عمله مياه باردة، وتنقطع الكهرباء، ويتوقف للحظة ثم يعاود الفرك مرة أخرى في الظلمة فمدير متسلط، يعجز عن التفهم سكون مخيم على غرف السكن، يبدو أن لا أحد مضطر للمعاناة، كما يعاني هو يستريح على سريره الحديدي المرتفع ويتساءل في نفسه، أن التقى بيامن يوما ما ماذا سيقول له، وهل سيتفهم ولكنه عاجز عن تفهم هدوءه، وصمته لم يحرك ساكنا ولم يواجه شاهين قط، استشعر فقدانه لأي حل ينظر لسقف الغرفة القريب منه يتراءى طيف فرح، يغمض عيناه لينتصر تعبه الجسدي على الآلام قلبه ووحدته .

يقف يامن على النافذة، وينفث سيجارة ينظر إلى يده، ويتذكر ما حلّ بها وبدأ يلوم نفسه، وشعر باحتقاره لذاته وقال لم أكن أبا، يستحق الاحترام

ولم أكن قادرا على حماية، فرح يسارع بالركض إلى فرن الغاز، كمختل يحرق يديه ويصرخ من أعماق روحه وعيناه تذرف الدموع، ولم يكن قادرا على زحزحة نفسه، والابتعاد عن الفرن المشتعل وكأنه بابتعاده يخون فرح مرة أخرى تركض سمية، وهي فزعة وتظن أن يامن قام بعمل أهوج متهور ولم يستفيق على نفسه، إلا بعد أن رأى دماء فرح تملأ سريرها تنزع سمية يداه عن الفرن، وبدأت تشعر بثقل هبة عبير، لها يترائى طيف عبير وهي تقول لسمية: لقد وثقت بقدرتك كوني إلى جانبه سيمر يوم يكون عاجزا عن ربط حذائه وتضميد يديه، وفرح تجلس على سريرها وتبكس وتستشعر ما حل بأسرتها، ولم تكن تعتقد أن جسدها سيكون قادرا على صنع مشكلات بهذه القوة والبشاعة .

كصغير الدلفين ينتفض شاهين من سريره، من كابوس ويعاود النوم مرة أخرى، تنطفئ الأنوار؛ ليجد الجميع أن لا حل سوى بالهرب بالنوم وإيجاد العزاء في يوم آخر. حلزونية هي تصرفات فرح تكبر وتصغر بشكل جنوني، كمريض مفصوم زادت حالته سوءا؛ لأنه تناول العقاقير بكثرة كل تصرف يظن أنه خاطئ يعاقب نفسه بعقاقير مضاعفة .

يتجول شاهين في الأكاديمية يدخل أحد الأروقة، ليرى فتاة سمراء طويلة القامة مغمى عليها ويحيط بها عدد من الفتيات، سيطرت عليهن الرهبة وكانهن يشهدن خروج روحها روح مرأية الجميع مندهش من صورتها تربت صديقتها المقرّبة، على خدها وتقول لها: انهضي كطفلة تمسك بدميتها وتربت على جسد أمها الميتة يقترب، شبان فضوليين من الرواق وتشع حقارة وحرارة رغبتهم القذرة يصرخ شاهين في وجوههم ليتراجعوا نبرة شاهين الجهيرية، وعروق يديه المتمردة والثائرة أجبرتهم على التراجع والبحث عن مكان آخر. يرش المياه على وجهها وتحرك رأسها وتفتح عينيها وتغمضها بدأت

تستفيق يبتعد شاهين، وتتكئ الفتاة الطويلة على صديقتها تخرج من الأكاديمية، تجلس في المساء على أريكة مريحة ويعود إلى مخيلتها أجزاء من وجه شاهين، ونبرة صوته الشبيهة بنبرة صوت أبيها المتوفي وعزمت على شكره وفيما يجلس شاهين في صومعته، ينفث السجائر بهدوء غارقا، بزخم تسارع أحداث حياته تصعد الفتاة الطويلة على الدرج وقالت له أشكرك لأنك وقفت إلى جانبي قال لها: لا عليكِ لا شيء مهم قالت: أخبرتني صديقتي المقربة بما حدث، وكيف أجبرت أولئك الأوغاد على التراجع ولولا تدخلك قاطعها قائلا: لا عليكِ فقط احرصي على تقصير شعرك الطويل فهو يستهلك من طاقة جسدك وغذائك تفاجأت الفتاة ودهشت قالت له: ما أدراك هل رأيت شعري قال لها شاهين لا عزيزتي لم أكن لأسمح لنفسي، أن أسلبك شيء تحرصين على تغطيته فتاة بجمال عينيك وطول قامتك لا بد أن يكون شعرها طويل قالت: أمي مهووسة بالكمال وترغب أن تعيش حلما فيني ولا أملك سوى أن أحقق حلمها .

الجميع يتحدث أنك غريب الأطوار لم ألتقِ بأحد قادر على فهم كلماتك. ضحكت، وقالت: البعض يتحدث أنك على علاقة بالعالم الآخر سمعت الكثير، من القصص عنك كيف تستطيع، معرفة أكثر التفاصيل خصوصية حتى تلك الإحساسات الصغيرة، التي يتعذر علينا الإمساك بها أو تفهمها حتى وتشير بيدها بدهشة ولكنك تبدو حزين دائما، وتحمل ثقل العالم على كاهلك نهض شاهين وقال لها: أغمضي عينيك وتخيلي نفسك بشارع مليئ بالقاذورات، ورياح باردة تحمل العشرات من الروائح رائحة شممتها وأنتِ صغيرة رائحة والدك، هل تشعرين بملمس لحيته الناعمة ظلمة تخيم على الشارع، انظري في جيبك، هل تجدين ولاعة أشعليها ماذا أمامك تضع أصابع يدها على صدغها، وتقول: أكوام من القذارة ولكني لا أستطيع تحديد

ماهيتها قال لها: تفقدي جيبك الثاني، قالت: مصباح ماذا تشاهدين؟ الآن تقول: يبدو أني أقف في منتصف القذارة وقدمي مليئة وأسمع صوتا يزداد اقترابا صوت هادئ يشعرني بالسكينة والراحة، أشعروكأني روضة من الشعر والأناشيد الصوفية، يزداد تنفس الفتاة وتشعر بالضيق يقول شاهين: يبدو أن الصوت اختفى وأشرقت الشمس يبدو أن الألم استحكم بكيانك، افتحي عينيكِ. تفتح عينيها وتقول له: لقد أدركت جيدا ما تمر به تقترب الفتاة من شاهين، وهي على بعد خطوتين منه، رائحة جسدها وأنفاسها تخاطب شاهين وتشعره أنه ليس وحيدا ويشعر أنه يخون فرح، بالسماح لرائحة أنثى أخرى أن تخفف من حدة ما يمر به تنظر الفتاة من فوهة في الصومعة وتقول له: هل تشاركني هذه اللحظة؟ يقف قربها، ينظر إلى تلك الفتاة التي تضحك بجهارة دائما وجهها مليئ بمستحضرات التجميل الفاقعة، الكل ينظر لها أنها سخيفة وطفولية، ولا تحمل أيا من أعباء الحياة، لقد توفي أبوها تحت التعذيب هل ترى ما في يدها؛ كتاب تقرؤه للمرة العاشرة ولا تزال سعيدة بتكرار تلك الألفاظ التي قرأتها مرارا وتكرارا، أنظر الآن للفتاة على الجهة الأخرى ذات الملابس الرثة التي تجلس وحيدة عند تلك الشجرة، تقطن في قبو أبيها رجل خمسيني يعمل بصناعة الأحذية، استيقظوا يوما ليروا أنهم فقدوا كل شيء والفتاة ذات الخمارالأسود، أظن أنك تعرفها جيدا ولكن ما لا تعرفه أنها تعاني من تشوه خلقي يجبرها دائما على التحدث مع الجميع، من وراء قطعة قماشية، هل تعلم قوة أنك تكون محاصر طوال الوقت؛ لأنك تخشى من السخرية؟! الجميع يعاني ولكن يتوجب أن يصمد و يجد طريق ما لتحقيق ما يريد،

الشيء الذي يجمعهم أكثر أنهم ركزوا على أنفسهم أكثر مضت الأيام والأسابيع، وتقوت علاقة الفتاة الطويلة بشاهين فهي شغوفة لمعرفة رجل

يحمل بصمة العدم ويعيش كل إرتجالات الألم وكل تناقضات الحياة وشاهين يبحث عن أحد ما يهتم بسماعه .

تمثال صخري منحوت بحرفية عالية جذوره ملتصقة بثبات مع مكونات الأرض، ويتجمهر عدد كبير من الرجال والنساء وكبار السن من مختلف الأعراق والأديان من بعيد، والجميع غير قادر على الاقتراب ويفقد البراءة والقرار حتى لمحاولة التفكير يبعث في النفس الرهبة والخوف، وخليطا من المعادن المنصهرة، في داخله تتحطم الفؤوس والمعاول عندما تلامسه مليءٌ بالأسرار كأراضي العراق القديمة أقدام التمثال ضخمة ومنفرجة وذراعه طويلة وعضلاته مفتولة كفة يده اليسرى مفتوحة، وفي باطنها قبضة يده اليمنى عيناه منحوتة بغضب عملاق، وفتحات أنفه مسدودة يتقدم رجل ضخم أسود البشرة كثيف اللحية عروق يديه ظاهرة، ويبدو مستعدا للمتاعب يشمر عن سواعده الضخمة التي تفوق حجم التمثال تتقدم قدمه اليمنى، ويرجع اليسرى إلى الخلف يخفض رأسه ويصرخ بصوت جهوري قوي ومخيف، كان قادرا على تحطيم أغصان الأشجار وانحنى الجميع وأمسك رأسه من صوت صراخه، الذي يفوق قوى البشر عرقه بدأ يتصبب بغزارة حاول من كل الجهات؛ لجعل التمثال يهتز حتى فلم يستطيع مضت ثلاثة أيام وهو يدفعه ولم يكن قادرا حتى على نفض الغبار عنه، سقط على الأرض وقال: لقد هزمت أمام آلهة وليس أمام تمثال صخري. تمر سنوات طويلة لا أحد يستطيع عدها، والتمثال على حاله إبيضت لحية الرجل الضخم ومنذ ذلك اليوم نذر نفسه للاعتناء بالتمثال، وبخرج منديله المزركش ويمسح سواعده ويلمع قبضة يده ويشعل النار في الليل قربه، يتقدم شاب يافع في أحد الأيام قصير القامة ونحيف، بالكاد يبدو قادرا على حمل ثقل جسده وعيناه كسولتين يعترضه الرجل الضخم قبل مائة ياردة، ويقول له: هل

تحاول إهانة آلهة بمحاولتك فيقول له الشاب اليافع؟ منذ أمد بعيد بقيتَ ثلاثة أيام وأنت تحاول أرغب بالنظر إليه ثلاثة أيام، ثم سأرحل هل حل المساء بسرعة وجلش الشاب اليافع والرجل الضخم، وهم يتحدثون قال له الرجل الضخم: ما الذي يدفعك للتفكير؟ أجابه: إنه يعترض طريقي ولن يجبرني أن تتحطم قراراتي بسببه. وقال للرجل الضخم: أين تكمن المشكلة وقوة هذا التمثال؟ قال له: بمقدار دفعك وضعفك على التمثال تتألم وينهار جسدك رياح باردة وقوية، تكفلت بإخماد النيران ليحين وقت النوم مرة أخرى، وينظر الشاب اليافع للتمثال على وهج الجمرات الملتهبة، والمنطفئة وجد نقوش على قاعدة التمثال الصخري، كتب فيها: خذ نفسا عميقا وأغمض عينيك وتذكر من أنت.

في صبيحة اليوم التالي وقف ذلك الشاب اليافع وأخذ نفسا عميقا وأغمض عينيه وتذكر من هو، تنفسه كان كفيلا لتفتح الثقوب في فتحات أنف المجسم الصخري، ويسقط عنها محدثا ضجة قوية أربكت الشاب للحظات وأشعرته بالراحة النادرة الحدوث، سقط التمثال على وجهه وتكسر لآلاف من القطع استيقظ الرجل الضخم وقال له الشاب اليافع: يبدو أنك لا تتقن القراءة جيدا.

ينظر شاهين للزبائن على الطاولات، وشاب تتسلل يداه إلى جيبه ليخرج علبة صغيرة فيها خاتم زفاف، تحمر الفتاة بجانبه خجلا وتغطي وجهها وتقول كنت أظن أنك من تفعلها، ولست مهتما في الطرف الثاني من الصالة شاب ركز نظره على تذكرة سفر، وفي الوسط عاهرة جسدها يشبه التضاريس الجغرافية، وتنتابك رغبة بالإمتنان لكل البراكين والهزات الأرضية والسيول الجارفة، التي أوصلت جسدها إلى هذا المكان وتناقش رجل متزوج بأسباب لجوئه إليها، وعلى طاولة أخرى فتاة شابة برفقة امرأة خمسينية تحتفل بعيد

مولدها، ويبدو أن الجميع يتخذ قرار لتغيير حياته أو تحسينها؛ حتى يهاجم شاهين ألم أضراسه بسرعة مفاجئة، الأمر يشبه تعرضك للصعق الكهربائي كل خمس ثوانٍ؛ لتتأكد أنك حي لدرجة وقحة يحشي أضراسه بكمية كبيرة من القرنفل، وتمتزج طعمتها الحادة لتجري بدمائه وخسر الهدنة، مع لعابه أنهى عمله وسلك طريقا ليلهي عقله عن وجع أسنانه، يصل لجسر عملاق تحته عشرات البسطات الخشبية، المليئة بكتب الطبخ والأبراج وكتيبات لتعليم لغة أجنبية في خمسة أيام، وفي الزاوية عند الأسفل، كتاب بورق مهترئ وغلاف قديم يبدو أنها أمضت الكثير مع أحدهم، يبحث شاهين عن المالك ليجده على بعد مئة متر فكل شيء يستحق السرقة، إلا الكتب في ظل ظروف الحرب يلقي نكات فاجرة مع بائع ذرة يشير شاهين بيده؛ ليتقدم الشاب وبدون تفكير يخرج مجلة رياضية بيده اليمنى وكتاب أبراج في اليسرى ويقول: أيهما تريد؟ ينظر شاهين إليه ويقول: هل تستطيع أن تحترم عقلي قليلا؟ ارتبك البائع واستعان بيديه لتخرج أحرفه بنطق صحيح. يرحل شاهين ويعقل البائع كمراهق مفلس يضع يديه في جيبه، ويركل كل قنينة بلاستيكية وحجر يصادفه يعود إلى السكن الأكاديمي ويريح ظهره على حافة سرير حديدي، يقلب شاهين في تلك الأوراق وتستغرقه القراءة، ليتوقف ألم أضراسه وكأنه استمتع بالقراءة مع شاهين كلمات الكتاب والشعراء، كفيلة دائما بتنظيف القاموس اللغوي والفكري لدى الجميع الكتابة الجيدة تنفذ أضخم وأكبر عملية اغتيال لنهج تفكيرنا وحياتنا، بعد عدة أيام أنهى الكتاب؛ ليقرر أن يتوقف عن المرور أمام بذت فرح كل يوم، ويركز على نفسه أكثر وبدأت شخصيته بالاختلاف والتطور بات هادئا أكثر، وواقعيا يظهر طيف فرح أمامه في كل مكان ويجيبه بهدوء لا تقلق سيحين وقت التحدث يوما ما ولكن اهجرني الآن؛ فأنا بحاجة لأتذكر نفسي قليلا، مضت عدة أسابيع ليبدو

شاهين كشاب مختلف غير تسريحة شعره بعض التفاصيل الصغيرة، توحي لك أنك قادر على فعل الكثير ارتفعت معدلاته الأكاديمية، وبات بارعا أكثر في عمله فلا صحون مكسورة على ذكرى حبيبة وواظب على نوع فاخر من التبوغ ونجح في صلحه مع نفسه، وبات يقترب من تحقيق صلحه مع الرب، كم هي مؤثرة تلك الكلمات التي تربطك بحكمة كبرى مختفية، والثقة فيها وبدأت فرح بترميم إنسانيتها، لم تعد تفكر فيما مضى، أو تنتظر شيء من أحد. أحيانا إشغال أنفسنا حتى وإن كان بطرق سخيفة نختار راحة للتعامل مع عبء، وجودنا نزع يامن تلث المسامير اللامعة، على نافذة فرح استيقظت فرح ذات يوم لتجد أن الشمس تدخل من نافذة غرفتها، ولوهلة ظنت أنها ماتت وروحها تراقب باستغراب ودهشة، تحررها يبدو أن يامن تأند من موت فرح في ذلك الحادث المروري، ولم يجد بأسا أن تشرق الشمس على صورة ابنته المتوفاة، تخرج فرح وتمر أمام يامن، وتصرخ بأعلى صوتها وتجلس على ركبها ولكن يامن، لم يلتفت بل بقي يراقب حركة الساعة وكأنه لا يسمعها ولا يراها تأكدت فرح عندها، أنها خسرت أباها للأبد، يبدو أن يامن حطم كرسي الاعتراف على رأسها عندما منحها الغفران .

يمشي شاهين في الأكاديمية، وروحه قد اشتاقت لموطنها الأصلي ينظر للسماء، ويستشعر بمراقبة الرب له وهو الوحيد الذي رافقه في كل مراحل حياته؛ في أبأس لحظاته وأسعدها ويشعر بذلك الطيف اللذيذ الذي يلامس قلبه ويخرجه من نفسه، بات ينظر لكل شيء من مكان مرتفع؛ فيجد كل شيء صغيرا؛ دفق وزخم يمدك بقوة لم تشعره بها سابقا ولم تظن أنها موجودة أصلا، وتجد من يستطيع سماعك دون الاهتمام باختيار كلمات منمقة، وأن يشاركك كل لحظة تعيشها وكل ما يطلبه أن تكون صادقا معه وهو الوحيد الذي يهتم لأمرك فعلا وبابه مفتوح لك دائما، يناديه شاهين في داخله يجلس

على مقعد خشبي، ويجلس إلى جانبه شاب يافع يتبادلون أطراف الحديث، عن خلاعة المنطق وظروف الحرب التي جعلت كل شيء معقد، ومعلق يشير شاهين بإصبعه السبابة ويقول: كم نحن بحاجة لخبر مفرح، لكسر حصار تفاصيل الواقع المنسوجة ببراعة، وبعد عدة دقائق يندهش شاهين من تلقيه لرسالة تخبره بتراكم تحويلا صغيرا خلال أشهر طويلة، كان كافيا ليمشي بثقة على الأرض وابتسامة مرسومة على وجهه النقود هي أهم ركيزة لحل الكثير من معادلات الحياة، وأكبر دليل على ذلك أن الجميع يتفق على ضرورة إسكات صراخ طفل في محل صرافة كم هي تفاهة الحياة الدنيا! أختام ورسوم وتواقيع على عملة نقدية تمكنك من تحقيق ما تريد .

يدخل شاهين صالة المطعم، ويشعر بأوكسجين الهواء مشحون بخبر ما ويبدو أن الفتاة الشقراء، قد قررت القفز من على ذلك القارب المليئ برجال، حاسة الشم معطلة عندهم إلا رائحة من هم من غير عرقهم رحلت بعيدا مع ذلك الشاب الأسمر، الذي وثق بقدرتها على ذلك يجلس شاهين في المساء في المطبخ بعد يوم متعب ويستمع لقصة هروبها، وتخليها عن كل شيء، ويبدو أنها وجدت مايجعلها سعيدة فعلا للرمق الأخير من حياتها، وبينما هو غارق بابتسامة عريضة، ونشوة تحقق حلم أحدهم وتسأله الكرسونة السمراء عن سبب ضحكه، فيما الجميع متفاجئ من تصرفها، دار في ذاكرة شاهين آخر لقاء بينهما، وفيما الفتاة الشقراء تقف في مكانها تسند وجهها بيهدها، وتنفث بعجز وحيرة يتقدم شاهين نحوها ويقول لها: ألهذه الدرجة تحبين ذلك الشاب وأنا على يقين أنه محظوظ لتهتم به فتاة بجمالك؟ تضحك وتنظر له وتقول: من الذي أخبرك؟

ينفث شاهين نفثة أقوى من الهواء: حيرة عينيكِ ونظراتك التي ترتسم طيفه أمامي الآن أين المشكلة عزيزتي؟ تضم يدها وتتحدث بطريقة ممزوجة

بالخوف من الضعف والاستسلام للقوانين التي تفرض عليها. يقول لها: هل تحبينه حقا فكري للحظة بأول مشكلة تصادفكم سيتصرف بطريقة تجعلك تستغربين من ردة فعله، يوما ما سيغضب لسبب تافه لا يستحق وستكونين الملجأ الوحيد الذي يستطيع تفريغ غضبه به أغمضي عينيكِ لدقيقة وفكري هل أنتِ مستعدة؟ تفتح عينيها وتقول: لستُ نادمة هو قراري والرجل الوحيد الذي أرى نفسي فيه. إذن اسمعي ما سأقوله جيدا وفكري به جيدا. تستمع بإنصات لرجل يعرف الكثير من الأسرار بأفضل طريقة ليعيش الحياة: لم نولد باختيارنا ولم نختر عائلتنا أو مكان وتاريخ ووقت ولادتنا أو هويتنا، ولم نختر نوع جنسنا ولكننا نستطيع أن نختار الشخص الذي نود من صميم وأعماق نفوسنا أن نمضي بقية محكوميتنا في هذا العالم معه، فإذا التقيت بأحد وتأكدت أنك جزء منه كما هو منكِ؛ فلا تضيعيه لأي سبب هزت برأسها وهي تقول: أنت على حق. ينظر للفتاة السمراء ويقول: كل مافي الأمر أني سأفتقد مذاق القهوة التي تصنعها ببراعة في المساء. دخل صالة المطعم رجل بطقم رسمي تفوح منه، رائحة السجائر والكحول ألوانه قاتمة وتبدو شاهدة على الكثير من قصص تصفية الكثيرين، واستجوابهم بطريقة بشعة مع اثنين من مرافقيه رقي المكان لم يشعرهم بالراحة يقترب شاهين من نافذة مسورة ويشعل سيجارة ويستمتع بها على منظر سيل آدمي لاهث، يقتصر جهدهم اليومي على تسريح شعر كلابهم، والاعتناء بها يفتتح مع شاهين حديثا ورائحة لحيته الحليقة، حضّرت سيناريو في عقل شاهين ينص على تقديم أجوبة مفحمة ومنطقية. وجه تحديدا لشاهين مع ابتسامة خبيثة رد عليه قائلا:

-الدستور كفيل بحمايتي؛ لأنه ليس لدي ما أخفيه وبعد أن أدرك أن لا جدوى من البحث، عن تلك الفتاة الشقراء على طاولة للصالة ويبدو أن والد الفتاة الشقراء، قدّم شكوى أن ابنته خطفت على يد ذلك الشاب الأسمر،

وتهرب أمام نفسه وأصدقائه، أنها تركت وتخلت عن كل شيء لأجل رجل أحبته.

يقف شاهين في منتصف صالة المطعم، وخلو الطاولات أوحت لشاهين بتدخين السجائر، استرعى انتباهه رؤيته لسكين ضخمة مقبضها أسود مرمية بعبثية على الدفة. في المطبخ رؤية سكين أو ساطور ينذر دائما بالخوف، من وقوع حادث ومحاولة إخفائها تبدو دائما كمحاولة لإنقاذ أحد ما من جنود الوجود، أمسك شاب بمقبض السكين وبدأ بتقطيع الخضروات إلى قطع صغيرة ضعيفة حدة السكين أجبرتها أن تستسلم، وتتقبل فكرة أن أحد ما أنزلها من برجها العالي، وغيّرها وتحكم بمصيرها بالطريقة التي تحلو له. يظهر طيف فرح هادئ صامت هذه المرة أصاب شاهين بالخوف من فقدانها للأبد بدأ شيء في داخل شاهين بالتضخم، كورم نادر يظهر فجأة دون أي سبب، ويكبر بسرعة وضع يده على صدره، وقلبه يخفق بسرعة وقوة كطبول إفريقية، لا تتوقف حتى يقدم قربان من لحم ودم وأشياء أخرى يغمض عينيه وتتحرك شفتاه رغما عنه دون أن يشعر بنفسه لقد حان وقت التحدث ويبق طيف فرح هادئا وكأنه لم يعد يهتم بنتائج واقعية تجبر ذلك الطيف أن يعود إلى جسد فرح، إنفجر كل منهم بقرب شاهين ضاحكا وقال أخدهك يبدو أنه يحلم نهض شاهين نت كرسيه وغسل وجهه وإستقر رأسه تحت حنفية المياه وتتساقط قطرات المياه من على جوانب رأسه، وبات الجميع عن مرورهم من شاهين، يرددون لقد حان وقت التحدث، عاد إلى السكن الأكاديمية ليلا دخل إلى غرفته والجميع نائم وفيما يخلع ملابسه يستيقظ شاب ويقول: هل أنت بخير لقد تأخرت اليوم، ولست على طبيعتك في الأيام الأخيرة أخبرني ماذا بحدث معك؟ لم يرك أحد منذ زمن طويل تبتسم، هز شاهين برأسه وقال: إنني متعب فقط لا تقلق. عاد الشاب إلى

نومه وخرج إلى الشرفة وأصدر باب الألمنيوم ذلك الصوت، كأنه يقول: اتركوني وحدي. يضع يديه على الأسوار الحديدية للشرفة، ويبدو القمر بلون أخضر بدرا وكفأر في متاهة أتعبته الجدران الضيقة، فقرض جدران المتاهة بشكل عامودي فقرر خطبة فرح.

والزواج في الشرق الأوسط، إسعافات بدائية سريعة للاضطرابات النفسية ولمعالجة قلق الهوية والانتماء، ولديهم الثقب المقدس أنه ما يجعل الشبان يتخلون عن أحلامهم وتضيع أروع القدرات العقلية. يبدو أن الحب والرغبة بالآخر ما هو إلا قناع تنكري أمام أنفسنا النبيلة لمقابلة سيد الأنوثة، يا أيها الشبان المعذبون في هذه الأرض احفروا ثقبكم المقدس في هذه الأرض واملؤوه بأفكار عقولكم ولتشبعوا عيونكم منه. تساؤل ضخم يسيطر على شاهين عبدت لفترة طويلة الإله الخطأ هل سيدركني وعد الإله الحق ومتلازمة ذلك التساؤل وهل سأتعفن قبل ذلك؟

يستيقظ شاهين في اليوم التالي ويبدو قويا وواثقًا كسريره الحديدي المرتفع، ينهض من فراشه ولا يجد أحدا في الغرفة ويجد قصاصة ورقية، كُتِب عليها عام سعيد عقد حاجبيه ولم يفهم شيئا، وفيما يسير بتثاقل لغسل وجهه يمر أمام مرآة ضخمة، ولأول مرة يصيبه الهلع فيتراجع خطوتين للوراء ويبدو أنه قد وجد نفسه ينظر باستغراب لما هو عليه، لحية كثيفة ومكتملة عيناه منتفخة من العمل والسهر لساعات طويلة، ويبدو أنه مستعد للكثير، يغسل وجهه ويشعل سيجارة، يمد يديه إلى التقويم ويتصفح تلك الورقات الصغيرة البيضاء، وعرف سرّ هدوء السكن الأكاديمي بشكل عجيب ليتأكد أنه استيقظ في أول أيام العيد، يقف على الغرفة ويشعر بوحشية مباني السكن الأكاديمي القادرة على استيعاب الخمسة الآلاف طالب، يتواجد فيها أربعون شابًا فقط، يخترق عقله كل تلك الجدران الإسمنتية

الضخمة والأسلاك الشائكة ويتعدى أبوابا حديدية بأقفال ضخمة رائحة كريهة نتنة، تزداد بالظهور بوقاحة كلما يتجاوز بابًا آخر يتوقف عند زنزانة صغيرة شاب يافع يضم جسده على بعض ويديه تحيطان برأسه، عيناه تنظر للتشققات في الجداروبفقد ذاكرته بالتدريج، وكل ما يحتفظ به هو أجزاء من صور وأحرف وصوت ضحكات متقطعة، وأكثر ما يثير استغرابه كيف وصل إلى هنا، شعر لحيته يشعره ببعض الدفءِ، لم يفتح الباب منذ وقت طويل حتى تحول ذلك الباب الحديدي إلى حائط آخر حائط الرغبة!

ينظر إلى عشرات النوافذ المغلقة، ويبدو أن الجدران الاسمنتية قادرة على النسيان بسرعة ومرونة للتأقلم مع الغياب، ينزل شاهين ويتجول في كل أنحاء السكن، وعلى تلك الممرات الضيقة وكأنه يملك المكان عاد إلى ذاكرته الجموع الغفيرة المكتظة في كل مساء، وتمارس كل الألعيب وحيل لأهمية يدور شاهين عند سارية اسمنتية احتضنت شابًا، من منطقة بعيدة يجلس عندها لساعات طويلة يقرأ في كتبه ولا يعير أي شيء أهمية، و يبدو أنه قد أجاد رسم هدفه والسير عليه ولم يكن أي شيء قادرا على هزيمته أو حتى جعله يشعر بالتعاسة والغضب، كان محبا للإرادة والبساطة الحيرة والتشويش، تملئ شاهين لمقابلة والد فرح ماذا يستطيع أن يقول لرجل شارف على الخمسين من عمره، برع بكسره وقناعات رجل تخطى الأربعين يعجز نبي عن تغيرها، فضلا عن ترميم شرخ في شرفه، ولكن شاهين قد اعتاد وضع الدبوس الرابع على ملصق لتثبيته، فلا شيء يكرهه أكثر من ترك أمرا عالقا وتفكيره متخم بآلاف الاحتمالات والفرضيات: هل سيظن أن مجيئي والتحدث معه كسر مرة أخرى له لفرح، أم سيعتبره سلعة نادرة في مجتمع غرق بالخوف من الآخر.

شاهين مفلسٌ من الحلول والقرارات المناسبة، إلى درجة لم يملك ثمن الرصاصة الكفيلة، بجعل دماغه يتناثر كقطع بطيخ حتى ليشعر بتحسن غالبًا ماتبدو القرارات المتخذة بلحظات لا تميل إلى العقلانية، وإن كانت صحيحة، يجلس شاهين بعد عدة أيام في صومعته ينظر إلى الجميع من الفوهة، وتراقب عيناه تصرفاتهم ويتنبأ بأحاديثهم من بعيد خطوات فرح مرسومة على أرضية الصومعة وطبعات أصابع يديها،

ما زالت عالقة على الجدران استوطنت بموافقة الوجود، الذي يأبى أن يسير رأيه، وما تزال فرح تمشي خلف شاهين غير قادرة على التصرف ولكنها تحثه على ان يجد حلا بسرعة وكمريض مصاب بفشل كلوي. عقل شاهين يركض بعيدا ويحاول أن يستكشف كل الطرق والإشارات مرورية معكوسة وكل لافتةٍ تنذر لاتجاه هاوية أو توقف، يفتل ويدور عقله في مكانه وكأنه يبحث عن أبسط الطرق لإرشاد الغرباء لعل أحدهم يأخذ كلماته على محمل الجد أكثر منه، ويجيبه: لن أرشدك فقط بل سأسير معك وأوصلك إلى حيث تريد. ورغم ذلك يستوقف شاهين كل مار لعنوان بات يعرفه جيدا ليسأله ليتأكد أن الأمر يستحق. تصعد الفتاة ذات الملابس الرثة إلى الصومعة لتجده يطفو على نفسه، ويشعل سيجارتين بنفس الوقت وكأن كميات النيكوتين الضخمه قادرة على تفجير تلك الأماكن السرية الخفية في قدرتنا بقيت واقفة، خلف شاهين دون أن تتحرك ولم تنتاب شاهين أي رغبة ليلتفت، ليعرف من يقف ويبدو كحنفية مياه صدئة ليس لها رغبة إلا بخروج قطرات مياه تصدر صوتًا لأولئك الذين يعرفون جيدًا. ضجة تلك القطرات وكيف صارعت سقوطًا حر من الأنابيب واندفاعها بطريقة البائسين يقول شاهين: هل أستطيع مساعدتك؟ قالت متفاجئة: ظننت أنّك لم تشعر بوجودي التفتت وقال: الموتى يسمعون أكثر من الأحياء تمد يديها إلى جيبها،

تخرج قصاصة ورقية مكتوب عليها أرقام امسك الورقة بدهشة ورقة، وكأن تلك الأرقام المسار الصحيح لمدن أو لكوكب البائسين يقول شاهين: هل أستطيع مساعدتك قالت متفاجئة: ظننت أنك لم تشعر بوجودي التفتت وقال: الموتى يسمعون أكثر من الأحياء تمد يديها إلى جيبها تخرج قصاصة ورقية مكتوب عليها أرقام، أمسك الورقة بدهشه ورقة وكأن تلك الأرقام المسار الصحيح لمدن أو لكوكب يشبه إلى حد كبير الأرض لكنه برقة وجمال السماء ضحكت الفتاة ذات الملابس الرثة؛ لارتباك ودهشة شاهين أغمض عينيه وضم الورقة الصغيرة، إلى صدره وأماكن خطوات فرح تتوهج ويظهر طيف فرح، وتتملكه جدية مفرطة وكأنه يخشى الأسوأ نهض من كرسيه وقال لذات الملابس الرثة: كيف استطعتي تدبر ذلك، أشارت بيدها إلى الفتاة ذات الخمار الأسود وقالت: لقد رأت كم عانيت لأجل فرح هي التي أعطتني الورقة، لعلك تحدث فرقا يستريح شاهين على كرسيه، وثقل ما مر به أجبره أن يجلس وقال لها: ما الذي كانت تنتظره أن وهل تأكدت أني أخذت حصة كافية، أصابع يده على وجهه انحسبت الفتاة ذات الملابس الرقة بهدوء، وهي في حيرة وفيما تنزل على الدرج قال شاهين: متمني فرصة لأجد بقية مني استدارت برأسها واجابته لقد منحتني فرصة، من قبل لقد سددت ديوني وبقي أن تسدد دينك لفرح مع أنني متأكدة أن استغراقها، كل هذا الكم الهائل من تفكيرك بما يكفيها قال لها: لقد سمعت الكثيرين يقولون لي كفاك تفكيرًا بها، وكنت أردد دائمًا يكفي أنها مرت بذاكرتي، أنا ياخذ بقية بوحه إجازة فليس بمزاجية قادرة على مسايرة أحد أو صناعة ضحكة مزيفة لم يكن ينوي أن يهب وقته الخاص به، إلى أحد يتجول في الطرقات، وكأنه يتفقدها وقف أمام بيت فرح ولكن هذه المرة. توقف بهدوء في وضح النهار ونظر إلى النافذة فرح وأصوات بائعة الملابس المستعملة تملأ المكان بجرس يقرع في جيوب البائسين

لا أعرف ما الذي يدفع الجميع للاستمرار، هل هو الدين الحب المال وقد يكون كل ما في الأمر، أنهم وجدوا أنفسهم في منتصف بوتقة مجبرين أن يصهروا أنفسهم معها الجميع، يجد طريقة ما لتخفيف حدة وقسوة المحكومية في هذه الأرض للخروج بأقل خسائر، ولكنهم في النهاية يتساوون في الخسائر.

أتساءل في نفسي: ماذا لو عدنا لبداية الطريق بنفس الظروف، وبنفس كل تلك التفاصيل الصغيرة التي تلعب دورها بحرفية لتقرر هي أحيانًا ما سنكون عليه؟ هل سيحتاج لنا أن نعيشها بطريقة ثانية. يتساءل شاهين في نفسه لأول مرة بصدق وإذا لو أني نهضت من ذلك الدرج، قبل ثلاث دقائق وانقطعت خيوط حذائي، وحينها كنت سألوم وألقى اللعنات على الصناعة الرديئة في البلاد، ومرت فرح ببساطة ولم أرها، ماذا لو رأني ذلك الرجل خلف النافذه الحديدية، لبيع الكتب لم يفتح النافذة، ماذا لو تأخرفي ليلته السابقة ولم يستيقض من غفوته، على صوت دقات يد فرح كنت سأعيش بطريقة أخرى يستدرشاهين، ويمشي في سوق مليئ برائحة التوابل وكأنه أراد أن يصل بإحدى حواسه، إلى مرتفع ليعيش بشكل قوي ومفاجئ أكدت لجميع المارة، نوعية النهار الجيدة وكأنه أراد أن يشعر بنفسه أكثر، ليدع تلك اللحظة تقرر كيفية التعامله ما هو قادم.

الحب أسر محبب لا تود الخلاص منه، والمفتاح في قلبك يقترب الليل من القدوم وما يزال شاهين متأهب من الحديث مع يامن وبقي لأيام ينظر للورقة الصغيرة، وإلى تلك الأرقام، وباتت تترأى له في كل حين ولكنه مدرك لتبعات وخطورة التحدث دخل إلى الصالة الرياضية وقرر أن يتجاهل تحرير فرح ويقنع نفسه أنا اتخذت خيارًا آخر، ويهرب من حقيقته أن السجائر قادرة على التعامل مع توتره، بينما فرح فاقدة لأي طريقة ساعات طويلة وأشهر

طويلة، ولكنهما يشتريان بمكابدة ليل رمادي يمشي الوهى مثل عصور الجليد، وفيما يمسك شاهين بقبضة الباب ليجبر نفسه ولو للحظات بالتركيز على شيء آخر نقش في الهواء زفيرا يحاول إخراج كل رغبه برؤية فرح مرة أخرى ويظهر طَيفُ فرح، وهو يتحضر للبصاق على شاهين ترك قبضة البار من يده وكأنه يحاول شرح الأمر بطريقة أخرى، سقطت الأثقال الحديدية بقوة محدثة ضجة هالية كافية لجعل الجميع يستفيق من أكثر رغباته أهمية رغبة، أن يجدوا أنفسهم بمعزل عن كل شيء وحلولا لكل تلك المشاكل العالقة في الذاكرة، نظروا إلى شاهين وأدركوا جيدًا ثقل الذاكرة التي يحملها اقترب رجل ضخم يسأله أن كان يخير وكأنه يحثه أن يجد الطريقة المثلى وتأكد شاهين أنه لا يستطيع ولن يستطيع تجاهل فرح.

عاد إلى السكن الأكاديمي وأخرج الورقة البيضاء الصغيرة وقال: يبدو أنه ترك القرار لي وكل لحظة تمر تزيده يقينًا باختيار فرح الخاطئ، نزل إلى ساحة السكن كان الجميع قد عادوا إلى غرفهم، لا شيء مميز بالليل سوى ذلك الهدوء الذي يرغم الجميع على صنع تجلس فرح في غرفتها، وهي تحاول البحث عن طريقة لتزج ما هي فيه، لتطفو على سطح واقع هي الوحيدة التي تعاني فيه عجيب ضعفها الذي منعها من القيام بأي خطوة، لتتخلص من ذاكرة صنعتها بنفسها يرن هاتف سمية، وطريقة شاهين بالتحدث جدية وجزلة هل استطيع التحدث مع يامن أصابتها الدهشة والريبة، وكأن ابنها الرضيع يكاد يقع في المتاعب إجابته سمية: ما الأمر يامن لم يعد بعد من عمله نصف ساعة، ويعود هل أستطيع إيصال رسالة له لهجة شاهين الغريبة أكدت لسمية أن تغييرًا سيطرأ على عائلتها، وستجد نفسها هي المسؤولة للدفاع وإيجاد الحلول ولكنها لم تتوقع أن أحدهم يحاول تحرير فرح من سجنها. اهتزاز الأشجار في ساحة لكن أجبر نافذة غرفة فرح على الاهتزاز،

أجابها شاهين: إذًا سأتحدث معه بعد نصف ساعة، رن الهاتف مرة أخرى أجابه يامن: من معي؟

قال له شاهين: هل أستطيع أن ألتقي بك؟ لم يتخيل شاهين أنه سيستمع إلى اسمه وكأنه يسمعه لأول مرة، ولا مشكلة هالقة تصادفه مع صاحب هذا الاسم، وكأن يامن نسي فعلا أن له ابنه اسمها فرح، وحينما دقات قلب يامن تتسارع ليتحدث بعفوية نابعة من صميم روحه وتحاشى شاهين أن يجيبه بأجوبة مفحمة وصريحة؛ ليترك له المجال ليظن أنه يحرز نصرًا لكرامته المسلوبة، وليرضي غروره وسارع يامن بإغلاق الخط ليسمع صوت صفيرسماعة الهاتف، أشعرت بخيبة أمل وأكدت له أن لا احد في العالم يفكر ويعمل كل ما يعترضه أكثر ما يستحق، وتلاشت كل أحلامه برؤية فرح مرة أخرى.

وقف شاهين على الشرفة، وهو ممسك بالعوارض الحديدية للشرفة وبرودة تلك العوارض الحديدية، كبرودة موقف يامن وطريقة تفكيرة وعيشه للحياة، ويلف شاهين مرة أخرى في التفكير ورؤيته للحياة وتعامله معها، حققت وعدي لفرح ولكن ما الذي استطعت فعله أكثر من ذلك، هل صوت صفارة الهاتف كفيلة لتجعلني أتخلى عن فرح، ما الذي أنتظره من رجل غاضب لو كنت في مكانه لتصرفت بأعنف طريقة، تمطر على عقل بشر لقد سلبته ابنته حلمه الذي عاش لأجله ليجد نفسه مخدوع وكأن خطة حياته تدمرت بلحظة سأحاول مرة أخرى وبعد عشرات المحاولات الفاشلة، التي أنتجت في كل مرة بسماع شاهين صوت الصفارة اللعينة، جاهل يامن بتلك الطريقة أشبه ما تكون بحذاء أسفلتي بطوارف معدنية، لعامل مصنع ضخم يضغط على وتين شاهين، وكأن يامن قد قرأ مذكرات فرج لعشرات المرات، ليجد أن الطريقة المثلى لتعذيب شاهين، وجعله يعاني بتجاهله يقف في

المطعم ويجلس على أحدى الطاولات شاب جسده مليئ بالوشوم، والكتابة الغريبة لا يتوقف عن التدخين بغضب، ولا مبالاة الوشوم على جسده أكدت لشاهين أنه يعجز عن فهم المجتمع، ولا أحد يتكبد محاولة مساعدته؛ فالجميع في عالم الراشدين المثالي يأثر أن لا يتدخل في شؤون غيره نظر لشاهين فجأة،

وقال: لماذا لست سعيدًا رغم كل شيء أجابه شاهين، هل نجحت بتحقيق هدف في حياتك هل استطعت إكمال شيء للنهاية هل كنت قادرًا، على التعامل مع مسؤولية متضخمة ونجحت في ذلك، هل استطعت أن تعترف بضعفك وجلت على ركبتيك وحيدًا وطلبت من الرب مساعدتك، أطفئ ذلك الشاب السيجارة وقال: وهل نجحت أنت في ذلك أجابه شاهين في نهاية اليوم أتذكر أن أبذل جهدًا مضاعفا في اليوم التالي لأنجح يومًا ما خرج الشاب من المطعم، وهو يفكر لم يسبق له أن تحدث معه أحد بهذه الطريقة جلس على الدرجات الحديدية للمطعم، وكأنه استفاق على نفسه كرضيع بجسد شاب، ولأول مرة يشعر بشيء يلامسه من الداخل، وفيما الجميع منهمك بتحقيق الاستقلالية ويرفض الوصاية العقلية يقف أحدهم جانبًا قادرًا، على تغير حياتهم للأفضل والأسوأ من ذلك أنهم يكونون سعداء بالدفاع عن كبريائهم الشبيه برأس دبوس؛ ليقدموا ذواتهم الفارغة وكأنهم أبناء آلهة فيما يمضون بقية أعمارهم في ندم وألم!

نظرت الفتاة ذات الأسوار الملونة، والفتاة السمراء البشعة وكأن شاهين مقاتل هندي يحمل على كتفه جلود ضحاياه بعد قتلهم، يتجمد وجهه وتتثاقل حركته وشعر إنه بحاجة ماسة ليغمض عينيه ويخفق قلبه، وينبض على إيقاع اسم الرب وبدأ يردد: الله الله! شعر وكأنه يرتفع عن الأرض ويخترق طبقات السماء، وبدأ ذلك الجمال اللذيذ يتراءى ترتسم ابتسامة على وجهه

في ذلك المكان، كل أولئك الذين يجدون أنفسهم، فقط عند نقطة تلامس أمام وسبابة عازف محترف على وتر وشعور من المادة المتضخمة، تسيطر على شاهين وكأن كل لحظة في ذلك العالم قطعة خشبية توقد لتزداد نشوته فيما بعد عرف شاهين، أن العاصمة تعرضت لهزة أرضية منخفضة التوتر وأدرك جيدا، أن طريقة فهمه للحياة تختلف عن طريق الجميع؛ فقرر أن يجد رجل يفهم القوانين بطريقة، ولكن بطريقة واقعية أكثر لم ينظر في عقله أحد سوى أعلى سلطة علمية في الأكاديمية.

استيقظ شاهين في ساعة مبكرة في الصباح، وكأن القدر اقتنع بقرار شاهين ووجد أنه الأنسب، وكأنه يحاول أن يسجنه بطريقته وكل لحظة تمر وهو في سريره توحي له سرا؛ أن يترك ويحترم العناء الذي تكبده القدر في أفافة جسد مرهق، وعقل تاه في متاهات الوجود غطى شاهين رأسه لدقائق ليتأكد أنه قراره، هو وليس القدر نفض الغطاء بهدوء كان قد تأكد من تنظيف أسنانه وكأنه يأكد جديته في مقابلة الرجل الحكيم الذي يعرف جيدًا، كيف تجري القوانين في هذا العالم وصل الأكاديمية، ليطرق باب خشبي مطلي حديثا ويجلس رجل في الثلاثين منهمك بإنجاز أعمال ورقية لا تنتهي.

قال الرجل الثلاثيني دون أن يلتفت كيف أستطيع مساعدتك؟ أجابه شاهين أريد أن أقابل عميد الأكاديمية، رفع رأسه وحك رأسه وقال: انتظر أمام ذلك الباب الحديدي؛ لعل الحظ يحالفك، جلس شاهين على درجات رخامية باردة حتى الظهيرة، ولم يستطع أن يقابله وبقي لتسعة أيام،

من الصباح وحتى الظهيرة، ويأثر أن يتصرف برق لئلا تتشوش أفكاره بصوت جهوري، وبعد أن سئم من النظر إلى وجوه الآخرين، وطريقة تركهم نظر للباب الحديدي، وكأنه العائق الوحيد الذي يمنعه من تناول وجبة بهدوء

فارغة من التفكير، بفرح يقف شاب ضخم البنية يحرس الباب وكأنه لعنة سلطة على مومياء قديمة، تحمل الكثير من الأسرار يقترب شاهين من الشاب ويقول طوال تسعة أيام، وأنا أجبر نفسي أن أتصرف برق وتمنعني من الدخول سأطرح عليك خيارين الأول أن تسمح لي بمقابلة ذلك الأحمق المتنفذ، أو الصراخ وأثارت الفوضى حتى يزج هو بنفسه أنظر للأمر من هذه الناحية ستخسر عملك وينظر الجميع لك أنك قذارة ولن تستطيع ردعي وفي النهاية سأقابله.

طريقة شاهين بالتحدث والصراخ بتلك الطريقة، وكأنه يصرخ على طفل كسر أناء من الخزف وحاول شاهين أن يرضي غروره؛ لئلا يشعر أن سنوات لم تكون بدون جدوى تخطى شاهين الباب الحديدي، وفتشه الرجل الضخم وقال في نفسه ربما الأجدر بك أن تفتش قلبي جيدًا وتنزع منه ذلك الأصرار على عدم الهزيمة، أشار له بيديه ليدخل غرفة متسعة جدا ومليئة بالكتب ومكتب خشبي ضخم منظم ومرتب ويبدو أن أحدهما يجهد نفسه بتلميعه كل يوم، ولافتة معدنية منقوش عليها اسمه وعمله ويجلس رجل ستيني، يرتدي معطف أسود وطاقية سوداء، مظهره يبدو كمرابٍ يهودي وكأنه مستحاثة بملابس أنيقة وأسنانه الأماميه تبدو كمتحرش مختل يرفض أن يدع الفتاة وشأنها، حتى بعد قدوم الشرطة بقي شاهين صامتًا لا يعرف من أين يبدأ، وقف الرجل الستيني عند النافذة وقال: خذ وقتك ابدأ من حيث تريد ووضع يديه على حافة النافذة، وبدأ بالتحدث لوحده قال: عندما كنت في سنك أحببت فتاة وسجنت لوقت طويل حتى لم أكد أتذكر من أنا حتى مررت بفترة، أنكرت وجود الرب مع تحفظي على وجوده وقدرته المطلقة الآن! ابتسم وتجاعيد وجهه تروي الكثير من قصص الضياع قال شاهين: ماذا أستطيع أن أقول لرجل تعدى الخمسين من عمره وكنت بارعًا بكسره؟

تهد الرجل الستيني عند النافذة ليتطاير الغبار فيملأ أكمامه نفضه بيده واستدار قال ملأني الغبار... ونفثة أخرى لا تكفي ليختي الغبار، إن مضطر أن أنفضه بيدي عندما تجبره أن يحترمك عندما يرى بعينيه نتائج واقعية، سيكف عن التفكير بنفثتك الأولى ويفكر بيدك أكثر حظًا موفقًا، ولا تقف عند نافذة مرة أخرى أتركني وحيدًا الآن فلا رغبة لي اليوم إلا بحزن يفتت كبدي.

يبدو أنه لا تحرر من سجن الذاكرة ومواجهة واقع وقع، حتى لو كان سعيدًا والأسود دائمًا في الحب، إنك عرضت ذاكرة انتقائية كآثار حوافر خيل يركض بسرعة وبهدوء تارة، وكأنه يتقصد لأن يلهي عقلك وروحك بنعومة جسده ومنظره الآخذ؛ ليستأثر بسرقة أجزاء من الذاكرة يبدو أن حتى تلك الابتسامات البريئة تحمل في طياتها عهر وشغف بخطف أجزاء منّا، والأكثر حظًا دومًا أولئك الذين يونون عاجزين عن نقل أنفسهم بالكامل، إلى زنزانة في الذاكرة مسجونًا فيها، زمان ومكان وكم هائل من الإرهاصات النفسية التي تجبر سلطان الجسد، على الخضوع لها ولكن إلى هو تلك الزيارات الغير المتعمدة، لتلك السجون فينا يبدو أن عجزنا وضعفنا وحاجتنا للآخر، ولكسر وجودنا غير المرضي في هذه الحياة، هو من يدفعنا سرًا دون أن نشعر حتى بدأ شاهين يستجيب لنداء القطط في كل أسبوع؛ فيأكل بكميات ضخمة ويدخن سجائر غالية الثمن، ويجلس على الشرفة وبات متحررًا من كل العوائق التي يشترك بها الجميع سرًا، ويحاول أن يجد الأجوبة عن كل تلك التساؤلات التي عاش معها طوال حياته كمّ ضخم من التساؤلات عن نفسه وعن الرب وعن عائلته، وعن وجوده وعن سير الحياة وكأنه أراد اختصار سنوات من التجربة، ليقبل ملح الحياة وكأن الحياة هي مجرد تضخم ويبدو أن تعلقه بفرح لم يكن عبثيًا؛ لأنها الوحيدة التي استطاعت ربطه مع الحياة

وأقنعته وأشعرته أنه موجودٌ فعلا، وليس ظل بروح أحدهم المتعبة يبدو أننا لسنا سوى قطع جليدية صغيرة وشفافة بيضاء، ليس لديها ما تخفيه وكل محاولة لإخفاء شيء ما، تظهر واضحة للعيان كانت فيما مضى مياه سلسة تفعل ما تريد وتذهب على حيث تريد، وتستمتع بجريانها وفي وقت لم تتوقعه أجبرت على أن تصبح قطعا ثلجية تكمن وظيفتها ودورها الأساسي على تبريد مياه أحد آخر؛ لتضمحل وتذوب يومًا جهدها الحثيث لصنع مزاجية وحياة أفضل للآخرين ودائمًا يتعلق الأمر بك وحدك في البداية لتكبر بسرعة، وتفتح عينيك لتجد أمامك الكثير من المسؤولية وعلى قدر تحملك للمسؤولية، يزداد احترام الجميع لك ليس للتضحية التي تقدمها وإنما فقط؛ لأنك كنت قادرًا على تقبل مصيرك والجميع يستمتع بصنع قداس أخير له، بعرس يصنع البهجة على وجوه الجميع وجنون عاطفي بكل ما تحمله الكلمة من معنى رقص لا يتوقف، وأهازيج تصل للسماء ولطبقات الأرض السفلى، وتراعي مشاعر الأضحية التي تذبح على أرضها فلتصرخ كما تشاء مادامت تلك الدماء الحمراء، ستنزل لترتوي الأرض مرة أخرى من دماء وعرق وجسد التضحية، لإنسان جديد بينما يقتصر عمل السماء دائما على مراقبتك لتشعر أنك لست وحيدا؛ فمسؤولية مضاعفة تقع على عاتقك يبدو أن شاهين استغرقه ترميم تلك التشققات في منتصف عارضة إسمنتية.

وفيما شاهين منهك من التفكير وتظهر علامات روحه المكسورة، وضياعه في ظل كل هذا الزخم من العجز والقدرة على إنهاء علاقته الموتورة، مع الوجود في عينه الهادئة وتعابير وجهه القاسية والجدية، نظرته المفرطة في اليأس يبدو أنها كانت على علاقة وطيدة مع معرفته بعدم جدوى العالم وقذارة الجميع ولكنّه يجد نفسه مضطرًا، ليعفو عن أخطائهم لا أعرف ما قصة قلبه الموحد في حبه وتعلقه بفرح يبدو أنه أحبها لدرجة التشظي عن

نفسه كل ما كان ينقصه، هو جلادة على نسيانها وأنانية ليعيش سعيدًا مع آناه المتضخمة للجميع يمتلك رغبة دفينة بالتضحية؛ لأجل أحدهم يقنع نفسه أنه يمتلك شيء مميز وفي كثير من الأحيان يكون مضطرًا لذلك؛ لأنه عاجز عن إيجاد شيء يجبره على الاستيقاظ، والأشد قساوة هو استيقاظك لتأمين وجبة الغداء والأكثر وطأة الدفاع المستميت للمحافظة على سير الحياة يبدو أنهم يمتلكون يقينًا، لا يصيبه شك في عيش حياة أخرى في عالم ثانٍ، وكل تلك السنوات التي نقضيها بالتعلم والعمل، ومكابدة لتغير الواقع هي مرحلة تحضيرية لذلك العالم، يتساءل شاهين في نفسه أن لم أنجح في هذا العالم هل سأتكبد مشقة القتال مرة أخرى في ذلك العالم، عندما تتأكد أنك فشلت في النجاح في كلا العالمين وتكون قد تأكدت عندها بضعفك وخسارتك ينفث نفثة طويلة تحمل الكثير من الترجي بعدم الخسارة، وأن يعامله القدر بلطف بعيدًا عن تصرفاته، التي في طياتها اختيار لجلادة الراشدين مرة أخرى، ويبدو أن تلك النفثة اشتركت مع دموع الأنبياء وانكسارهم في الترجي أكثر ما كان ينتظر شاهين هو لغز، يصادفه يعجز عن حله وبعد أن أنهى كل تساؤلاته عن نفسه والرب والمجتمع وقبل صنع الحياة؛ فكان مضطرًا في البداية أن يتأكد من كلمات يامن وأخضعها لمخبرية الواقع، يقف شاهين أمام مبنى حكومي ومئات من الرجال والنساء والأطفال، محتشد أمامه ويحملون العثرات من الأوراق التي تؤكد وجودهم على هذه الأرض؛ الجميع خائف ومضطرب ويخشى أن يتقدم نحو باب المبنى يقف رجل ضخم بصوت جهوري، ويمنع الجميع من الدخول تقدم شاهين بثقة؛ وكأنه يدخل لمنزله تخطى ذلك الباب الحديدي وسارع بالصعود على درجات رخامية مكسورة الأطراف، وصوت ضجة في كل أنحاء المبنى يتقدم شاهين نحو غرفة نافتها مفتوحة ورائحة الغرفة تملئ رائحة عطرها الأنثوي، وتأكد أن ضالته

في هذه الغرفة، تجلس امرأة نحيفة تهمس في أذنها لتخرج من الغرفة وتقول له: لا عليك اتبعني وأشارت بإصبعها السبابة والإبهام. أجابها شاهين: أعرف جيدًا كيف تحري الأمور دخلت إلى غرفة مليئة بالشبان الغاضبين بشوارب محددة بدقة ورائحة السجائر الرخيص تملأ الغرفة. ربتت الفتاة على كتف أحد الشبان ليستدير ويبتسم ويقول: كيف أستطيع خدمتك؟ قالت: انظر في عين هذا الشاب الحزين، كيف نستطيع التأكد من خروج حبيبته خارج البلاد؟ قال لها: حسنا. وبعد عشرة دقائق البحث أجابها ليس لها أي إشعار خروج من البلاد، فلتقر عينك يا عزيزي سعادة غارقة تملئ شاهين الجميع مستعد ليربت على كتفك، ويحنو عليك بالنقود تأكد عندها من أكذوبة خبر مغادرة فرح للبلاد كان يعلم ذلك جيدًا، لكنه أراد أن يأكد لنفسه ظانه قادرًا دائمًا على إيجاد طريقة ما وحلا لكل ما يعترضه، ولطالما واظب على التبحر في مشكلات الآخرين وحياتهم الشخصية، ويفكر فيها أكثر منهما حتى وكأنه يحاول أن يجمع حنكة وخبرة في حل أكثر معضلات الحياة تعقيدًا، خرج من المبنى وجلس عند حافة رصيف وانتابته الرغبة بالبكاء وشعر بقوته وضعفه بآن واحد، الأمر شبيه لرؤيتك لأحدهم يموت وتراقب رحيله عن الحياة تدريجيًا، ويتوقف قلبه عن النبض وتكون قد شعرت بوحشية العالم ويستفيق فجأة وتدرك أنك كنت مغمض العينين تذكر شاهين كل تلك الطرف الطويلة التي سارها... الوجود في وقتها ليكون على يقين بفقدانها للأبد، يتقدم شاب مسرع باتجاه شاهين، ووجه يحمل الكثير من الألوان وكأنه عاجزٌ عن حمل ذلك الثقل، وكأنه منتشٍ بمخدر يستعمله لأول مرة، عادت إلى شاهين جديته وأوتاره الصوتية تأهبت للتحدث بقوة وجزالة تزرع الرهبة والخوف، تصلبت قبضة يده اليمنى وكأنها تنتظر الفرصة دائمًا ليفرج غضب عملاق يتحمل صاحبه وزر وجود شاهين يتجاوزه ذلك الشاب، ويقف خلف سيارة معطلة

للتبول ضحك شاهين وعادت إلى عينيه كل السعة في مجاراة الحياة ويبدو أن شاهين ضحك بتلك الطريقة وأصابته الدهشة عن تلك الرغبة، التي تحمل في طياتها بذور الذر من الآخر وسرعة تغيرنا بلحظات لينتصر ذلك الكائن الصغير الذي، يعيش فينا الجميع يقدس كيانه يستدير ذلك الشاب وينظر لشاهين ويقول: لا أفهم تلك الرغبة الحيوية التي تجبرنا أتتوقف عقولنا وقلوبنا عن التفكير بشيء سوى إخراج القذارة من جسدنا يضحك بصوت متقطع، ويكمل طريقه العالم متسع أشبه ما يكون بعبوة فارغة في بحر متلاطم الأمواج ويبدو أكثر أن قمة لحظاتنا سعادة، وبشاعة ما هي إلا حادث تافه لقياس الكون، ولا أحد يكون مهتم بعيش تلك اللحظات إلا من يرى أن وجودنا مكتسب من نتيجة وجودهم؛ فالجميع يرهق نفسه بالبحث عن من يشاركه هذه اللحظات إلى آخر نفس فيه، وما الحب إلا تلك الرغبة الدفينة باستهلاك من يحبنا .

يمشي شاهين في الأكاديمية وكل من يراه، ينظر له باستغراب عاجزين عن فهمه فيما هو نفسه كان عاجزا عن ذلك في ظل كل تلك الحيرة التي يعيشها، وينظر باستغراب لزخم تلك الضحكات والسعادة المتضخمة التي يعيشها الجميع، وبات يسأل نفسه لماذا أعيش حزنا دائما حتى بدون التعرض لما يثير الحزن، لا أعرف مما هي مصنوعة تلك عتبة الشعور اللعينة التي يمتلكها وخلف تلك الأشجار والنباتات الصغيرة، يجلس شاب وفتاة تتوقد في عينيهما الرغبة، وبقربهم لافتة حديدية كتب عليها يمنع قطف الأزهار تلك طريقتهم في بلاد الكناية لمنع الدعارة في الحدائق العامة، وانصب تركيز شاهين على محاولة الشاب أن يقترب من تلك الفتاة وقال شاهين في نفسه: ويمنع قطف الأرواح أيضا، ويبدو أن أروع الأوقات تلك التي تخلو بها الحدائق العامة. استدارت الشمس وكأنها تجبره على تغيير طريقه، وفيما

يصعد إلى الصومعة أحس بشيء مختلف ولأول مرة يشعر بغربة تزداد باقترابه من الصومعة، نظر إلى تلك الجدران الحنونة القميئة التي طالما احتضنت حزنه وسعادته وتقبلت بشغف، ورضا غير مشروط كل انفعالاته واضطراب مزاجيته، ووجد جدران الصومعة، قد طليت راختفت كل تلك الرسوم والكتابات على الجدران وكأنهم يحاولون سلب قدسية المكان، وكأنهم يجبرونه أكثر على مغادرة الصومعة والكف عن التفكير وبقيت الجدران صامتة رغم ذلك وكأنها تطلب منه أن ينضج أكثر، وحتى السجائر باتت تشتعل بسرعة وكأنها تنذره باقتراب النهاية .

يتوقف فجأة الطريق يعج بالمارة الجميع ينظر إلى الأمام ولا يلتفت إلى أحد ولن يتوقف أحد ليتساءل عن وجهك الأصفر، وعظام وجنتيك البارزة وعينك الجاحظة. محل صغير بين محلات وأبنية ضخمة ولافتات ملونة ضخمة وكلها تهدف لتلهي الجميع، وإشغالهم لئلا يلتفتوا ويجدوا المحل الصغير، والكثير لا يعرفون وجوده أصلا ساعات جدارية ضخمة ومتوسطة معلقة على الحائط وتستمر حركة الأقارب ولا شيء قادر على إيقافها، أو دفعها للرجوع سارع الشاب بتحطيم الساعة الأضخم ولا أحد قادر على هزيمتها أو دفعها للتوقف، يخلع الرجل المسن المكبر عن عينيه وينظر لذلك الشاب ويقول: لا تحمل الأمر أكثر ما يستحق ويبدو أنك عرفت متأخرا، لا عليك لا أحد يتذكر حتى وكل تلك القطع البراقة الصغيرة على الطاولة أنظر للأمر من الناحية الإيجابية، على الأقل، عرفت ذلك وستموت وأنت مدرك لإحدى حقائق الوجود، يبدو أن حجم الوجود المزيف الذي عشته صدمك لدرجة كبيرة، حتى وجدت المحل مع تحفظي على جهود الثملين ودخولهم المفاجئ، وحركة كل عقرب تؤد رائحة وكلمة وذكرى ماعدى تلك الروائح التي تمتطي ظهر العقرب دائما وتدق بلحظة مفاجئة وهي متوقعة وكل ما تستطيع

فعله، هو تعليق أمنياتك وأحلامك على موعد وقت أحد العقارب الحياة متشابكة، ومعقدة وهشة قال له شاب يبدو أن لا فرصة للنجتة حزن يفتت الكبد، أعيشه ومرغما أني سأتعامل معه بقية حياتي البائسة قال له الرجل المسن: لم ألتق بأحد أدرك وحشية العقارب وعاش سعيدا، ولكني أعرف رجلا روض المستحيل ليكسروحشية العقارب على الأقل أرغمها أن تحترمه .

الفصل السادس

فتح شاهين عينيه، وهو ليس مصدقا لما سيحدث اليوم سيفي بوعده لفرح. الستائر مغلقة والغرفة فارغة وحالة من الرغبة المسيطرة، بمعرفة ما سيحدث تسيطر على كل شيء، متعاطف مع شاهين لأنها طالما احتضنت حزنه وتفكيره بفرح، تراقب بحذر تطور الأفكار إلى وقائع ولأول مرة يبدو شاهين قويا ومنظومة الخياة وطريقة سيرها تبدو ضعيفة وعاجزة عن دفعه للتراجع تتحرك الستائر؛ وكأنها تطلب الأذن منه بالنهوض ساعات قليلة تفصله عن رؤية فرح؛ وكأنه قرر خطبته فقط ليراها مرة آخرى شعر أن لحيته على قدر المسؤولية؛ وكأول إمتحان أكاديمي على عقله أن يعمل أكثر من أناقته يتلقى إتصال هاتفي وصوت إمرأة في الخمسين تتأكد من تحديد موعد ذهابها؛ لمقابلة عائلة فرح ويدور في عقل شاهين ما أسوأ ما سيحدث أن يرفضوا مقابلتي، أو أصطدم مع يامن جسديا على الأقل في المساء، وسأكون قد تلقيت إجابة وتحررت من طيف فرح، وللأبد ووفيت بوعدي ولكن قبل ذلك كله لا بد من شراء حذاء ينم عن جدية ومرونة بنفس الوقت ليدخل به عالم الراشدين والغارقين بعيش الحياة بطريقتهم، ويبدو أنه كان مجبرا أن يتخلى عن الكثير وأرغم على تقبل الكثير وكأنه على استعداد لتأدية دين أثقل كاهله استيقظت فرح وهي تظنه يوما عاديا، كبقية الأشهر الماضية ولم يكن هناك شيء مميز بإستيقاظها، ولم تتكبد حتى محاولة الهرب من ذكرى شاهين،

البيت فارغ، إن فكرة الغوض إلى أعماقنا وهي وحيدة في المنزل فكرة مرعبة؛ لأننا لا نمتلك وقتها إلا الشعور بالخسران والخجل، القلب سر التوجس غسلت وجهها عدة مرات؛ وكأنها تحاول إغراق نفسها بسلطة

حاجتنا بالتأكد من وجودنا؛ وكأنها تحاول التأكد من عدم فقدانها لأجزاء منها رفعت رأسها وصمت عقلها عن النباح، وعند رؤيتها لنفسها أمام المرآة سارعت بالهرب من أمام المرآة؛ وكأنها تخشى النظر بصدق. اختلاسة نظر محمومة أمام الروح العارية تدرك فيها تفاصيل غير مريحة عن الجسد الموتور، والمثقل بتمثيل دور الاستقرار والسكينة أمام أنفسنا، بدأت بتنظيف المنزل أمسكت بقطعة قماشية مبتلة وبدأت بمسح الأثاث وبعد أن انتهت هاجمتها رائحة شاهين من تلك القطعة المبتلة، ووضعت إصبعها السبابة على تلم الشامة الأمر شبيه بتحسس جندي متقاعد على كرسي مدولب كل عجلة تتحدث عن مسار خاص؛ إنها موضع رصاصة قديمة.عادت إلى غوفتها وأغلقت البا بإحكام؛ وكأنها سجينة بكل تلك التفاصيل باتت أنحف وضعيفة جسديا ولا رغبة لها بالتحدث فلربما الهدو والسكينة والانتظار وعدم تحريك شيء قادر على صنع معجزة، حكمت على نفسها بالوحدة وكأنها وكأن تعذيب الذات نوع من التكفير عن أخطائنا ولكنها عاجزة عن تحمل ذلك الكيل من الهزيمة والغضب. كفت عن التفكير بالرب وحكمته وبدأت دموعها بالتساقط؛ لأنها عاجزة عن تجاهل هدوء يامن، وعدم اكتراثه غضب وكره عملاق، يسيطر عليها تجاه شاهين وتتمنّى الأسوأ لهُ، وظنّت أنّها وحدها من تعاني، والمؤلم أكثر أنّها لم تدرك ما عاناه طوال الأشهر الماضية، يبدو أنّ نضوجها الانفعالي والعقلي توقّفَ في طفولتها بل لم تكن قد تجاوزت طفولتها بَعدْ.

حتى حزنها كان هادئًا صامتًا لايجرؤ على الصراخ فعلا، أو اتخاذ موقف يحررها ويجعلها ناضجة أكثر، بينما كان يامن يجلس على ركبتيه، عند منبع الكلمات ويطلب من الرّب تحويل حياة شاهين إلى جحيم، وكأنّ سميّة مجبرة

على التعامل مع طفلَين حساسَين وهشَّين، إلى درجة يسيطر عليك الإرهاق والجهد في محاولتك لدفعك العمر ليستمروا بالعيش.

يتلقّى شاهين اتصالا هاتفيًا من أحد أصدقائه لم يره منذ زمنٍ بعيد، ضحك شاهين عند سماع صوته وتذكّر يومًا شتائيًا قاسيًا تتساقط فيه الأمطار بكثرة.. خشب المقاعد مُبتل والأرض قد أخذت حصتها الكافية من بصاق الملائكة الغاضبين.. يجلس ذلك الشاب طيب القلب، كان الصمت يسيطر عليه دائمًا وكأنّه عاجزًا عن النطق أو أنّه نذرَ ألّا يتفوّه بكلمة طول حياته، جلس على جذع شجرة مقطوعة وشاهين يقف ويقول له: ما رأيك أن أخطب فرح يومًا ما؟ أتساءل عن ردّة فعل والدها؟

يتحدّث شاهين بجديّة، ونظرات الشاب تجبره على الغرَق بالضّحِك، مظهره في تلك الفترة الغارق بكل ارتجاليات مخيلته، شاب يافع لم يذق طعم الحياة الحقيقية بَعد، وتصرفاته الجريئة التي تتفنّن بكسر المزاج العام للمجتمع دون اكتراث، ولكنّ الشيء الوحيد الذي لم يفقده هو رغبته في ترويض المستحيل، حكّ الشاب رأسه وقال: شاهين.. حزام بنطالك مهترِئ،

والجميع ينظر لك أنك عاجز عن تحمل المسؤولية، مع يقيني أنك الشخص الوحيد الذي يجرؤ على المواجهة، توقّف شاهين للحظة وقال لا تدع مظهري وطريقة تصرفي مع الجميع تخدعك لقد اخترت أن أبدو بهذا المظهر وأبرع بإقناع الجميع أنني لا أستحق العناء، كن على يقين أنني لا أخسر ولا أخشى أحد مهما كانت النتائج أجابه شاهين: هل أستطيع مقابلتك في الأكاديمية؟.. بعد قليل دخل شاهين الأكاديمية ويمشي بهدوء وكل تلك الأماكن التي مرت بها فرح وجلست عندها ذات يوم، ينظر لها وكأنه يُطمئِن تلك الأماكن بعدم بقائها وحيدة بعد اليوم، أو على الأقل أن تكّف عن التفكير بحرارة جسدفرح، وصل للباب الرئيسي عند الصومعة، وبات يحدق

بالصومعة وتبدو صومعته كرجل كهل حاز الحكمة منذ أمد بعيد ينظر إلى شاهين ليتأكد من نجاحه بتغيير احداهم نحو الحقيقة.

ربّت على كتفه من الخلف ذلك الشاب استدار شاهين وبقي للحظات عينيه مليئة بخبر.

ضخم على قياس ذلك الشاب وتافه، على قياس الكون قال الشاب بقلق: شاهين ما بك هل أنت بخير؟ قال شاهين: قبل عام من الآن، وقفنا في ذلك المكان وأشار بيده نحو جذع الشجرة في يوم شتائي أخبرتك أنني لا أخسر إنني مضطر لشراء حذاء جديد بثلث مرتب عملي، بعد ساعات سأخطب فرح، أُصيب بالدهشة والمفاجأة أكثر من فشله في سنته الأكاديمية الأولى وفجأة انطلق لسان ذلك الشاب فقط ينفذ غزوته الموفقة كيف هذا كيف استطاعت ذلك؟ متى؟ أخبرني بكل التفاصيل. وضع شاهين يده على فمه وقال: سأخبرك بكل شيء فيما بعد، صمت ذلك الشاب وكأنه أدرك حقارة حياته، عانق شاهين بقوة وكأنه أراد أن يحتفظ بجزء من شاهين يشعر بابتعاده وهروبه للأبد، تمنّى الأفضل له وفي عينيه كل ثقة العالم بضرورة أن يبدأ برسم مخطط حياته والعمل عليه، فلن يقف أحد إلى جانبه بعد اليوم.

وكأنه الشحنة الذكورية لفرح، وقف شاهين وذلك الشاب أمام محل ضخم يلمع زجاجه وخلفه عشرات من الأحذية، كل منها يبدو مناسبًا لعمل ما ثمن تلك الأحذية يكفي للقضاء على مجاعة بدولة أفريفيّة، أشار شاهين بيديه ليختار حذاء يعزي ثلاثة أرباع المشردين للمسه.

عاد شاهين إلى السكن الأكاديمي ليجهّز نفسه، وانتابته سعادة ونشوة بشرائه ذلك الحذاء أكثر من رغبته برؤية فرح، وبعد تأكد شاهين من تخلصه من السفن الأمازونية، بنطاله لا يزال رطبا، وعليه أن يستعين بكيّه ليجف فتقلبات الأحوال الجويّة أشبه ما تكون بتقلبات مزاجيّة حائض.

وقف شاهين تحت مياه باردة ليستفز عقله ثم بدأ بتجهيز نفسه؛ لتغدو أناقته أشبه بأناقة رجل عاش طوال حياته بالفقر وعند وفاته أُلبس رغمًا عنه ملابس أنيقة، وكأنّه على استعداد ليُحرق ويتناثر رماده بعدها في كل مكان ويستنشق الجميع، ذرات من رماده لتمتزج بدمائهم، ويشعرون بروحه البائسة المقهورة الضعيفة القويّة المتمرّدة الثّائرة الهادئة تجري بدمائهم.

وصل شاهين والمرأة الخمسينية إلى بيت عائلة فرح، والأدراج تعيش وحدة كمعتقل في مكان ما وإسمنت المنزل يبدو مجبولا بالخيبة والألم المرّكز، والضعف والخوف من القادم يصعد شاهين درجا يلي درجا، شعر بثقل عجيب يحاول دفعة بكل قوة للرجوع كل خطوة يخطوها نحو درج جديد، تبدو كعودة الإنسان إلى أكثر واشد حاجاته أنانية رغبة التحرر من كل تلك القيود، التي يدافع الرجل عنها رمى شاهين بنفسه بأكثر المنحدرات قسوة وشدة وكأنه على استعداد ليفقد كل شيء، الأمر يشبه تجولك في شارع خالي من المارة، وفجأة يمتلئ الشارع بالمارة وينتابك ذلك الإحساس من السعادة المتضخمة لثوانٍ، ثم تدرك أن كل ما في الأمر أنها لعبة من عقلك المحترف بإيجاد حل؛ لتخفيف وطأة الم وجودك بدأ شباك غرفة فرح يهتز بشكل عجيب، وكأنه يتحرك مع خطوات شاهين أجبر فرح على رفع رأسها ويتوقف بكائها، ودموعها عن التساقط شعرت بشيء مجهول يستعد للحديث وقف شاهين، والامرأة الخمسينية أمام بيت عائلة فرح أغمض عينيه وأمسك بيديه للحظات، ونفسى زفير جمع كل تلك الشهور الطويلة وأقسى أيام عمرة طرق بريدية على الباب، وهو مغمض عيناة وخوف مسيطر دفع فرح لئلا تتحرك من سريرها وطرق على الباب لعدة مرات ولكن لم تتحرك، فرح من مكانها توقف عن التفكير بفرح وبدأ بالتفكير، بتكبده لشراء حذاء غالي الثمن فكان مصرا على العودة، بنتائج أدرك عندها أن لاأحد في المنزل سوى فرح،

وأرسل رسالة نصية إلى سمية يخبرها بتواجده أمام بيتهم وكأنه أراد أن يزرع الخوف في قلب سمية وبعد دقائق تصعد سمية مسرعة على الدرج ،عيناها حمراء وكأنها قد رأت أكثر من اللازم ووجهها في قمة الإصفرار، وكأنها متأكدة من كارثه على وشك الوقوع، إن لم تكن قد وقعت فعلا قبل ذلك وعندما رأت شاهين قالت بلهجة واثقة وصارمة تنم عن جدية مفرطة أنت شاهين نعم إنه أنا، وعندما لاحظت وجود أنثى قد تشاركت معاها بنفس العمر الخير على وجهه قالت لها الامرأة الخمسينية: الآن تدعينا للدخول. دخلوا سويا ووجهت كلامها لشاهين: انتظر خارجا. وكأنها تحاول الحفاظ على الفتات الباقي من شرف يامن، وكأن طبيعة ذكورته المتضخمة والوقحة دفعته لذلك، وعند سماع فرح صوت سمية شعرت بالراحة وجلبت شاهين على الدرجات الرخامية، وبدأ بدخن السجائر وسمع صوت أوراق مذكرات فرح والإمرأة الخمسينية، تفلبها بيدها وسمية تشير لها إلى مقاطع فيها شعر بألم في معدته. يستيقظ غضب عملاق سيطر عليه، فالجميع بات ينظر إلى أكثر خصوصية عمقا وضعت الإمرأة الخمسينية المذكرات من يدها بهدوء على الطاولة وقالت: انظري إلى ما حدث كيف تريدين ولكن شاهين أتى اليوم ليكفّر عن أخطائه، وليثبت أن فرح يتكبد عناء التفكير أصلا وتتحمل فرح مسؤولية كل ما حدث لوحدها، تقدمت فرح نحو الباب ولم تتملكها الجرأة على فتحه وكأن خلّف ذلك العشرات من الأسئلة، التي تهز وجودها نظرت من العين الساحرة ووقف شاهين ليدع فرح تكمل طقوسها.

أولا شعر شاهين أنها تنظر من تلك الفوهة، في الصومعة لترى رجلا بلحية مكتملة الف مراس الحياة وألفته الحياة فكرت سمية لدقائق في ترميم الشرخ الذي أصاب يامن وقالت للمرأة الخمسينية: امنحيني بعض الوقت لأحاول إقناع يامن خرجت المرأة الخمسينية وسمية، وتراجعت فرح

خطوتين للوراء في البداية. وفيما سمية تحاول التعامل بمرونة مع شاهين تقف فرح عند الباب، ونصف وجهها يظهر فقط الأمر يشبه أن تمد رأسك من نافذة سيارة مسرعة وتيارات هوائية تجبر نصف ملامح وجهها على التراجع، وأشجار سرو على طول الطريق وفي آخره وظن الجميع تسلقت شجرة سرو واحدة وسقطت لتتكسر أضلاعها وتئن بشدة، وتكون عاجزة حتى عن تذكر من هي يا لها من شجرة سرو نبيلة أمالت أغصانها نحوها لتساعدها على النهوض مرة أخرى و غطت بأوراقها لتخفف قسوة أشعة الشمس يبدو أن أصابعها حملت رائحة أثناء، وجعلت خشب السرو لأول مرة يشعر برطوبة المياه وتتحد مع نسمات الهواء الباردة لتشعر أنها شجرة رغم آثار البلطة التي غرستها فرح، ورضي شاهين أن يعرف لتدفئة نزعتها الطفولية وتصرفاتها الرعناء أبشع ما في الخيانة هي المشاركة بينما يقفز الحب غاضبا محتجا إلا في أنانيتنا، ويبدو أن هذا الثقل الذي كان يحاول أن يدفع شاهين للتراجع تقدمت فرح باتجاه شاهين وضمته دون أن تتفوه بكلمة واحدة. ضحك شاهين ودار في عقله لو كنت بنصف حقارته لاستمتعت بجسدها القذر، بحثت عن روحها طويلا فلم أجدها إنها مخلوقة الرغبة ، وحاول شاهين تجاهل رائحة سجائر شاب آخر ما تزال عالقة في جسدها، ويبدو أن الانتماء الآخر أشبه ما يكون بطائر بأجنحة بيضاء ضخمة رأسه صغير، وعينه قاسية وصلبة كوسم حراري وكأنه قد ولد ليكون مختارا يؤدي مهمة ما يحلق عاليا بسرعة جنونية، وينخفض ويغير اتجاهه بنفس الطريقة من طريقته في تحريك رأسه ونظراته الحازمة الثاقبة، يبدو أنه يبحث عن شيء ما وكأنه مكلف بإيصال شيء ما وبعد سنوات من الطيران دون توقف في الليل والنهار في كل أصقاع الأرض، حلق فوق كل تلك الأماكن المهجورة التي لم تطئها قدم بشر منذ عشرات السنين، وفوق كل المدن المكتظة وحتى أنه لم ينسَ أن

يحلق فوق كل محيطات وأنهار العالم لعل ضالته تكون هناك، وانحدر ليستكشف حتى الشروخ الضيقة العميقة في الجبال الصخرية، ويعاود الارتفاع مرة أخرى وينفض بأجنحته بقوة بعد كل محاولة فاشلة ليزداد إصرارا على تأدية عمله. رأى العديد من أصناف البشر من كل اللغات والأديان واستمع لكل تلك الأحاديث لكنه لم يجد ضالته وبدأ يظهر الهرم وكبر سنه، والإرهاق بعد كل تلك السنوات التي قضاها بالطيران تتساقط الأمطار فجأة لم يكترث للأمر في البداية فلقد اعتاد التحليق فوق الغيوم عند تساقط الأمطار، وبدأت حركته تصبح أبطأ وثقل ما يسيطر عليه ولأول مرة يشعر بالضعف، وحالة من الذهول تسيطر عليه تبادرإلى ذهنه لأول مرة خوف عجيب من أن يفشل في تأدية ما ولد لأجله، صرخ به برق ورعد بصوت جهوري وكأنه أشبه ما يكون بآخر رجل أناني في العالم تقبض روحه وبات ينحدر تلقائيا دون أن يملك نفسه أصابه التشويش والحيرة اصطدم بالأرض بقوة كافية لتستيقظ كل الحكايا منذ بدء العالم، وسقط كيس حريري من بين أكتافه عند التقاء مكان أجنحته وباتت عيناه هادئة بشكل لم يسبق له ذلك؛ نظرا لتطاير بذور صغيرة من الكيس الحريرب وسقوطها في حفرة صغيرة ملأتها الأمطار بالمياه، وضحك وعارف أنه قد نجح في إيصال الجوهره الثمين الذي حمله على ظهره لسنوات طويلة. توقف المطر وتوقف مع تنفس ذلك الطائر وبقيت تلك الابتسامة مرسومة على وجهه حتى بعد وفاته. أشرقت الشمس في اليوم التالي على تلك البذور وبعد فترة ليست بالطويلة نمت تلك البذور لتصنع زهرة غريبة الشكل تبهر كل من يراها ويقف شاب ويقطف تلك الزهرة ويغمض عينيه ويستنشق رائحتها النادرة المجبولة بسر مميز نادر الحدوث وأشبعت رائتيه بتلك الرائحة وتراءى أمامه طيف عشقيته ليشعر أن تلك الرائحة كانت قادرة على دفعه القرار متضخم تجاه من يحب.

تراجعت فرح وسمية مدهوشة من تصرفها وعاجزة عن إبداء أي ردة فعل، واكتفت الإمرأة الخمسينية بابتسامة تتضاءل عندها كل قوانين الحياة والمنطق لم يكن أحد منهما قادرا على ترك معانقة الآخر. أمسكتها سمية من يدها وسحبتها للخلف، الطريف أن كليهما لم يفكر أن يقول كلمة واحدة للآخر. صمت كلاهما وكأنهم يخشون أن يختفي ويضمحل ذلك الشعور إلى دفعهم للتأكد من وجودهما، وأنهما لا يعيشان حلما، وفيما تتراجع فرح للخلف مظهر شاهين يبدو وكأنه رجل مقطع بفؤوس رومانية صدئة أغلقت سمية الباب بهدوء، دخلت وهي أشبه ما تكون برجل كهل مصاب بالخرف. ضحكت سمية بعد دقائق وحضنت فرح وشعرت مرة آخرى أنها ابنتها، ودار في خاطرها يبدو أن حبة الفستق تلك دفعت أحدهم للتضحية وفيما تنزل الامرأة الخمسينية وشاهين قالت المرأة: أنت محظوظ لتحبك لهذه الدرجة. ضحك شاهين وحك رأسه وانتابته رغبة بتصحيح تحليلها البدائي، ولكن ما أثار حيرة وريبة شاهين بعد ذلك حديد السلالم الذي يبدو حياديا وتفاجأَ بتوقف الأشياء عن التحدث إليه والتنبؤ بما سيحدث، يبدو أن الحياة كفت عن التعامل معه على أنه صيد سهل الافتراس، ويبدو أن القرارات المتضخمة هي أكبر وأهم سبب لتجبر الحياة على معاملتنا بطريقة أُخرى. دخلت فرح غرفتها ووقفت عند النافذة نظرت إلى جسدها، وإلى المارة في الشارع وتظهر هوية أُخرى لنفسها وللأشياء ولكل ما يحيط بها. أدركت جيدا أن شاهين جلس كل يوم عند نافذتها وهو وحده الذي كان يمضي الليل بتغيير كمادات على جبينها وهي نائمة، وعند قدوم الصاح يسارع بالرحيل. حلت عقدتها عند ضفيرتها ليتناثر شعرها على كتفيها، ضحكت كمحمومة وسارعت بوضع يدها على فمها وحدقت بشره، وكأن طريقتنا بالضحك قادرة على كتابة كلمات خاضعة للرقابة، التي تفرضها هيئة الآخرين الراشدة وفيما شاهين يخرج من

الباب الرئيسي استدار ونظر لنافذة فرح، أصابته النشوة وتضاءل كل شيء أمام عينيه شعر أن انتصر على تماسك القرميد وطوب الإسمنت،

أبشع ما في تلك العاهرة أنها لا تيأس ولا يصيبها أيّ شعور بالذنب عن ضحاياها التي تحطمهم ببراعة، وفيما تجلس على تلك الطاولة تتحدث إليك بطريقة تمنحك نشوة بالتحدث إليها، رائحة عطرها تغري الجميع ليقعوا في أسر التحدث إليها عطرها يشبه مخدر يزادد تأثيره المر تدريجيا، طوال جلوسك على تلك الطاولة تتعالى صوت ضحكة ذلك الرجل؛ وكأنها عطسة دماغه لفهم المعنى الذي رسمته له العاهرة بحرفية، ويبدأ مفعول ذلك المخدر بالظهور، ويُصيب ذلك الشاب تشوش وكأن أحدهم يمسك طبلا ضخما مصنوعا من جلود كل الضحايا السابقين، ويضرب بقوة ليعلن بداية انهيارك وخضوعك لكلمات العاهرة، وتبدأ ضحكاتها بالتعالي ليدرك الرجل فجأة إنه وقع في مكيدة، وفيما تتغير ملامح ووجهه ويضع بده على قلبه والأخرى على الطاولة ويقول: أخبريني ماذا تريدين مني؟ وفيما تشبع نظرتها برؤية أضفارها الملونة والطويلة؛ أجابته في البداية أريد أن أثني عليك فلم يظهر تأثير المخدر عليك كبقية أصدقايك يستجمع قواه ويضرب ويضرب بقوة على الطاولة ويقول: أخبريني ماذا تريدين مني؟ تكف عن النظر إلى أضفارها وتنظر بشزر وغضب نحو ذلك وتقول: اخفض صوتك لست طرفا قويا على هذه الطاولة. وفيما تجمع أشياءها المبعثرة على تلك الطاولة وتستعد للرحيل وتترك ذلك الشاب ليعاني أكثر يقف الشاب، ويمسك تلك العاهرة من يديها ويجبرها على الجلوس ويدور في عقلها. اللعين يفترض به في هذا الوقت أن يكون في غيبوبة قوة ذراعه زرع ألم ضخم في يديها وقال لها:

- هل تظنين أني ضعيف لست رقما في لائحتك وسارع بالبصاق على معطفها المخملي.

عاد يامن ليلا من عمله وفيما يصعد على الأدراج لم ينتابه أي عبء سوى رغبته بالاستلقاء إلا أن شعورا غير متناهي من أتساع الكون وتفاصيله المعقدة تبدو مرهقة ورغم ذلك يبدو غير مبالٍ سوى أن يشغل جسده بمساحة كافية من الأرض توكد له أنه غير محاصر، وصل عند الباب ورأى أعقاب سجاير عند الدرج الرخامي قرب باب بيته، تجمدت نظراته واتسعت للحظة تفاجأ، وكأنه تعرض لحادث مروري ولم يكن يشعر بحرارة دمائه أو أجزائه المقطوعة، ولكن هل سيكون قادرا على المشي لبضع ياردات على غير العادة؟! ولكنه لم يعر ذلك أدنى اهتمام وفيما يامن مستلقٍ على السرير؛ وقفت سمية عند باب غرفته وشعور من الحيرة يسيطر عليها ولكنها لم تمتلك خيارا سوى بإعادة إحياء ابنته المتوفاة، جلست سمية على السرير ليستدير يامن على الجهة الأخرى ولا يقبلها، قبل نومه كما اعتادت سمية وكأنه في كل يوم خشي أن يفقدها، ورغبة أكثر عمقا أن لا يستيقظ ربما أراد فرح أن تعيش حبا جنونيا، يأخذها من نفسها ربما أراد وهبها حرية أن تقرر كيف تمليي ذاكرتها وكل ما أراده أن يبقى حبيس إطار خشبي ولون ليعتاد هو نفسه غيابه ويغدو جزءا من أثاث الغرفة لا أكثر. وضعت يدها على كتفه الأيمن ليمسك يدها ويبعدها برفق ويقول: أنا متعب وكأنه سئم من أيمانها ودعمها الغير مشروط له أدركت سمية جيدا أنه يتوجب عليها أن تدع مجالا لذكورته ليقررويتصرف، أجمل ما في الصدمات هو إجبارنا على التغير، لنكون مناسبين للعيش أكثر فيما يقف شاهين عند شرفة غرفته يمسك بالعوارض الحديدية للشرفة، يقف على قدم واحدة ويضع الأخرى عليها، ينفث سجائره وهو نفسه مندهش من قدرة وزخم العواطف من دفعه لتحمل مسؤولية العين الثالثة؛ التي أرغمته على عيش افتراضات المينا لميغنا الأنا عن نفسه، وشعر بطريقة القدر الناضجة بالتعامل مع كل إحساستها

المتضخمة المصابة بورم نادر برغمه دائما على المبالغة بردود أفعاله؛ وكأنه يأبى أن يعترف بتفاهة وجوده المحض، وطالما نظر إلى يده ونفسه وتساءل: ضخم يسيطر عليه هل هذا أنا فعلا هل عانيت كل ذلك هل سمحت لروحي أن تحمل عبء هذا الجسد الذي طالما كان يحاول عقد هدنة للاستمرار ولطالما نظرت إليه وراقبته روح شاهين كسكير يائس؟ يجلس على قارعة الطريق وفي كل مرة يرغم كلاهما على العودة كطفل ضائع يعود إلى عائلته؛ ضحكة محمومة سارعت بالظهور عند تذكره كلمات سمية: أنت شاهين؟ كان يريد أن يتوقف للحظة ويقول: هل ستصدقينني سيدتي إذا أجبتك أنني لا أعرف؟ وعلى ما يبدو أن روحي أثمرت هذا الجسد رغم تذمره المستمر إلا أنه مجبر في كل مرة ليقف إلى جانبي لمواجهة كل ذلك الضياع بيننا وبين الآخرين ولكنني إلى الآن لا أعرف سر تألمه عند أصابة جسده بأذى المبهج بعلاقتنا، أن كلانا على يقين من النهاية فيما كنا نتعمد الفرص للحصول على ساعات من الانفصال دخل شاهين إلى غرفته وتمدد على سريره الحديدي، يضع يده تحت رأسه لترتخي عضلات جسده ويغط بنوم عميق وصوت شخيره يملأ أصداء الغرفة، وكأنه صوت الفراغ بين جسده وروحه، وتمثل في كل يوم عشرات من المسرحيات في ذلك الفراغ إلا أن طيف فرح فقط هو الذي كان قادرا في كل مرة لجعلهما يتصافحان بهدوء بهدوء، ورشد لم يسبق له مثيل عانى شاهين طوال حياته من السأم من البحث عن ما يملأ ذلك الشرخ العملاق، إلا أن جل ما كان يحصل عليه معاناة أخرى تجعله أضعف ومشوشا أكثر، لم يبحث عن تلك الإجابات التي ببال الجميع؛ لأنه كان عاجزا عن تحريك يده لتلامس أرض الموجودات الحقيرة التي تبرع دوما بإرغامه على حمل عبء مسؤولية الإنصات للحمقى، وبعبارة أشد وقاحة لأولئك الذين يعتبرون الحياة ذات أهمية، فيما كان شاهين يعيش مرتفع يأخده من نفسه

ليلقيه في سيل جارف، يلقيه من تلك الإحساسات الصغيرة الذهبية التي تملأ المكان بعبقها كان يشعر نفسه يرتفع بسرعة ولا يتوقف عن الارتفاع، ثم يفتل بسرعة جنونية، في ذلك المكان تتغير مكروية الأشياء، وبصبح كل شيء مميز تشعر أنك ارتفعت لعلو أزاح كل خدام الرب من أمامك، وتستأثر بالوقوف لنيل بركته فيما الآخرون خلفك.

مشت سمية ثلاثمئة ياردة لتجلس على مقعد خشبي، في حديقة صغيرة أرض ترابية وأشجار تحيط بجوانبها أرجوحتين، تعيشان عزلة ومقاعد ممتلئة بكبار السن ممن وصلوا للذروة تعاطي اللحظات الأخيرة من حياتهم، يشعرهم بعقوبة مضاعفة تفرض عليهم فيما يمسكون عكازتهم بحرص، وكأنه كل ما يملكونه هو قلب يضخ لمنحك مزيدا من الوقت الذي لست بحاجته، فقد قضيت سنوات طويلة بالضياع وتوقفت عن الحلم في سن شبابك؛ فيما تتحرك عيونهم من خلف عدسات سميكة، وكأنهم حرصوا على أن لا تتشوه مخيلتهم في أيامهم الأخيرة. يسارع فتاة صغيرة وولد أصغر منها ليجلسوا على الأرجوحة ويدفعونها بقوة، وطريقة صراخهم تشير لك أن فقدانهم للكثير. التوتر يظهر على سمية بشكل فاضح وكل سنوات عمرها التي قضتها بنحت شخصية قوية، يتقدم شاهين ويرمي عقب سيجارته وترفع سمية رأسها وترتسم ابتسامة على ووجها وكأنها سعيدة بمن سيحمل عبءَ وجود فرح وحساسيتها المفرطة، يفصل بينها أربعين خطوة على الأرض الترابية التي تنبئك بنهاية كل حلم وهدف تصل إليه ليغدوا حلم وملك الآخر وكأنه شيء يتعذر الإمساك به، طيات قميص شاهين تنبئك أنه كان بارعا، بطي الكثير مما واجهه جلس على المقعد الخشبي قرب سمية، فيما كلاهما يركز نظره للأمام، تحدثت سمية لساعات طويلة عن حياتها بكل التفاصيل، وكأنها أفتقدت القدرة على التحدث مع يامن طوال تلك السنين، التي قضتها برفقته

لطالما كانت مشغولة بسماعه ولكن ماذا عنها؟ أدار شاهين راسه نحوها وهي تتحدث بعفوية أول مرة تبدو سعيدة، يبدو أن النضج قد أتعبها واستهلك طاقة جسدها الذي فجأة بدى هزيلا، ولم تشعر بنفسها إلا وقد تحدثت عن اتفاقها مع عبير، وطريقة توفيق بمعاملته السيئة، تغيرت نبرة صوتها وبدأ رأسها بالاهتزاز ببطء وقدماه تلامس الأرضية، وترتفع بدأت بقع دماء سمية على تلك الجدران الخرساء تتراءى لشاهين، وبدت سمية وكأنها ستتعرض لنوبة صرع من حدة ما عانته. إن الإنسان ليبدو مثيرا للشفقة وفي محاولته الحازمة بالحفاظ على على أسراره وخصوصياته فيسقط رغما عنه من ذلك الجرف الرطب المليئ بالأشواك؛ إنه بلا ريب جرف الكبرياء المزعوم ولكن لا محالة من انتصار دوافعنا البدائية الأولى، دوافعنا الإنسانية بجدارة.

أمالت سمية رأسها على كتف شاهين، وأجهشت بالبكاء ملمس يده على جبينها أجبرها على التفكير ولو للحظات بعظمة الهبة التي منحت لفرح؛ لئلا تعاني من قسوة كقسوة توفيق ولا رجلا هشا كيامن يبدو أن قامتها القصيرة تكفلت بتفجير كل الجدران الشعورية المجبولة مع الذات. إن المرأة على استعداد لحب جدار أسمنتي والتعلق به فقط إن استطاع اختيار اللحظة المناسبة وبعد لحظات رفعت رأسها وسيف الارتباك يهاجم أطرافها يستقيم ظهرها على المقعد الخشبي، وعينا شاهين ممتلئة بذلك الشعور الذي يسعى جاهدا للاطمئنان أستعادت جديتها، بعد أن منحتها رغبة شاهين بالارتباط بفرح ذلك شعرت أن فرح كانت فريسة للحظات إضافية من ذلك الضعف! على كتف شاهين قالت له: أعطيني وعدا. ضحك شاهين ودار في نفسه: تبا هل سأكون مضطرا لأفي بوعد آخر؟ قالت: عدني أنك ستحسن معاملة فرح لآخر لحظة تجمعكم سوية. أجابها شاهين: قبل أشهر طويلة وعدت فرح أنني لن أدعها تتحمل مسؤولية لوحدها، وهأنا قد عدت بعد كل تلك الأشهر

الطويلة وكل ما أستطيع قوله: إنني رجل يلتزم بوعده جيدا هل تعرفين لماذا؟ فقط لأنني شاهين الذي يعني ما يقول.

تأكدت سمية أن فرح ستواجه رجلا بقوانين حازمة وجدية، نظرت إليه وقالت: كف بالتفكير بتعلقك بفرح وأخبرني كيف ستوجهان رتابة وتكرار كل يوم يحمل نفس المشاكل ونفس الحلول؟ وكأنها أرادت استفزازه لتتنبأ بما سيحدث وبكل ما تحمله من زخم وبقوة مفردات لا تحتمل التأويل،

قالت: في الدورة الشهرية الأولى لفرح تقدمت نحوي وهي تبكي وتظن أنها مصابة بمرض نادر تعيش في عالم وهمي غير محسوس وملموس سوى بالنسبة لها. نظر شاهين نحوها بتمعن أكثر وقال: إنه خطؤكم في نهاية المطاف في تلك المبالغة بحمايتها والحرص عليها من كل شيء. لقد كانت سجينتكم لوقت طويل على ذنب، لم تكن قد ارتكبته بعد أقنعتما بضعفها وعجزها سلبتها حرية القرار؛ هل تظنين إذا كانت قطعة واحدة فهي على ما يرام هل صوت ضحكتها جعلك متأكدة أنها لا تعاني من مشكلة كارثية؟ تغيرت تعابير وجه سمية وانتابتها للحظات رغبة بالبصاق عليه، والمغادرة قالت له: انظر في عيني جيدا هل تظن أننا نعيش في عالم مثالي؟ في نهاية المطاف لقد حميت فرح لسنوات طويلة ولولا تدخلك في حياتها لكانت في وضع آخر أفضل مما هي عليه الآن. ضحك شاهين ويبدو أن محاولة سمية لاستفزازه؛ انقلبت ضدها. أشار بيديه: دعيني أكمل فلم أنته بعد رغم كل ما ذكرته، إلا أنني سأهتم بفرح وكأن سمية قد تحدثت بما دار في عقلها بصوت عالٍ! وضع شاهين قدما على الأخرى وقال: يبدو أنك سهلة الاستفزاز. ضحكت سمية بصوت عالٍ وضربت كفة يدها بالأخرى وتأكدت من أنه سيجد حلا دوما، وسيكون قادرا على التعامل مع كل انكسارات فرح وكأنها تيل حدودي لمهاجر عالق بين جحيم حياته النفسية المضطربة، وكم هائل من التعقيدات

الوجودية. نزلت الفتاة الصغيرة من الأرجوحة ويبدو أن وقت العمل، قد حان تقدمت باتجاهما ووقفت أمام شاهين وسمية واستدار شاهين نحوها، بطريقة أجبرتها على بلعِ ريقها والصمت مرر شاهين يده على وجهها، وكأنه السؤال الذي تجيب عنه في كل يوم أدعى ليل قال لها: لا تحزني سينتهي ذات يوم هذا الليل الطويل،

استدارت وهي تتلامس وجهها، وتبدو عاجزة عن تفسير ما بها. الشعور أكبر نعمة ونقمة قد يواجهها الإنسان فيما تبرز قوة، وبراعة الشعور بسرعته بإرغامنا على الارتفاع أو النزول بسرعة ربما كل ما يميز الأقوياء، هو قدرتهم على نصب وتد خشبي يمنعهم من السقوط في حفر عميقة ومظلمة، وأدركت سمية مرة أخرى عواطف. شاهين وتدفقها وقدرته على صناعة المئات من القناديل المضائة بين السماء والأرض، وأنه هو الوحيد الذي يستطيع أن يعانق فرح فوق غيمة، الأمر يشبه تلك الرغبة التي تدفع رجلا للركض باتجاه انهيار صخري فيما الجميع منشغل بالنجاة قالت سمية. عانى يامن بطريقة بشعة انتحر قلبه وروحه، ولم أستطيع أن أقنعه بمقابلتك طيلة الأشهر الماضية تصرف، وكأن فرح ماتت بحادث مروري وحتى مناقشة ذكرى فرح توقظ جزءا باردا ومظلما في عقله، ولكنني متأكدة أنه ينتظرك في قرارة نفسه، لا أعرف كيف سيتعامل معك شاهين لقد آلمته بشدة للدرجة التي أجبرته، أن يجد تعريفا آخر لنفسه، سيطر عليه التشويش والضياع، بكى في كل ليلة وكل ما أراده هو أن تعاني أضعافا لم هو يعانيه أراد لك أن تتألم في كل لحظة، ولم يكن باستطاعته سوى أن يعترف بموت فرح ويكمل حياته مرغما مالذي ستقدمه له ليعتاد وجود فرح مرة أخرى أن قدومك بعد كل تلك الأشهر الطويلة، بنم عن نبالة شعورك وصدق عواطفك تجاه فرح ولكن انهيار جبال جليدية، تسبب فوضى وكارثة الجميع يعجز أن يتعامل معها،

ولكنني أثق بقدرتك فكر مرة أخرى، ثم قرر وتصرف ببراعة مهما كان القرار الذي ستتخذه: كن متيقظا،

بدأ الوقت ينفذ لست وحيدا، فأنا وفرح سنتحمل هذه المرة مسؤولية أخرى. حياة عائلتي باتت الآن بين يديك، كن حريصا عليها وثقت فرح بقدرتك وأن أثق بقدرتك غادرت سمية وانحنى شاهين وأمسك رأسه بين يديه، أطلق زفير طويل يحمل في طياته رغبة عملاقة يالغموض، والترقب خرج شاهين من الحديقة ووقف عند الباب محاولات يائسة؛ ليشعل سيجارته وصوت دقات ولاعته تأبى أن تمد يدها هذه المرة؛ لتساعده على التفكير توقف عن محاولة أشعل سيجارته؛ فصوت دقات الولاعة أصابه بيئس لم يبق له مثيل ربما رغبته بالسجائر هي فقط محاولة، لوأد تلك الكلمات على شفتيه أحرف مبتورة الشعور مصابة باليأس والحيرة، والعجز المزمن ربما مملكة ملك المطرودين من جنات الله في هذه الأرض، هو اليأس الذي يشبه ذرات رمال جافة باردة وقاسية، ويبرع ذلك اللعين دائما بمحاولة زراعة اليأس في الذات وكأنه يحاول إغراقنا بمياه آسنة، ربما لنصل إلى تلك الحالة التي نكف أن نعتبر الحياة ذات أهمية ويسعى دائما لبتر حلمك بالسعادة التي تملأُ كيانك وينظر إلينا الرب ويريد منا أن نبتهج من داخلنا؛ لا أعرف ما سر اختفاء الينابيع العذبة التي نكابد طيلة حياتنا في الحفر، شعور أولي هاج شاهين ليرقيه في ذلك الفراغ، وخوف مسيطر على شاهين من رؤية ذلك العقاب الذي ينبئك أنه لم يسبق لأحد مر بتلك الأرض، كن على يقين إذا تكفلت شمس حارقة بتبخر تلك المياه، أنك لم تحفر عميقا، كما يجب رمى شاهين السيجارة من يده، وباتت أفكاره صحية أكثر، استداروعاد إلى الحديقة ويبدو أن أروع الأوقات تلك التي تخلو بها الحدائق العامة! ضحك شاهين لأنه رأى

أرواحا كبيرة بالسن قد غادرت وبقيت هياكل إنسانية تصيبك الحيرة من طريقة عمل وظائفهم الحيوية،

بعد كل هذه الفترة الطويلة، منظر الأرواح وهي تغادر مخذولة ومصابة بالفشل والاستسلام البدائي المجبول بالندم على إضاعة فرص كانت منحتهم على الأقل إحساسا بجدوى السنوات التي قضوها. تقدم شاهين باتجاه عجوز كان يراقب شاهين بدهشة؛ شعر وكأنه يريد أن يتحدث مع شاهين عن قصته القديمة، انخفض على ركبتيه وكأنه يريد منحه أريحية بإفشاء سره فيما الرجل المسن متلفلف بالكثير من الأقمشة رغم حرارة الجو، ويده على عكازه الخشبي الذي يبدو الوحيد الذي لم يتذمر من أحاديثه، ربما لو استطاع أن يترك مجالا كافيا لترقص الكلمات على شفتيه؛ لاهتم بسماعه الكثيرون قال: اعذرني على السماح لحواسي أن تدخل بيت خصوصيتك ولكن طيلة حياتي كنت أنتظر نصيحة ممن يفوقني سنا، هناك أشياء في الحياة لا تستطيع معرفتها سوى بعيش سنوات إضافية كل ما تحتاجه هو أن لا تشعره أنك تقدم معروفا له بخطبة ابنته، وكأنك المسؤول عن ترميم أخطائه لسنوات، اترك له مجالا ليخدع ويقنعه بكبريائه أنه لديه الخيار فتظهر وكانك الخيار المثالي والأنسب لابنته لا يهم بماذا يفكر أو يظن حتى بما تفكر حبيبتك، يكفي أنك تضمن وجودها معك وفيما الجميع يعيش سعيدا لا تهمهم الحقيقة، افهم ما يبحثون عنه السعادة والتوبة وامنح نفسك أنت فقط الحقيقة. حك شاهين رأسه وتأكد أن لا شيء يمضي بدون فائدة حتى السنوات الطويلة التي تكف عن التفكير بنفسك، هي مهلة لتعطيك مهارة عجيبة بصقل طريقة تصرفك قبل شاهين رأسه وكأنه يحاول،

كان يحاول تعويضه عن احتقار اللحظات ظن بها أن الجميع يحير وشعر لأول مرة أن الحياة ضخمة أكثر من وعده الذي منحه لفرح، وأكبر من أناه التي تحمل في طياتها جذور وأنانية العلوي أخرج الرجل المسن ولاعة وقال له: احتفظ بها وفيما شاهين يضغط عليها بقوة وعيناه في حيرة؛ وكأنه عاجز عن مكافئة رجل يختصر سنوات من التجربة ليغير حياتك نحو الأفضل نحو ما تصبو إليه.

وفيما يخرج شاهين من الحديقة؛ ضحك الرجل العجوز ورجع بالذاكرة إلى رغبته القديمة بأن يصل لآخر ورقة في التقويم؛ ليبدأ بعيش حياته فعلا وتذكر مرور سمية وهي على كرسي متحرك، ويامن خلفها يوم ولادة فرح ووقوفه عند الحمامات، فيما يتعالى صوت مديره الشاب، ويبدو وكأنه كلب حراسة شرس وربطة عنقه الأنيقة التي تبدو كطوق حديدي، يمنعه من العض رغم نباحه الذي لا يتوقف. هل تظن أن فقاعات الصابون محاولة لإقناعي بنظافة المكان؟ نظرة خاطفة من يامن نحوهم وقد انعكست صورتهم على المرآة الضخمة؛ كان قد استرعاه صراخ سمية بتلك الطريقة لم يسبق له أن سمع امرأة تصرخ بقوة كصراخ سمية، ويبدو صراخ سمية تنبيها ليامن لئلا يسقط من أعلى ذلك الجرف، وظن يامن أنها تعاني فقط من آلام الولادة وفيما يجلس يامن من على مقعد خشبي في قاعة الانتظار، وكم هائل من السجائر يملأ القاعة تبدو السجائر المرمية مشحونة بالتوتر والترقب، كان يامن يسترق النظر إلى وجوه الرجال في الصالة ويتساءل عن ذلك الشعور الذي يسترق انتباههم ويشغل تفكيرهم أطفأ الرجل سيجارته التي أنذرته بالتوقف، احترق جزءها الإسفنجي. ثبات خاتم الرجل وجهه الضخم اللامع، أشار شاهين،

وكأنه أراد منحه تغييرا لتساؤله ويبدو أن كل ما في الأمر أن الجميع كان مندهشا من التطور الذي نبع عن أجسادهم، الجميع يدرك الآن تمرد النطاف ليرغمك على حمل عبء وجودي هش، ربما حب الأبوين لأولادهم رغبة دفينة بإشباع قدرتهم على نجاحهم بصناعة شيء لوحدهما، تقدم نحو يامن رجل في الثلاثينيات عندما رأى توتر يامن الذي كاد أن يضرب رأسه بالجدار، سيجارة وعبارة هادئة: لا تقلق ستكون بخير ربما كل ما يحتاجه الرجل في أوج انهياره سيجارة تتكفل بالقضاء على تآمر الوجود في تلك اللحظة، وصوت يطمئنك أن اللحظات الحقيرة الكفيلة بجعلك تحرق ورودا مرمية على قبر لن يكون دون فائدة وتأكد على أهمية التخفيف من التوتر وكأن الجميع اتفقوا على ضرورة التخفيف عن بعضهم البعض لئلا يثير تساقط أحدهم رغبة البقية بالسقوط، يقف يامن على مقربة من سرير سمية وفيما فرح على صدر سمية وشعور سمية الغير منتهٍ؛ وكأنها فصلت على قطعة من عرش الله صرخات فرح المتقطعة وجسدها المشع، عينا يامن التي تراقبها ومأسورة بالكائن الجديد لم يكن يصدق أن علاقة جنسية تتكفل بإنجاب غير متناه من الرضا، وفيما فرح تحرك بيدها يد شاهين بمحاذاة جيوب بنطاله تتنبه أصابعه لوجود سيجارة واحدة سقطت بالخطأ، وفيما فرح تحرك بيديها الصغيرتين أشارت لسرب عملاق من الفراشات لتقيد يامن بتلك الحبال الغير مرئية، ليسجن إلى آخر عمره بصورة فرح تلك، تضاعف حبه لفرح بثوانٍ فقط، كل ما تطلبه ليتأكد ويشعر أنها جزء منه فجأة لم يعد يشعر بغربة فقدانه حتى إذا تجزأت سمية؛ وكأن دخول فرح إلى حياته بتلك القوة أشبه ولا يكون بتلك الحشوة القطنية في خوذة دراج تسارعت سرعته. فجاءة شعر وكأنه يحلق بعيدا عن الجميع تضخم تلك اللحظة الشبيه بورم سرطاني في مراحله الأخيرة ليسقط ويرتطم

بقوة كفيلة ليعود إلى الانتصاب والثبات، رفات تحرك بين أضحية الوثنيين السنوية لتخفف فرح قوة الاصطدام بنفسه فيما الجميع يجد نفسه مضطرا لخوض حربه الاستمرارية والرضا كل يوم وكل لحظة وعندما يتأكد ذلك الكائن المشع على كتفك تثبتك بقوة وحرص عجيبة على حمايته تشعر أنك كنت من الأهمية لحبك القدر إياه.

يجلس يامن على كرسيه المتحرك، في مكتبته الصغيرة ويراقب المارة بحذر وخوف وقلق ويشعر نفسه ضائع من خلف عدسات نظاراته وزجاج المكتبة قصص ملونة معروفة وتشترك تلك القصص بالحث على الأخلاق الإنسانية الأولى؛ يمر شاب يافع في سن المراهقة ويقول في نفسه: لقد مررت في هذا الشارع كل يوم منذ صغري ولا تزال تلك القصص في مكانها، بل لم يغير مكانها حتى انتبه يامن لتوقف ذلك الشاب والذي يبدو رأسه متطاول الشكل، وكأنه يلبس قبعة صوفية في يوم شتوي يستفيق من حلمه الدسم ويحك رأسه واستمر بطريقته، وكأنه كان عاجزا عن تفهم تركت بمحض الصدفة أو لسبب آخر متخم بلا هدف يضحك يامن ويخلع نظاراته ينهض من كرسيه ويقف أمام جدار إسمنتي مزين بورق الجدران الملون، بدأ ورق الجدران يثير قرف وامتعاض يامن وقال: لم يتوقف أحد منذ زمن طويل منذ يوم وسكت فجاءة، وكأنه يخشى أن يسمع نفسه وكأنه يخشى أن يكسر صورة روحه أمام هيبة رجل خمسيني أمام المرايا، بدأت أصابعه بنزع ورق الجدران وكأنه أراد لونا آخر للجدران الضيقة عاش معها، وقتا طويلا كان كافيا لتلقنه الأيام والدقائق في منتصف الظهيرة الكثير من التساؤلات، والكثير من الأجوبة يقف شاهين من بعيد يراقب يامن وينظر لكرسيه المتحرك صوت صريره بات يبدو عاليا، وكأنه حمل ثقل ما عاناه يامن جلس على كرسيه وانخفض رأسه، وكأنه لا يستطيع تجاهل ما مر به ومن هذا الذي يستطيع أن يتجاهل تحطم

ابنته؛ كان قد وجد نفسه بين جدارالنضج والذي يتوجب عليه من خلاله أن يكمل طريقا لإيجاد حل لتصحيح أخطاء فرح وتحريرها من سجنها، وجدار أخر يوشك على السقوط يحمل صورة فرح وأرقاما عصية على الفهم وتبدو غير واضحة، ولكنها موجودة وسيحين عملها يوما ما أخفض يامن رأسه وأسنده على حواف طاولته الخشبية، يدخل طفلان صغيرين لشراء أقلام ملونة؛ أدرك شاهين جيدا خطورة انسلاخ رجل قارب الخمسين بهذه الطريقة، أبشع ما في الأمر أنه لم يعد مصرا على خلق لحظات للتفكير؛ لينظم طريقة حياته ويحل مشاكله العالقة ولم يكن هناك شيء قادر على دفعه للغضب، أو دفعه للشعور بأنه ضحية الوجود وأن الكثير من الصيادين ينتظرون تلك الفرصة أحيانا بمعركة القدر التي يخوضونها معنا ويجبرنا على الاستغراق، بعروضه المتفردة ورغم أننا نفترق بشدة إلا أننا محكومون بالخوف والترقب من تلك الحركة الأخيرة التي يفعلها. يتقدم شاهين نحو يامن من بعيد بخطوات واثقة خطوات رجل يعتزم إغلاق باب معاناته للأبد؛ فتهادى طيور الحمائم البيضاء بمناقيرها السوداء وكأنها محملة بالألف والرسائل والتوصيات؛ وكأن من أحب فتاة وعجز عن صناعة حياة لها أرسل برسالة لشاهين؛ وبات واضحا ليامن أنه سيكون مضطرا لمقابلة شاهين فيما يامن يخفض رأسه على خشب طاولته. مرة أخرى خطوات شاهين تزداد إقترابا وكل خطوة جديدة تتكفل بانفجار شريان وأوردة يامن، وفيما يغمض عينيه بدأ بطقطقة أصابعه، ولكن شاهين ما يزال يتقدم ويبدو أن كلمات أخته وهو صغير ما تزال تقبع فيه؛ ليختفي ويصبح أسرع من الخيال لم تجد نفعا تجاوز شاهين الباب الزجاجي، ودخل إلى المكتبة الصغيرة إيقاع خطواته الاستفزازية التي أجبرت يامن على تذكيره بنفس الإيقاع الذي سمعته فرح، يوما ما وكأن طقطقة يامن في تلك اللحظة،

لم تكن إلا رغبة ليعدم شاهين بفك سفلي لبقرة أدخلت قرنها في خاصرة بنت زعيم القبيلة الصغيرة. يرفع يامن رأسه ويستقيم ظهره على كرسيه الجلدي، ويعدل عدساته وتصيبه عينا شاهين بالهلع؛ عيناه متخمة بابراءة قد يكون مجرد التفكير بأمر مشرف يمنع عينيك براءة، بينما شاهين يشعر أن القدر خطط لكل شيء ليس لأجل فرح فقط؛ بل ليرمم نظرة يامن التي تشبه عين شاة بدأت تشعر بحدة الساطور على عنقها، دق شاهين بيديه على الطاولة ليرفع يامن رأسه ويقول: بماذا أستطيع مساعدتك؟ ندهش شاهين وكأن تعابير وجهه متضخمة. قال يامن: اجلس ما بك هل أنت بخير؟ شعر شاهين أنه لا يزال أمامه الكثير ليتعلمه من أفعوانية التصرف والتحدث وابتسامة ماكرة مرتسمة على وجه يامن؛ ظن للحظة أنه ينتقم بصناعة ثلاث دقائق من الارتباك والحيرة، استدار شاهين نحوه وقال: هل أنت مستعد لسماعي؟ قال له: تحدث. خلع بامن نظارته وكأنه يستعطف القدر لئلا يسمع ما يهز كيانه. تأكد شاهين عندها أن يامن يعرف الكثير ولكنه محكوم بكونه أبا لفرح. قال شاهين له: هل نستطيع تحديد موعد لخطبة فرح؟ ضحك يامن وتناول قطعة ورقية أمامه كتب عليها عنوان منزله، أمسك شاهين الورقة ثم تشاركا بضحكة جهيرية؛ يبدو أن كليهما تحرر من ذلك القيد الذي يدفعهم للغضب دون البحث عن حل، تصافحا وقال له يامن: احرص في المرة القادمة أن لا تأتي وحيدا. خرج شاهين من المكتبة وصوت داخله ينبئه بابتعاد فرح؛ شعور غريب ومسيطر دفعه لذلك. أحيانا رغم اقتراب أضخم ما تتمناه إلا أن شعور مكتمل من الخوف والتوتر يجبرك على الجلوس وحيدا والتفكير هل سيبتسم القدر لي؟ ربما ذلك الخوف هو ضريبة ذلك الشعور بالاكتمال؛ ضريبة احترام الآخرين ضريبة تسارع دقات قلبك يوما الذي أجبرك أن تكف عن استسلامك لسلطة الرأي الجمعي المتعالي. أخرج ولاعة الرجل العجوز؛

ضغط عليها بيده وكأن شعلة تلك الولاعة هي التي تكفلت بحرق مساحة التأهب بينه وبين يامن. وكأنما هي التي غيرت حياته فعلا. دخل شاهين الأكاديمية وكأنه قد جاء للتحدث مع الأشجار وجدران صومعته عن قصته؛ وكأنه الوحيد الذي يتقن لغات الجميع، نظرات مليئة بالاحترام والنبل نحو شاهين شعر بذلك، تنظر من بعيد الفتاة صاحبة الخمار الأسود، وتمر الفتاة صاحبة الفرح الطفولي، والضحكات الجهورية هادئة وجدية، وتنظر الفتاة الطويلة وتكمل طريقها ولكنها تيقنت من نجاحه، وتقف الفتاة صاحبة الملابس الرثة عند الصومعة وترتدي حذاء جديدا، شعر شاهين بذلك ورأى ذلك ولكن قد يكون كل ما في الأمر أنه نظر إلى نفسه باحترام ليكون ذلك كافيًا ليجبر الجميع على المشاركة واكتمال شعوره، ربما نظرات الجميع لشاهين نظرة في عمق ذواتهم ربما هي رغبتهم المكبوتة والتي قرر كل من في الأرض حبسها، ويبدو أن لا شيء مغريا سوى منظر ذلك الرجل الذي سجن لفترة طويلة يدخن سيجارة ويقول: لم لا أحاول وستنجح صعد إلى الصومعة ليجد أن تلك الفوهة قد سدت، وكأنما لم تكن موجودة أصلا. حتى الوجود يتآمر على احتمال شاهين أو ربما حان الوقت ليضع كل شيء خلفه ويكتمل فعلا، ولكن لا شيء أمامه حتى فرح التي تشظى عن نفسه لأجلها لم تكن حقيقية ولكنه أراد أن يضع منها حقيقته يقتنع هو بها، ويبدو مرة أخرى أنه لا شيء يستحق العناء سوى محاولة التنصل من دفع فاتورة وجودك بمقابلة وجه مدير عملك الحقير؛ إنه لقواد يتحدث للجميع عن الرب، تنهض فرح من سريرها بسرعة وتقف عند النافذة، وتمد رأسها من النافذة لترى كيسا فارغا تدفعه الرياح للابتعاد؛ وكأن كل شيء عاد عاديًا وجميلا، وبدأت الأشياء تتأقلم مع وجود فرح فلم يعد قفل غرفتها يعلق به شعور غريب دفعها لتفقد أروقة بيتها. اقترب مساء اليوم التالي لتجد سمية وفرح نفسيهما مرغمتين

على العشرات من الواجبات، تنظيف المنزل، وتهيئة نفسيهما، وسرعان ما ينتقلون من تلميع الزجاج لتنظيف الأرائك الفضية وكأنهما في سباق مع الزمن. الجميع يتفنن بنحت شخصيات فارغة ورش الأطنان من البريق عليها وكأنهم يعانون متلازمة نقص صوت أقدام على الأدراج الرخامية من أصواتها، تستطيع تحديد من كل منهما؛ ضحكت الجدران والأدراج لأنه لا أحد يعرف ما تخبئه الأيام لنا ولهم وكأنما تأكد أن لا شيء مستحيل، يصعد شاهين ومعه ثلاثة رجال يفوقونه سنًا وامرأة خمسينية، فيما فرح تجلس على سريرها وصوت أقدامهم وقرعهم على الباب الخشبي يمنحها شعورًا متزايدًا من القلق والحيرة والترقب، وسمية تقف على مقربة من الباب الخشبي وتنتظر أن يقرع الباب جيدًا، مشت بهدوء نحو الباب وفتحته؛ تعانقت سمية والمرأة الخمسينية، ودعتهم للدخول، نظرت إلى شاهين إلى نسختها الذكورية التي ستحمل عبء روحها المتعبة ليحلق بعيدًا، جلسوا جميعًا على الأرائك. نظرت فرح من تحت الباب لتجد أن أحذيتهم متراصة وكأنهم اجتمعوا على أمر واحد، نظرت إلى جدها بشعور عارم من الغضب، ولد فجأة وبات يكبر وينتفخ كرئتي رضيع في أيامه الأولى، وتدور الأحاديث بينهما وكأن كل طرف يسعى للفوز بلقب شد الحبل، المضحك أن كلا الطرفين يعودان رجلان طبيعيان بعد تفرقهما، وتحدث يامن عن أهمية التجارة، وأسرار نجاح التجارة، وتحدثوا عن نصف الفلسفة الأخلاقية، والجدلية، والمادية، أراءهم بدت لشاهين كمؤشر على الخيبة التي جمعوها في سنوات أعمارهم المنصرمة، ينظر شاهين لسمية ويضحك ويشير لها بعينيه وتضغط سمية بقدمها على قدم يامن ليجد يامن نفسه مضطرًا للصمت، وترك الرجل الآخر ليكمل تفسيره للنهاية، لأنه طالما تقبع في صدره إثبات أناه المثيرة للشفقة فلن يستطيع أحد أي أحد أن ينتقل لقصة أخرى لأنه لا شيء مثير للاهتمام بقدر

النشوة التي يمنحونها لذلك القزم في داخله فجأة. وجدت فرح نفسها تقف أمامهم وكأن محتمًا عليها أن توافق، نظرت إلى وجوههم ورأت في كل منهم يامن الذي يسعى...

صرخت بوجوههم بقوة وشزر وكأنهم قدموا لها عرض اغتصاب، كاد يامن أن يصاب بسكتة قلبية، وسمية لم تقو على الحراك، تطايرت شظايا خشبية صغيرة مدببة من رمح ذلك المقاتل الذي أسرع بحصانه وركز نظره جيدًا ليرى شاهين يسقط عن فرسه، عينا فرح ثابتة وواثقة وكأن لحظات سجنها كانت تزرع حقدًا وكراهيةً أسطوريين تنفرد بهما وتهتز حوافر الخيل بعشوائية لترفع قناعها الحديدي عن وجهها وتعود إلى غرفتها مسرعة. صرخ شاهين في داخله وكأنه يسعى للانهيار. لسانه جاف وجسده بات ثقيلا أكثر ولا شيء لا شيء قادر على إزاحة ذلك الجبل الصخري عنه. إنها ببساطة طعمة الخذلان الذي أجبرتني على عيشه؛ لم تخذلني وحدي بل خذلتني ذاكرتي معي ربما صاحبه كسر القواعد هو الذي دفعها لذلك، لا يا صديقي لا تدافع عنها مرة أخرى لست على استعداد للتعامل مع مجنونة، أغمض عينيه وأقام عزاء لفرح لثلاث ثوانٍ في قلبه، وفتح عينيه وتكلم بصوت هادئ كان قادرًا على التأكد أنها ليست أول خيبة أمل. فرح ارقدي بسلام.

خذلان فرح بتلك الطريقة أجبره على عيش معركة أخرى لأيام معركة الدين والعقل فيما امرأة وولدان يجلس أحدهما، ويبدو مجهدًا من التفكير، وفي يديه أوراق غير مكتملة وناقصة يركز نظره عليه ويحاول جاهدًا أن يفهم تلك الأرقام والصور، نظراته مكللة بالبؤس والغضب، ورغم ذلك يقلب الأوراق على وجهها ويغمض عينيه ويبعثرها بعشوائية وفي كل مرة يختار الورقة المهترئة أكثر وكأنه مقدر له أن يجبر على التفكير برشد مضاعف، قلبه الصغير ينبض ويخفق باستمرار دقات قلبه تجبره على المحاولة مرة أخرى

يرمقه الولد الثاني بنظرة وقدماه على الحائط ويمسك بقطعة خبز ويبدو أنه رغم سنه؛ إلا أنه قد وصل لنهاية الطريق بسرعة وهدوء وسكينة، دون أن يتكلف عناء المحاولة لعشرات المرات يرمقه بنظرة عطف ويقول: أعط لنفسك بعض الوقت وكف للحظات عن محاولتك لتكسر حجرا بإبرة، ثق وتيقن من داخلك بتلك القدرة تمنحني السعادة والبهجة من صميم قلبي، وتمنحك ألما مركزا أنا متأكد أن السبب في توزيعه الهبات بهذه الطريقة.

يكمن في طريقة كلا منهما بالنصر؛ فلنقطع آخر القوس نحو الخلاص يقف الولد الصغير وهو يمسك الأوراق بقوة، ويقول: على الرغم من كونها أوراقا ناقصة إلا أنني أجهد نفسي في كل لحظة معنى الضعف كل ما في الأمر، أنني أعجز عن تحمل ذلك الشعور فأجابه أذن قوس قزح يعجز عن حمل أصحاب الخطوات الثقيلة؛ فلتذهب كما يحلو لك ولكن عدّ قبل أن تباع كل التذاكر ولا يبقى لك مكان للمشاهدة حتى قال له: أظن أن التعمق بتلك الجزيئات والخوض فيها، وبحثي عن ما يقنعني سأصل إلى تلك اللحظة التي يتوقف فيها قلبي عن الشعور بالقلق تجاه كل شيء، وحتى اتجاه العادي وتنفذ مسامي براعته وعشقه، ويتبادر ذلك السؤال لماذا أجمد نفسي؟ ببساطة لا بد لي أن لأشعر بكل خطوة على الطريق وأفهم النهاية؛ لأننا مختلفون، ولكن تجمعنا النهايات ولا أحد يشعر بتلك الحقيقة سوى التجاعيد على وجه المرأة العجوز.

استيقظت فرح من نومها على صوت صراخ طفلها الرضيع؛ قبلته وشعور من السعادة والرضى المتضخمين يسيطران عليها، باب غرفتها مفتوح ويقبل رجل على سريرها غطاء يغطي ثلاثة أرباع جسده ولا يظهر سوى أشعار لحيته الكثيفة، وفطور أقدامه الخشنة، تضحك فرح وتكمل طريقها إلى المطبخ،

يجلس شاهين في وسط غرفته، وفيما هو مغمض عيناه ويشعر أنه غارق، مرة أخرى تهاجمه أشعة الشمس من النافذة؛ لترغمه على فتح عينيه ليضحك طويلا، ويستلقي على ظهره نحو أجمل ابتسامة، ابتسامة رجل حاول ترويض المستحيل؛ أشعل سيجارة وطعمة تلك السيجارة مختلفة أنا فقط سيجارة، فتح الباب وخرج وأغلقه بهدوء؛ وكأنه قد وجد تسويةً مع كل ما مربه.

النهاية